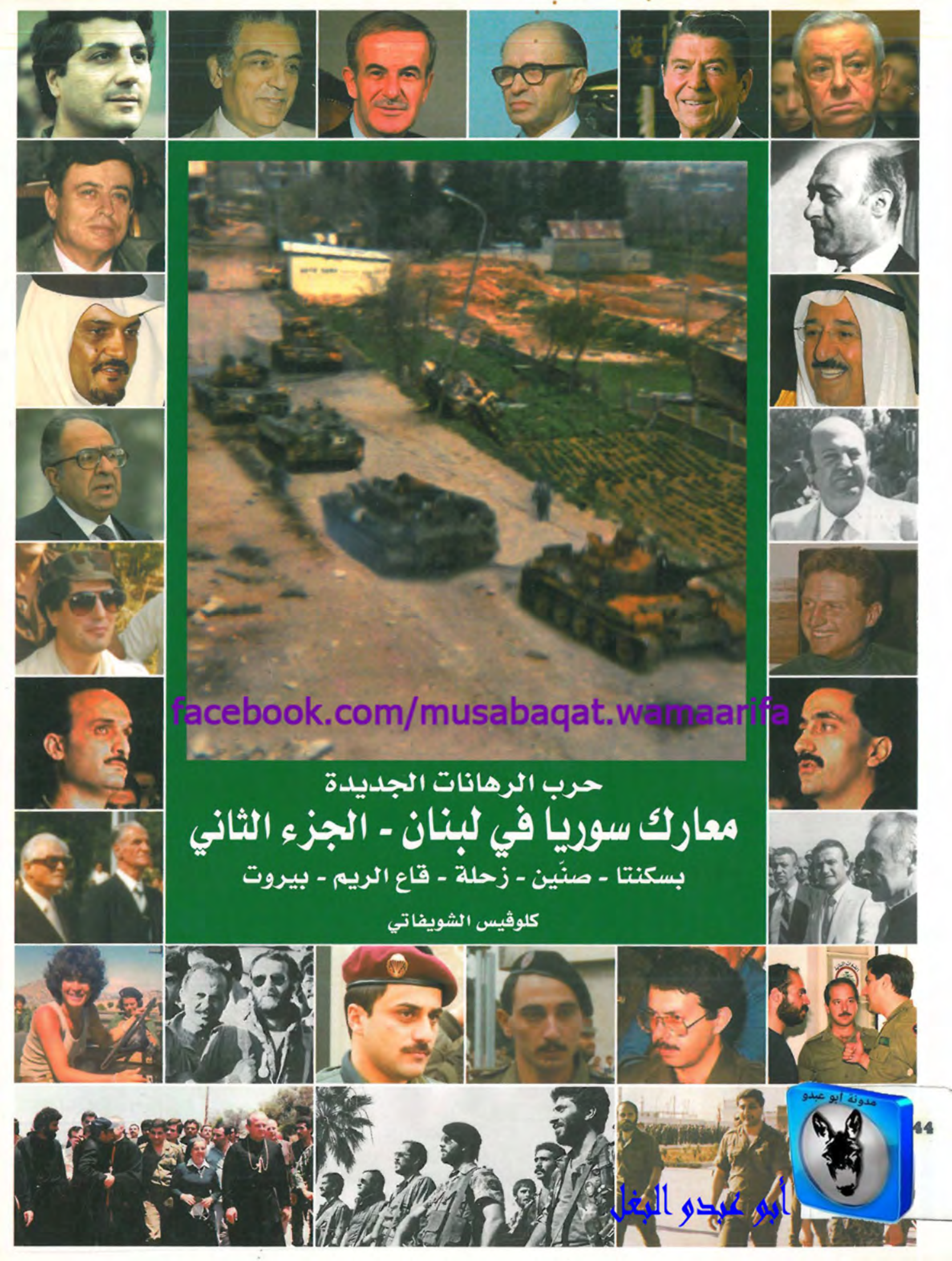

facebook.com/musabaqat.wamaarifa
حرب الرهانات الجديدة
معارك سوريا في لبنان - الجزء الثاني
بسكنتا - صنّين - زحلة - قاع الريم - بيروت
كلوڤيس الشويفاتي
مدونة أبو عبدو
أبو عبدو البغل

حرب الرهانات الجديدة

معارك سوريا في لبنان - الجزء الثاني

بسكنتا - صنّين - زحلة - قاع الريم - بيروت

كلوڤيس الشويفاتي

صورة الدبابات على الجسر - المعلّقة بعدسة أندريه النجّار

هاتف: ٠٣/٤٨٣٣٤١ - ٠٩/٤٧٨١٦١

بريد الكتروني: clovischoueifaty@hotmail.com

سوفتغراف - جبيل - ٠٩/٥٤٨٠٠١

الإهداء

الى الذين سقطوا وجباههم صوب السماء

الى الذين رأوا الدنيا صغيرة من قمم صنين

الى الذين غمروا الثلوج بأرواحهم وأجسادهم

الى كلّ صوت صرخ: «هنا سوف نبقى»

وفاء للدماء، للبطولات، للارض، للشهداء...



صورة قديمة لزحلة ولتلال صنين

مقدّمة

في العام ١٩٨١، قضت الإرادة الدولية بأن يكون لبنان مستودع الأزمات في الشرق الأوسط، فهو ساحة الصراع العربي الاسرائيلي ومنطقة تسوية الحسابات العربية العربية والعربية الفلسطينية والفلسطينية الفلسطينية والعربية الإيرانية... وكان الموقف الدولي، وخصوصاً الاميركي، يرى أن أزمة لبنان مرتبطة بأزمة الشرق الأوسط، وأن الحلّ في الشرق الاوسط هو مدخل الى الحلّ في لبنان.

قبل حرب زحلة، كان السوريون يسابقون أحزاب الجبهة اللبنانية الى قمم الجبال الاستراتيجية وأبرزها تلال بسكنتا والزعرور، وصنين والعاقورة واللقلوق. فلهذه التلال أهمية كبيرة، ومنها يتمّ التحكّم بالساحل اللبناني وبمدينة زحلة وقسم من البقاع، وحصلت معارك أثناء هذا السباق المحموم أبرزها كان معارك مصاطب بسكنتا والغرفة الفرنسية في ربيع العام ١٩٨٠.

بعد تموز ١٩٨٠، ضرب المناطق الشرقية لبيروت إعصار جارف اسمه بشير الجميل، الذي وحّد البندقية المسيحية تحت قيادته بالقوّة، ما أفضى الى تحجيم الوضع العسكري لحزب الوطنيين الأحرار. إثر ذلك، بدأت الحرب تتوسّع الى خارج حدود المناطق الشرقية وطرقت أبواب زحلة حيث أكبر تجمّع مسيحي في البقاع. استغلّ السوريون الانقسام المسيحي الجديد واستخدموا مجموعة خارجة عن حزب الوطنيين الاحرار تمهيداً لدخول زحلة والسيطرة عليها، بعدما بسطوا نفوذهم، من جنوب البقاع الى شمال عكار.

لم ينجح افتعال الإشكال المسلّح الداخلي في تحقيق المرتجى، فطوّق الجيش السوري زحلة وهاجمها في ٢٠ كانون الأول ١٩٨٠، لكنّه لم يتمكّن من دخولها، وبقيت قوات دمشق خارج اسوار زحلة تستعدّ، متحيّنة الفرصة، لدخول المدينة وإخضاعها بالقوّة.

في نيسان ١٩٨١، بدأت أعنف حرب في مدينةٍ طُوّقت من الجهات الأربع. توحّدت القوى الزحلية التقليدية مع الأحزاب وقوات بشير والأساقفة... أمام الهجمات العنيفة.

نشبت معارك ضارية خلّفت اضراراً بشرية ومادية كبيرة، وامتدّت الى تلال صنين والغرفة الفرنسية وبسكنتا والزعرور... وشملت كلّ المناطق الشرقية لبيروت ...

استخدم الجيش السوري سلاح الطيران وسيطر على كلّ التلال... فتدخّل الطيران الاسرائيلي، وردّت دمشق بإدخال صواريخ سام-٦ الى البقاع ما حوّل الحرب صراعًا اقليمياً ودولياً بين سوريا واسرائيل بتدخّل عربي وأميركي وسوڤياتي... اعتبرت واشنطن أنّ ما يجري بين البقاع وصنين ونصب صواريخ سام، نقلة استراتيجية للسوڤيات في مواجهة الغرب وحلف شمال الاطلسي.

توقّفت المعارك في ٣٠ حزيران بعدما صمدت زحلة ببسالة محاصرة لثلاثة أشهر، وحصل اتّفاق قضى بسحب مقاتلي بيروت من المدينة وخروج السوريين من محيطها وتسليم أمن جارة الوادي الى الدرك اللبناني، وذلك بعدما دفعت عاصمة البقاع نحو ٦٠٠ قتيل وجريح من أبنائها، فيما كانت بيروت والمناطق الشرقية منها تدفع مع عاصمة البقاع ثمنًا باهظًا دماءً وارواحًا ودماراً.

بقيت تداعيات وتفاعلات حرب زحلة مستمرّة لعشر سنوات، وثمّة من يقول أنّ هذه الحرب أنتجت أربعة رؤساء للجمهورية، فهي التي حملت بشير الجميل الى السُّدة الأولى في وقت كان يُنظر اليه قبلها بأنه زعيم ميليشيا، لا بل رئيس عصابة. لكن الحجم الاقليمي والدولي الذي أخذته الأحداث في خلال حرب زحلة وخصوصاً أزمة الصواريخ والطائرات، دفعت بشير الجميل الى الواجهة، وبات لا بدّ لأي حلّ للأزمة من المرور عبره ليكون مقبولاً وفاعلاً، ولم يعد ممكناً فرض أي قرار من دون موافقته... وتتابعت الأحداث حتى الاجتياح الاسرائيلي الذي كان عاملاً أساسياً

في وصول بشير الى الرئاسة لأنّ اسرائيل في حرب زحلة وما رافقها من أحداث اختبرت القائد الصاعد، لكنّ بشير اغتيل بعد عشرين يوماً على تولّيه الرئاسة، ثمّ حملت الأجواء نفسها شقيقه أمين الى قصر بعبدا، وحكم ستّ سنوات قبل أن تنقلب الأمور رأساً على عقب، وتتغيّر الأوضاع من أقصى اليمين الى أقصى اليسار، فتمّ توقيع إتّفاق الطائف عام ١٩٨٩ إثر تقهقر المسيحيين بعد حرب التحرير التي تبعتها حرب الإلغاء وانتخب رينيه معوّض رئيساً للجمهورية، فكان مصيره كمصير بشير الجميل، وثم انتخب الياس الهراوي ابن زحلة خلفاً لمعوّض. ويقول العارفون إن أحداث زحلة هي التي ثبّتت اسم الياس الهراوي في ذهن وعقل الرئيس السوري حافظ الأسد، وأصبح الخيار الأول لسوريا في لبنان، وقد لعب الهراوي دوراً في حرب زحلة، وسعى مع السوريين لإيجاد حلٍّ للأزمة، ومن حينها توطّدت علاقته بدمشق وبالرئيس الأسد. وعندما دارت الايام، حملته هذه العلاقة الى رئاسة الجمهورية لتسع سنوات.. وبذلك تكون حرب زحلة أنتجت الرؤساء الأربعة وإن بظروف وأجواء مختلفة، لا بل متناقضة تماماً.



صورة جوية لزحلة

سباق القمم

بعد حرب «المئة يوم» العام ١٩٧٨، كان يحصل مع بدء كلّ فصل ربيع سباق محموم بين أحزاب الجبهة اللبنانية والجيش السوري بهدف السيطرة على التلال الاستراتيجية الممتدة من منطقة الزعرور بسكنتا وصولاً الى جرد العاقورة. وكانت مواقع جبال صنين، الغرفة الفرنسية، قواميع العبد، مصاطب بسكنتا... من أبرز النقاط التي تشهد هذا السباق... إذ يستحيل البقاء في هذه القمم العالية خلال فصل الشتاء والثلوج.

معركة المصاطب

في ربيع العام ١٩٨٠، قامت مجموعة من القوات السورية ترافقها فرقة من الحزب السوري القومي الاجتماعي بالتمركز في منطقة المصاطب[1] فوق بسكنتا في مواقع كان يشغلها حزب الكتائب في كل صيف.

الساعة الثالثة والنصف فجر الاحد ١١ أيار ١٩٨٠، تلقّت مجموعة من قسم بسكنتا الكتائبي برقية عاجلة من المجلس الحربي تفيد بأن القوات السورية ومعها الحزب السوري القومي الاجتماعي سيطرا على منطقة المصاطب.

وكانت مجموعة من بسكنتا مؤلفة من تسعة عناصر تتموضع في مركز متقدّم يسمّى مركز توفيق قزحيا قرب أوتيلات صنين.



بلدة بسكنتا وجبال صنّين

(١) منطقة المصاطب هي المنطقة التي تفصل بين المتن وكسروان وبينهما وبين زحلة والبقاع.

جهّز الشباب التسعة عتادهم وحملوا سلاحهم الفردي وانطلقوا عند الساعة الرابعة فجراً بقيادة روكز خوري لتفقّد المنطقة التي أُبلغوا ان السوريين تمركزوا فيها. تألّفت المجموعة، إضافة الى روكز، من كلّ من سليم ابو حيدر وعادل خوري وشقيقه ووليد وجورج العين وجورج صالومي ومارون غانم، فيما بقي اثنان هما سليم خوري ونقولا ابو حيدر ينتظران عناصر الدعم.

بعد نحو نصف ساعة من السير في الجرد وصل الشباب السبعة الى نقطة فوق الغرفة الفرنسية التابعة للمصاطب (غير الغرفة الفرنسية الشهيرة على ظهر الجرد).

كانت فرقة سورية ومعها عناصر سورية قومية تكمن للمجموعة المتقدِمة. وقبل نحو خمسين متراً، قال عادل خوري لروكز: «سأنفصل عنكم أنا وجورج العين لملاقاتكم باتجاه تلّة وبركة الصفرا[1]».

ما ان افترق عادل وجورج عن المجموعة وسارا نحو عشرين متراً، حتّى فُتحت النيران من الكمين السوري باتجاه الجميع، فأصيب الأول بأكثر من رصاصة واستشهد على الفور كما أصيب رفيقه جورج برصاصات عدة في بطنه وسقط جريحاً.



مجموعة من كتائب بسكنتا

(١) نقطة تصبح أعلى من المصاطب اقام شباب بسكنتا متاريس فيها.

ردّ شباب بسكنتا بأسلحتهم الفردية وببعض القنابل اليدوية على مصادر النيران، ثمّ بدأت الدبابات السورية التي كانت متمركزة في «سهلات العرب» في المصاطب بإطلاق قذائفها على منطقة الاشتباك.

اتصل روكز بالمجلس الحربي وبشباب بسكنتا وأبلغهم بما يجري، فتوجّه نحو ٤٠ شاباً من حزبَي الكتائب والاحرار من البلدة الى منطقة الاشتباك، والتفّ قسم منهم من ناحية شير الوردة، ودار قتال عنيف شمل محلتي المصاطب والغرفة الفرنسية وكذلك أطراف بلدة صنين وتلال الزعرور، وقُطعت كل الطرق المكشوفة بالقصف. في غضون ذلك، بدأت التعزيزات من القوات السورية والحزب السوري القومي من جهة، ومن الكتائب والاحرار من جهة أخرى تصل الى المنطقة.

توجّهت مجموعات من الوحدات المركزية الكتائبية باتجاه منطقة المصاطب، منها مجموعة من وحدات الدفاع ادونيس بقيادة حنا العتيق وتمركزت في مقاهي صنين، فيما كانت مجموعة من نمور الاحرار تتمركز في الدير المهجور التابع لدير طاميش[1]، كما وصلت مجموعة ثالثة من وحدات بيروت والمغاوير يقودها فؤاد أبو ناضر الى عيون السيمان، وسلكت التيليسياج للوصول الى الغرفة الفرنسية، ووصلت مجموعة أخرى تابعة لجورج ملكو من بيروت وانضمّت الى وحدات أدونيس في المقاهي...


الحنون ووحدات أدونيس


جوزيف ناصيف وعدنان سيف الدين

(١) هو آخر بناء في الجرد قبل الوصول الى مصاطب صنين.

تقدّم أبو ناضر ومعه عباس و٢٥ شاباً سيراً بإتّجاه الغرفة الفرنسية.

حاول حنا العتيق وايلي لوقا استكشاف الطريق للتأكّد من خلوّها من الالغام قبل التحرك بإتجاه المصاطب. وفيما كانا يتقدّمان بحذر وسط الضباب الكثيف الذي انجلى فجأة، وجدا نفسيهما بعيدَين نحو ١٥٠ متراً عن مجموعة سورية متمركزة على تلال المصاطب في منطقة مكشوفة تمامًا، وانهمر عليهما الرصاص، لكنّهما نجيا بأعجوبة وتراجعا باتجاه دير طاميش حيث يتمركز مقاتلو الاحرار.



أبو ناضر ومجموعة بسكنتا بعد المعركة

أبلغ العتيق أبو ناضر بما جرى معه وبأنه يستحيل التقدّم باتجاه المصاطب من جهة المقاهي ومن جهة دير طاميش لان المنطقة مكشوفة، فطلب فؤاد منه إرسال مجموعة لملاقاته الى الغرفة من الجهة الاخرى عبر طريق البحصة[1].

أرسل الحنون مجموعة بإمرة عدنان سيف الدين (أبو مارون) وصلت الى الغرفة الفرنسية بعد نحو أربع ساعات من السير في الجرد.

يقول ابو ناضر: «تمكّن السوريون من السيطرة على المصاطب لأنهم أنزلوا عناصرهم بواسطة طائرات هليكوبتر وكان معهم عناصر من الحزب السوري القومي، وحصّنوا مواقعهم التي كنّا نحن نسيطر عليها في كلّ سنة، ولكن تمكّنا يومها من السيطرة على الغرفة الفرنسية أهم موقع في جبل صنين».

ويتذكّر أبو ناضر ذلك اليوم: «كان النزول في اتجاه المصاطب من الغرفة الفرنسية مستحيلاً لانهم كانوا يسيطرون بالنار على الطريق المكشوفة. تقدّمنا بإتّجاه الغرفة الفرنسية عن طريق فاريا عيون السيمان عبر التيليسياج في ظروف مناخية سيئة جداً (صقيع وثلوج وهواء عاصف...)، وتعرّضنا لقصف سوري عنيف ادى الى استشهاد الرفيق الياس الخوري من وحدات المغاوير.. (أصابته شظايا قذيفة سورية في وسطه، فامتزج دمه بالثلج وصار يرجو أحد رفاقه إطلاق النار عليه كي لا يتعذّب قبل ان يفارق الحياة)».



الشهيد الياس الخوري

(١) طريق صعب جداً اذ أنه في منحدر حاد ومليئ بالبحص الناعم حيث تغرق الأرجل. والسير فيه أصعب كثيراً من السير في الثلوج.


نصري راشد، حنا العتيق، عدنان سيف الدين، جوزيف ناصيف...

ويضيف أبو ناضر: «حاولنا التقدّم لسحب جثة عادل خوري الذي سقط مع شباب بسكنتا، ولكن كان السوريون أقرب اليه، وما ان وصلنا الى ظهر الثلاجات حتى دارت معركة عنيفة معهم هناك...».

شاركت مدفعية حزب الوطنيين الاحرار بفعالية في هذه العملية وقصفت مواقع السوريين من مرابضها الموجودة في باكيش وفقرا.

طلب أبو ناضر من جورج ملكو ومجموعته إحضار طعام وعتاد وحرامات للتدفئة، وأمّن لهم طريقًا الى الغرفة الفرنسية من دون المرور بالمصاطب، توصلهم الى ضهر الثلاجات. لكن مجموعة ملكو لم تتمكّن من الصعود لأن الطقس كان عاصفاً والحرارة في أدنى درجاتها، فأمضى فؤاد والشباب ليلتهم في الغرفة الفرنسية وسط البرد القارس ومن دون طعام أو تدفئة.

كان شباب أدونيس الموجودون في مقاهي بسكنتا يتنصتّون على عناصر سورية بواسطة أجهزة ٦٠١ كانت بحوزتهم. ونحو الساعة العاشرة ليلاً، سمعوا شخصاً يقول: «سأطلق قذيفة على الكنيسة... فأجابه رفيقه لا تقصف الكنيسة لأنها فارغة وليس فيها أحد...». فأدركوا عندها أن الكنيسة المعنية هي كنيسة دير طاميش المهجور، الوحيدة في المنطقة.

حاولوا الاتصال بمجموعة الأحرار، لكنّ أحداً لم يجب... فظنّوا أنّ السوريين استولوا على الدير وقرّروا مهاجمتهم لاستعادته.

انقسم شباب ادونيس الى مجموعتين، الأولى مع الحنون سلكت طريقاً حرجياً للالتفاف على الدير من الخلف، ومجموعة ثانية بقيادة جوزيف ناصيف (الجعفر) سلكت الطريق الرئيسي.

تقدّموا بحذر ولكن بسرعة، ليسبقوا العناصر السورية، وبعد نحو ساعة وصلوا الى مشارف الدير الذي كان فارغًا ويتعرّض لاطلاق نار من الوادي المقابل حيث مواقع السوريين المتقدّمين بإتّجاهه.

وجد الشباب في الدير أسلحة كثيرة (رشاشات دوشكا وماغ وذخائر...)، فأطلقوا النيران منها بغزارة بإتّجاه المراكز السورية التي باتوا يشرفون عليها. وبعد نحو ساعة من الاشتباك، تراجع السوريون من المصاطب وانسحبوا بإتّجاه الزعرور.

معركة بمبادرة فردية

أثناء مواجهات بسكنتا – المصاطب، بادرت مجموعة من كتائب قاع الريم البقاعية الى التفتيش عن أبناء القرية الرعيان الذين تحدّثت معلومات عن اختطافهم من قبل الحزب السوري القومي الاجتماعي، وحصلت معركة لم تعرف بها قيادات أحزاب الجبهة اللبنانية...

كان غسان تنوري، أحد مقاتلي الكتائب من بلدة قاع الريم يقوم بواجب اجتماعي يوم الأحد ١١ ايار في بلدة بسكنتا.. والتقى بعد الظهر بحنا العتيق الذي أخبره ان السوريين والقوميين اختطفوا رعاة من آل العلم وحصلت مواجهات مع شباب بسكنتا..

ويروي تنوري :«الراعيان المخطوفان الياس العلم من قاع الريم وابنه كانا في عين أبو مصطفى مع قطعانهما... عدت الى البلدة وجمعت خمسة شباب بينهم توماس الاميركي وموسى التنوري واميل العلم وآفاك... وانطلقنا عبر الجرد بعد منتصف الليل نحو منطقة عين أبو مصطفى... وأخبرنا رعيان من قاع الريم أن السوريين والقوميين يأتون فجر كلّ يوم للتمركز في ضهر المحافير... فسبقناهم ونصبنا لهم كميناً.

بعد دقائق، سمعنا هدير ثلاث شاحنات تتقدّم بإتّجاهنا محمّلة بالعناصر... وفيما هي تقترب لتصبح في مرمى نيراننا، أصدر أحد الشباب معنا صوتاً فتنبّهوا وتوقفوا... وأطلق احد العناصر قذيفة ب٧ باتجاهنا... فردّينا عليه بغزارة، ورمينا قنابل يدوية على الشاحنات، واندلعت مواجهة عنيفة بالرشاشات والقنابل اليدويّة... وأول المصابين كان العنصر الذي أطلق قذيفة الـ«ب٧»»... ويضيف تنوري: «لقد تفاجأنا بقدرات توماس الاميركي القتالية (كان أحد جنود الجيش الاميركي وحارب في فيتنام) .. فهو كان يقوم برمايات دقيقة ومركّزة... استمرّ الاشتباك نحو ربع ساعة وقُتل وجُرح بنتيجته عدد من عناصر المجموعة التي كانت في الشاحنات، فيما لم يصب أحد من عناصر الكمين ... انسحبنا الى بسكنتا حيث نمنا، وعدنا مع حلول ظلام اليوم التالي عبر الجرد الى زحلة».

وإثر المعركة، أصدرت قوات الردع العربية البيان التالي:

«صباح اليوم الأحد، توتّر الوضع في منطقة بسكنتا – الزعرور ، وبالتحديد على جانبي المرتفع ٢٠٥٠ الواقع جنوب



شباب بسكنتا في الجرد


مجموعة من شباب قاع الريم

شرق بلدة بسكنتا، وذلك بين الاحزاب اللبنانية المتنافسة في المنطقة. استعملت في بداية الاشتباكات أسلحة خفيفة، ثم تطوّر الوضع، فاستعملت الهواوين وبعض الأسلحة الثقيلة. تدخّلت قيادة قوة الردع العربية لمعالجة الموقف، واتّصلت بالقيادات المعنية لمنع تصعيد الاشتباك وحسمه نهائياً. وفي السابعة والنصف مساءً، خفّ القصف في شكل واضح، ولكن لا تزال بعض الجيوب هنا وهناك تتراشق بالاسلحة المتوسطة تراشقاً متقطعاً.

ان قيادة الردع مستمرة في معالجة الموقف، علماً انه وقعت نتيجة هذه الاشتباكات إصابات عدة غير خطيرة لم يجر إحصاؤها بالضبط حتى الآن».

من جهتها، أصدرت القوات اللبنانية بياناً جاء فيه:

«ليل السبت - الأحد ١٠ أيار الجاري، قامت مجموعة من السوريين بمشاركة عناصر قومية وفلسطينية ويسارية بمحاولة احتلال الموقع المعروف بالمصاطب في منطقة صنين، واختطفت بعض الرعيان الى مكان مجهول، وعلى الفور تصدّت عناصر من القوات اللبنانية للمهاجمين وتمكّنت من ردّ الاعتداء. وهذا المساء قُصفت منطقة الاشتباكات بالمدفعية، ما اضطر القوات اللبنانية الى الردّ على مصادر النار ولا يزال تبادل القصف مستمراً».

اضاف البيان ان «اتصالات أجريت مع قيادة الردع منعاً لتطوّر الأمور كما حصل في معركة قنات» (راجع الجزء الاول - المواجهات الاولى للتاريخ... معارك سوريا في لبنان).

وأعلن مصدر في حزب الكتائب انه عرف من الرعاة المخطوفين علم العلم وجوزيف العلم وأن تعزيزات مسلّحة أرسلت لتدعيم مواقع القوات اللبنانية. وقال: «ان غاية الحزب القومي من افتعال هذه المعركة هي جرّ الكتائب والقوات السورية الى مواجهة لا يريدها الطرفان... تماماً كما حصل في بلدة قنات الشمالية ...».

من جهته، قال حزب الوطنيين الاحرار في بيان: «ان عناصر من الحزب السوري القومي احتلّت ليل السبت - الاحد المواقع الصيفية التي كان يشغلها نمور الأحرار والقوات اللبنانية والتي أخليت في فصل الشتاء بسبب الثلوج التي غمرت المنطقة».

وأضاف البيان: «صباح اليوم، حصل إطلاق نار من مدفعية القوميين بمساندة مدفعية الجيش السوري وذلك من مواقعها في مناطق عين أبو مصطفى وفي جرد المتن العالي وتلّة البيضا ورويسات البرج وتلّ العمار والحبش، في اتّجاه ضواحي بسكنتا وعين القبو ومحلة مقاهي صنين. وقد استعمل السوريون راجمات صواريخ الكاتيوشا[1] من

(١) صاروخ كاتيوشا من أشهر الصواريخ في العالم ومن أكثر الأسلحة إنتشاراً وله تاريخ حافل وطويل. لقّب نظام صواريخ BM بكاتيوشا وهو اسم أغنية روسية لميخائيل إيزوكوفسكي كانت تُغنّى في أيام الحرب العالمية الثانية. اشترك الكاتيوشا في معارك كثيرة منها: معركة برلين - معركة أورشا - معركة بيلاروس في الحرب العالمية الثانية.

تمّ تصدير الكاتيوشا الى أفغانستان - أنغولا - تشيكوسلوفاكيا السابقة - ألمانيا الشرقية سابقاً - هنغاريا- بولندا - مصر - سوريا - إيران - كوريا الشمالية - فيتنام - لبنان... ثم جرى تصنيعه في تشيكوسلوفاكيا السابقة - الصين - كوريا الشمالية - سوريا - إيران - العراق ...

في حرب الأيام الستة بين العرب واسرائيل، استولت الأخيرة على راجمات ب.ام.٢٤ واستخدمتها في حربي ١٩٧٣ و١٩٨٢، ثمّ طوّرت راجمات م.آي.آر ٢٤٠، وهي راجمات لنفس الصواريخ قابلة للتركيب على دبابة تشيرمن.

استخدم حزب اللّه في حرب تموز ٢٠٠٦ صواريخ كاتيوشا أغلبها عيار ١٢٢ ملم.

طراز ب ام ١٣ وب ام ٢١، وقذائف مدفعية من عيار ٨٢ و١٢٠ ملم ومدفعية ميدان سقطت قذائفها في الأحياء السكنية في بسكنتا وصنين وعين القبو...».


غسان مطر

وتابع البيان: «ان نمور الاحرار يخوضون معارك قاسية في مناطق يتراوح ارتفاعها بين ما ١٣٠٠ و ١٩٠٠ متر».

في المقابل ادلى عميد الاذاعة في الحزب السوري القومي الاجتماعي السيد غسان مطر ببيان اتهم فيه «قوات حزب الكتائب بقصف مواقع القوميين في تلال الزعرور- صنين ... مستخدمة كلّ أنواع الاسلحة الثقيلة... ما اضطرّ الحزب الى قصف مواقع الانعزاليين لإسكات مصادر النيران المعادية، ونتيجة القصف سقط لنا اربعة شهداء وعدد من الجرحى بينما سقط للانعزاليين ثمانية قتلى، ولا تزال المعارك مستمرة... ».

الاثنين ١٢-ايار-١٩٨٠، وبعد تراجع السوريين بإتّجاه الزعرور، عنفت المواجهات في منطقتي المصاطب وصنين، وتعرّضت أحياء بسكنتا للقصف، وعنف التراشق بعد الظهر بين صنين والزعرور. وتحدّثت معلومات أمنية عن حشود عسكرية في التلال الكاشفة وعلى الطرقات المؤدية الى محاور القتال. لكنّ اطلاق النار توقّف في السابعة مساءً بعد اتصالات بين القيادات الأمنية والقيادات الحزبية، وتقرّر أن يخلي الطرفان المواقع التي تمركزا فيها في محلة المصاطب عند سفح جبل صنين ليحلّ فيها الجيش اللبناني ...

وفي الاتصالات زار قائد قوات الردع العميد سامي الخطيب الشيخ بيار الجميل في منزله في الدورة والتقاه في حضور نجليه أمين وبشير. وقالت مصادر كتائبية إنّ الشيخ بيار ونجليه اتفقا مع الخطيب على ثلاثة أمور هي:

- وقف اطلاق النار ابتداء من السابعة مساء.(وهو ما تمّ فعلاً).
- انسحاب المسلحين من المواقع المتقدّمة التي تمركزوا فيها.
- عودة الحياة الطبيعية الى المنطقة كما كانت قبل التفجير الاخير.

وأضافت المصادر الكتائبية أنّ الخطيب طلب إخلاء منطقة الاشتباكات كلّياً، على أن يلي ذلك تحرّك قوى السلطة لملء الفراغ...





سامي الخطيب

أمين الجميّل

بشير الجميّل

وأعلنت مصادر رسمية بعد اجتماع الخطيب بالرئيس الياس سركيس في بعبدا ان الحل الذي اعتمد هو انسحاب السوريين القوميين من المواقع التي تمركزوا فيها على أن تحلّ محلّهم قوات الردع، وانسحاب القوات اللبنانية من المناطق المتمركزة فيها وان تحلّ محلّها قوات من الجيش اللبناني تمركزت في بلدة كفرعقاب في انتظار انتقالها الى أماكن الاشتباكات، فيما طلبت قيادات الكتائب والأحرار والقوات اللبنانية أن يتسلّم الجيش اللبناني المنطقة الجبلية بأكملها...

وفي هذه الأثناء، أصدر الحزب السوري القومي الاجتماعي أصدر بياناً نعى فيه خليل الياس ابو حيدر وكنج عبده ماضي وعارف احمد زنيط وابرهيم يوسف قطايا الذين سقطوا في ١١ ايار ١٩٨٠ في المتن الشمالي.

الثلاثاء ١٣- ايار ١٩٨٠: أخلى الحزب السوري القومي المواقع التي تمركز فيها وسلّمها الى قوات الردع العربية التي تسلّمت كل المواقع موضع النزاع، فيما بقيت قوة الجيش التي أرسلت للحلول في المنطقة الجردية في موقعها في مدرسة الفرير في بسكنتا.

ومساءً، اجتمع العميد سامي الخطيب مع رئيس الحزب السوري القومي الدكتور عبدالله سعادة في بيروت وقال بعد الاجتماع... «هناك وضع امني اختلّ في المنطقة، لكنّ الردع أعاد الوضع الى طبيعته وهو مستمر في تحمّل مسؤولياته».


د. عبدالله سعاده

وقال الدكتور سعادة : «...إنّ حادث اللغم الذي فجّر الشاحنة التي كان فيها ١٧ رفيقًا أدّى الى سقوط ٤ من رفاقنا وإصابة ٤ آخرين بعطلٍ دائم و٧ بجروح طفيفة. وقد نجا إثنان فقط من الإصابة هما السائق والرفيق الذي كان الى جواره لأنّ اللغم انفجر تحت إطار العجلة الخلفية[1]. وما عدا ذلك، أصيب ١٠ من رفاقنا بجروح طفيفة بسبب قذائف المدفعية الكثيفة التي سقطت على مواقعنا... أمّا الترتيبات الامنية فهي أن تتولى السلطة الامنية الشرعية التي هي قوات الردع العربية مسؤولية الامن ونحن رحّبنا بذلك...».

واضاف سعادة: «استطاع رفاقنا اليوم أن يسحبوا جثة أحد ضحايا الكتائب عادل خوري وأرسلوها مع الحفاظ على حرمة الموت الى براد مستشفى الجامعة الاميركية...».

وكان الحزب القومي شيّع خليل الياس ابو حيدر في كنيسة سيدة النياح في شارع المكحول... وأعلنت قيادة جيش لبنان العربي أن أحمد الخطيب تفقّد برفقة قائد منطقة البقاع المواقع في الجبل...

الأربعاء ١٤ ايار ١٩٨٠

بعدما تمركزت القوات السوريّة مكان عناصر الحزب السوري القومي في المصاطب عند سفح جبل صنين، كانت قوّة الجيش اللبناني في مدرسة الفرير بسكنتا تستعدّ للانتقال الى منطقة مقاهي صنين لتسلّم مواقع القوات اللبنانية. وحضرَ الساعة الثالثة بعد الظهر الى بسكنتا قائد موقع المتن الشمالي في الجيش الرائد عز الدين نقّاع وتفقّد العسكريين في مدرسة الفرير، وطلب منهم التوجّه الى المواقع التي يجب التمركز فيها، إلاّ أنّ رداءة الطقس حالت دون وصول القوّة الى صنين وأمضت الليل في منتصف الطريق، على أن تستأنف التحرّك في اليوم التالي اذا

---

(١) الإصابات التي تحدّث عنها الدكتور عبدالله سعاده هي التي سقطت في الإشتباك مع شباب قاع الريم.

سمحت الأحوال الجوية...

وفي بسكنتا، أقيم مأتم حاشد للشاب عادل خوري الذي سقط في الاشتباكات، وأغلقت متاجر البلدة حداداً. وكان وصل جثمانه الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر بعدما أعلن الحزب السوري القومي أنّه سلّم جثّته الى الصليب الأحمر الدولي...

الخميس ١٥ ايار ١٩٨٠

الساعة السادسة مساء، وصلت وحدة الجيش اللبناني الى موقع الكنيسة التابعة لدير طاميش في صنين والتي استولت عليها وحدات الدفاع - أدونيس التي طُلب منها الإنسحاب إثر اجتماع أمني في بسكنتا جمع النائب أمين الجميل مع العقيد جورج رعد والرائد عز الدين نقّاع والملازم ڤكتور شقير ورئيس قسم الكتائب في بسكنتا جورج غانم والمسؤولين العسكريين في المنطقة.

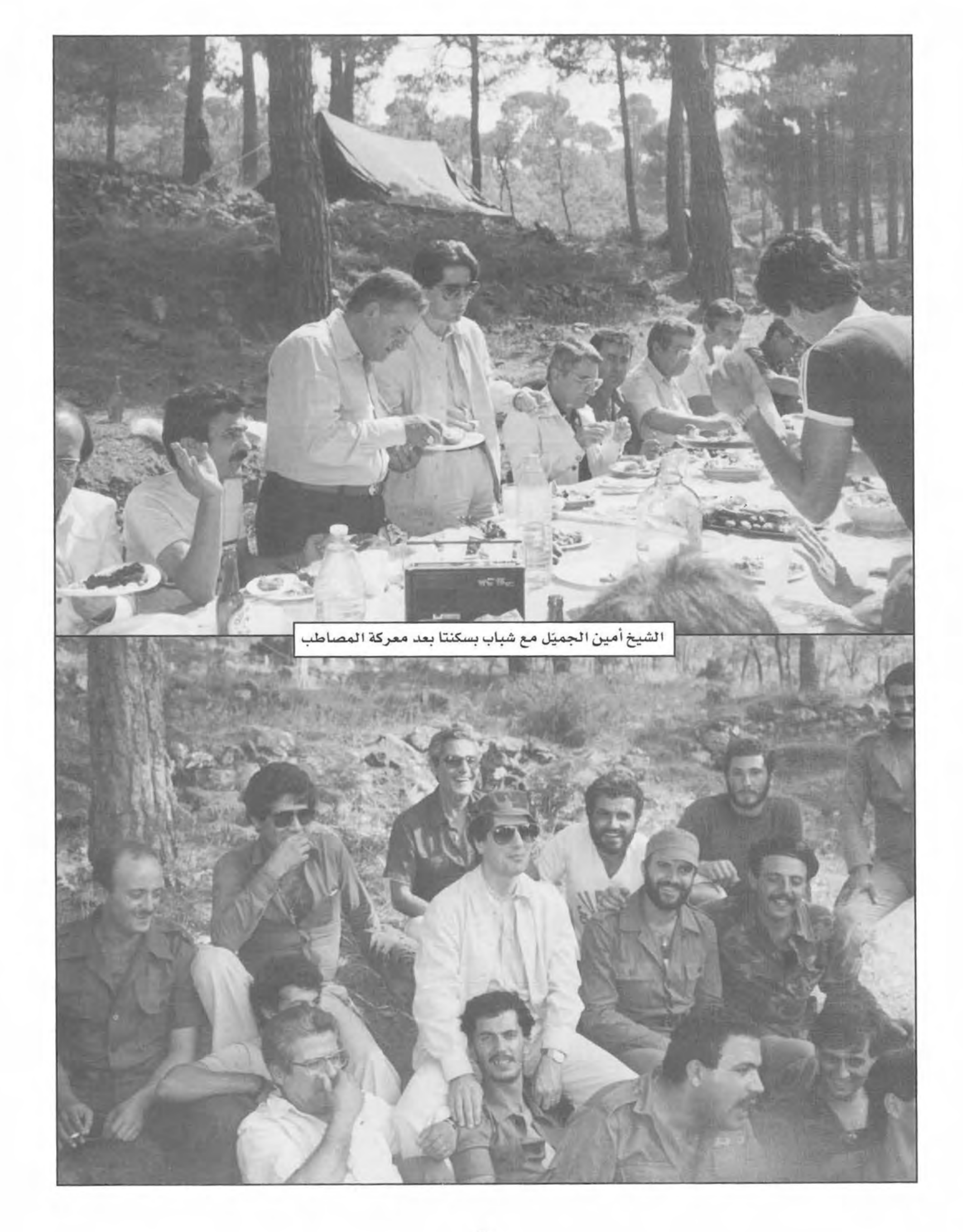
باشرت وحدات الجيش التحرّك لتسلّم المناطق المشرفة على طريق صنين من المقاهي الى ترشيش وعين الرهبان، فوصلت الى بسكنتا الساعة الرابعة بعد الظهر أربع شاحنات ودبابتان للجيش، وتجمّعت في ساحة البلدة وسط ترحيب الأهالي، ثم انطلقت صعوداً في اتّجاه صنين بعدما تولّى إرشادها الملازم ڤكتور شقير.



روكز خوري

كانت قوات الردع العربية تمركزت في منطقة مراح الديشار المطلّة على البقاع، كما عبرت قافلة سورية كبيرة بإتّجاه مقهى نبع الزير بعد مجدل ترشيش، بعدما جالت على المنطقة العليا. وقال الضابط السوري للصحافيين الذين التقاهم: «ما زلنا في مرحلة الاستطلاع ولم نتسلّم بعد أي مركز لأن المنطقة ملغّمة ويجب أن نعرفها جيداً قبل أي إجراء...».

يتذكّر روكز خوري، مسؤول كتائب بسكنتا، أنّه تمّ الاتفاق بين الشيخ أمين الجميل وقائد قوات الردع العربية سامي الخطيب على أن يتسلّم الجيش اللبناني المواقع الجردية للكتائب والأحرار، وينسحب السوريون والقوميون الى المواقع التي كانوا فيها. وأوفدت قيادة القوات للتنسيق مع الجيش مسعود الأشقر، الذي ارتدى بزّة عسكرية للجيش اللبناني والتقى الضباط السوريين. ويضيف روكز خوري: «خُدِعنا نحن والجيش اللبناني، لأنّه بعد حادث المصاطب وتدخّل الوحدات المركزية واستنفار القوات والكتائب والأحرار، تمكّنا من السيطرة على المواقع. ولكنّ الاتفاق الذي قضى بأن يتمركز الجيش اللبناني في المصاطب، وانسحبت على إثره قوات الجبهة اللبنانية، لم يتمّ الالتزام به. فعندما انسحبنا قامت القوات السورية بالسيطرة من جديد على المصاطب، ولم يسمحوا للجيش اللبناني بالصعود الى المواقع، فتمركز في دير طاميش فقط».


الشيخ أمين الجميّل مع شباب بسكنتا بعد معركة المصاطب

"النهار" الثلثاء ١٩٨٠/٥/١٣

الصفحة ٦

صمد وقف النار ليلا في الزعرور وصنين

الخطيب التقى الجميّل ونجليه والجيش و"الردع" يحلان محل الحزبيين

اسفرت الاتصالات التي اجرتها القيادات الامنية مع القيادات الحزبية عن وقف اطلاق النار مساء امس في صنين والزعرور وبسكنتا، بعد الاشتباكات التي وقعت يوم الاحد الماضي. وقبل ظهر امس ...

... السوريين لا يريدون الحرب ولا يمكن اي صاحب ضمير ان يقبل بما هو حاصل في منطقة صنين - الزعرور".

وسئل هل تناول البحث موضوع تسليم الجيش مهمات امنية في المتن العالي فاجاب: "هناك سلطة

"النهار" الاربعاء ١٤ /٥/ ١٩٨٠

الصفحة ٦

توقفت الاشتباكات في الزعرور وصنين وحل "الردع" محل القوميين في المصاطب

الخطيب التقى سعاده واتفقا على منع التصعيد



مصفحة للجيش تتحرك من بسكنتا الى جبال صنين.

وحدة من الجيش في مدرسة الفرير.

(ابراهيم الطويل)

"النهار" الخميس ١٩٨٠/٥/١٥

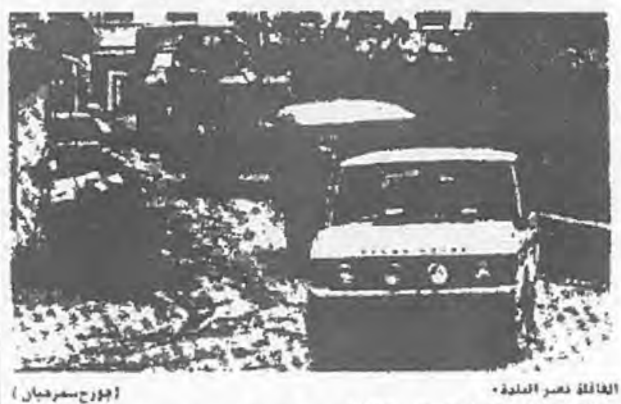
الصفحة ٦

هدوء لليوم الثاني في جبال المتن

الجيش تحرك من بسكنتا الى صنين ورداءة الطقس حالت دون وصوله



وحدة الجيش تستعد في باحة مدرسة الفرير في بسكنتا.



القافلة تعبر البلدة.

(جورج سمرجيان)

استمر الهدوء امس في منطقتي الزعرور وصنين لليوم الثاني على ...

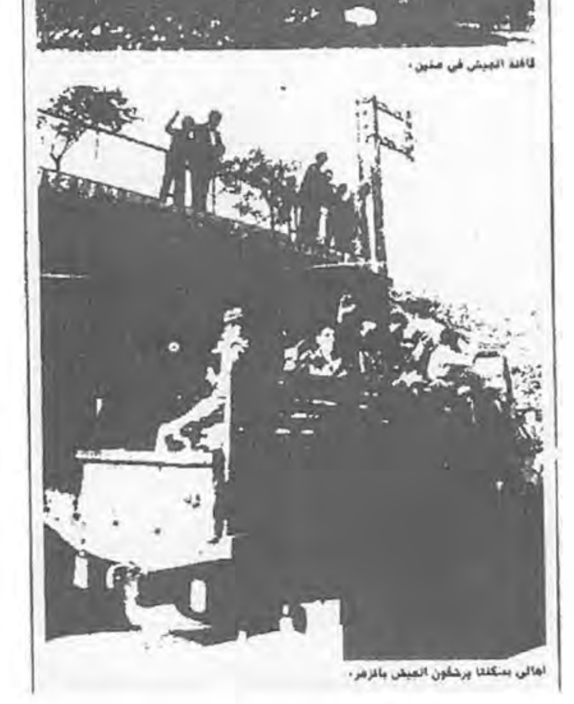
... عند سفح جبل صنين.

"النهار" الجمعة ١٩٨٠/٥/١٦

بينما يلتزم الحزبيون وقف النار

الجيش تمركز في صنين و"الردع" اليوم في المصاطب

قافلة الجيش في صنين.



اهالي بسكنتا يرشقون الجيش بالزهر.

تحصينات وطرقات

أدركت القوّات اللبنانيّة أنّ من يسيطر على تلال الجرد، تصبح قدرته مضاعفة في التحكّم بكل جبهات القتال، وخصوصاً بطريق التواصل مع مدينة زحلة التي اعتُبرت عمقاً حيوياً للمناطق المسيحية في جبل لبنان، فيما تخوّفت القوات السورية من تحوّلها الى شوكة في خاصرتها البقاعية ....

بدأ العمل على قدم وساق لتأمين تمركز مريح الى حدٍّ ما على التّلال وفي المواقع الاستراتيجية.



الايغلو

لم يكن بإمكان أي انسان الصمود في الجرد العالي أثناء العواصف الثلجية... لكنّ الجيش السوري كان يتمتّع بقدرة كبيرة لم تكن متوفرة لدى أحزاب الجبهة اللبنانية، وهي عمليات إنزال الجنود وتموينهم بواسطة المروحيات، الأمر الذي أمّن له تفوّقاً واضحاً خلال عملية سباق القمم مع بدء فصل ربيع.

الايغلو[1]

بعد معركة مصاطب بسكنتا، استنبطت مجموعة عمليات المجلس الحربي فكرة الإيغلو، وعمل أسعد سعيد وساكو الأرمني على تنفيذها.

يقول فؤاد أبو ناضر: «ركّز الايغلو في الجرد العالي، لكنه تحوّل الى ميزة لدى الجيش السوري الذي بدأ بتصنيعه بعدما اكتشفه في الغرفة الفرنسية يوم سيطر عليها خلال حرب زحلة، فأصبحت كلّ مراكز الجيش السوري على الجبال العالية تُجهّز بايغلو».



زرع الإيغلو في الثلج

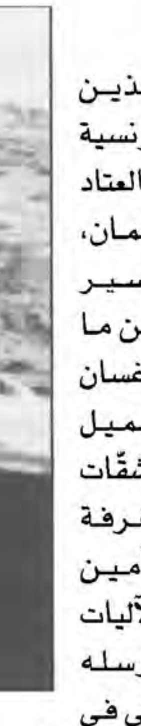
أطلقت عمليات المجلس الحربي فكرة أخرى قضت بحفر خنادق في الجرد وتفخيخها بواسطة قذائف ١٢٠ ملم...

يتذكر أسعد سعيد: «هذه القذائف وُصلت بصواعق وبحبل متفجّر تمّ مدّه عبر نزلة البحصة وصولاً الى مركز القوات اللبنانية الثابت في باكيش، على أن تُفجّر هذه القذائف في أول الربيع لتأمين المواقع قبل الانطلاق اليها... لكن حصل ما لم يكن في الحسبان وفشلت هذه الخطة إذ قامت القوارض (الفئران أو الخلد أو حيوانات برية أخرى) بقضم الأسلاك (الحبل المتفجر) وعطّلت العملية ولم تنفجر أي قذيفة قبل انطلاق السباق».

(١) الايغلو هو غرفة من مادة «فيبر غلاس» مؤلفة من قطع عدة تُركّب ببراغٍ، أرضيتها خشبية تعلو عن الارض نحو ٥٠ سنتمتراً، جدرانها وسطحها بيضاوان وفيها عازل من مادة الكوتشوك، ومجهّزة بفتحة في سقفها في حال أقفلت الثلوج بابها الجانبي، ويستوعب الايغلو نحو ١٢ عنصراً. لا تتدنى درجة الحرارة في داخله عن الصفر ويمكن تجهيزه بمدفأة.

شقّ الطرق

كان شباب زحلة الذين يتمركزون في الغرفة الفرنسية يعانون كثيراً من مشقّة نقل العتاد والطعام من عيون السيمان، وكانوا يضطرّون الى السير مسافات طويلة حاملين ما يحتاجونه... الى أن قصد غسان تنوري الشيخ بشير الجميل شارحاً له الصعوبات والمشقّات التي يتكبّدونها في الغرفة الفرنسية وطلب منه تأمين جرّافة لشقّ طريق تُمكّن الآليات من الوصول اليها... فأرسله بشير الى السيد شراباتي في شركة فيات الذي أمّن له جرّافتين نُقلتا الى عيون السيمان.



جرافة تعمل على شقّ طرقات الجرد

ويُضيف غسان: «كان يقود الجرافتين طوني التنّ وشقيقه ويوسف حنا وشاب من قاع الريم وعملوا بشكل متواصل حتى أوصلوا الطريق الى الغرفة الفرنسية.. وقام طوني التنّ بنقل مستوعبين من الحديد (كونتينر) من شركة سونابور على المرفأ الى قرب الغرفة الفرنسية، وحفر الأرض بالجرافة وزرع المستوعبين على عمق نحو ستة امتار ثم رُدما بالتراب فَشكّلا ملجأ وموقعاً محصناً».

تمّ شق طريق آخر من صنين الى شير الوردة... وتكثّف العمل في ما بعد لشقّ الطرقات بإتّجاه زحلة.

وفي جرود كسروان والمتن، قام أيضاً يوسف حنا وفايز خليل وشقيقه مارون بشقّ الطرقات في جرد عيون السيمان وقدّم لهم متري طراد وداني شمعون ونعوم خليفة جرافات وآليات للعمل...

يقول يوسف حنا: «كنّا نعمل ليلاً في أوقات كثيرة، فنعود صباحاً وعيوننا مغرورقة بالدمّ لأن الهواء لم يكن يُحتمل، ويحمل غباراً بسبب الحفر... وكانت هيئة أركان القوات تُشرف على العمل ويكون معنا دائماً عبّاس أو أسعد سعيد أو سامي خويري وروفايل مارون وهما المسؤولان العسكريان عن منطقة الجرد من قبل مفوضية كسروان الفتوح».

ويضيف حنا: «لم نتمكّن من ربط الطرقات مع زحلة، ووصلنا فقط الى المصاطب شرق جبل صنين، ولكن عندما سيطر الجيش السوري على جرود زحلة أصبح النزول من القمم الى المصاطب محفوفاً بمخاطر كبيرة».



جوزيف الياس ويوسف حنّا

معركة الميلاد - زحلة

أواخر العام ١٩٨٠، وبعد سيطرة بشير الجميل على المنطقة الشرقية لبيروت إثر معارك دموية مع حزب الوطنيين الاحرار، تمكّنت قوات حزب الكتائب من الاستيلاء على منطقة عين الرمانة، آخر معاقل الأحرار، والتي كانت بقيادة الياس الحنوش (الحنش) الذي هرب الى المنطقة الغربية بمساعدة الفلسطينيين... ثم استخدمه السوريون للسيطرة على زحلة من الداخل، وتقليص نفوذ قوات بشير الذي لمع نجمه بقوّة وأصبح القائد الوحيد المسيطر على كل المناطق المسيحية التي كانت خارج النفوذ السوري.

اغتيالات لإثارة الفتنة

بدأت مؤشّرات خطيرة تلوح في أفق مدينة زحلة، وحصلت أحداث أنذرت بهبوب عاصفة كبيرة أبرزها مقتل جورج سعادة مفوّض القوى النظامية في إقليم زحلة الكتائبي ومسؤول الكتائب في حوش الأمراء.

كان جورج سعادة معلّماً لجيل بأكمله من شباب زحلة، وترك تأثيره وبصماته على الرعيل الأول للحرب... وعندما يذكره معاصروه، لا يتمالكون شعورهم، فتترقرق الدموع في الأعين وتقف الكلمة في الحلق... جورج سعادة كان يتمتّع بخصال حميدة واندفاع ورجولة مقرونة بالتهذيب واللياقة والتفهمّ...

هو شاب مسالم خلوق، كان يسعى دائماً الى تطويق واستيعاب أي إشكال داخل المدينة، وخصوصاً في حوش الأمراء حيث العدد الأكبر لمحازبي الأحرار، وهو لم يسمح بحصول أي إشكال رغم أجواء التشنّج التي خلّفتها أحداث المنطقة الشرقية بين الكتائب والاحرار.


جورج سعاده

صباح ٢٩ ايلول ١٩٨٠ وفي تمام الساعة العاشرة والنصف، كان جورج سعادة يمارس عمله كمسؤول عن الموظفين والصيانة في مستشفى تل شيحا في زحلة عندما انقطع التيار الكهربائي فجأة عن المستشفى.

طلب جورج سعادة من أحد العمال مرافقته للكشف على غرفة المحوّل الكهربائي والتى تفصلها الطريق العام عن مبنى المستشفى.

دخل جورج والعامل الغرفة، وتبيّن له أنّه يحتاج الى عدّة للعمل نسي إحضارها (مفكّ، براغي وغيرها...)، فطلب من العامل العودة الى غرفة الصيانة في المستشفى لجلبها... ذهب هذا الأخير وعاد بعد دقائق معدودة ليجد سعادة جثة هامدة مضرّجة بالدماء ومصاباً برصاصات عدّة، ودماؤه تسيل داخل غرفة المحرّك... (عُلم في ما بعد أن مجموعة من الفلسطينيين التابعة لأحمد اسماعيل والمرتبطة بالجيش السوري هي التي نفّذت عملية اغتيال سعادة).

وقع مقتل سعادة كالصاعقة على شباب زحلة وخصوصاً رفاقه في حزب الكتائب، ونفّذت المدينة في ٣٠ أيلول اضراباً

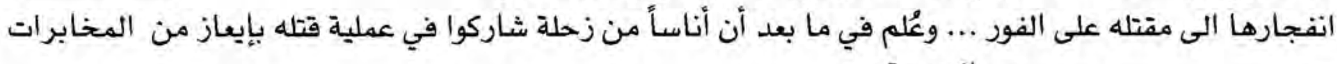
سلمياً استنكاراً للإغتيال الذي اعتبره المحازبون شرارة الحرب.

بدأ السوريون تحريك المجموعات المحلية في بعض الأحزاب الأخرى لإيقاع فتنة بين أهالي زحلة تؤدّي الى حرب داخلية تُنهي كلّ أمل للمقاومة وتسمح لهم بالسيطرة على المدينة.

كانت كلّ الأحزاب الزحلية تعي خطورة الانقسام، لذلك عملت متآزرة على الأرض على توحيد البندقية لمنع الوقوع في فخّ التقاتل الداخلي. وقامت القوات اللبنانية بإيفاد مسؤولين من بيروت بالتنسيق مع القوى في زحلة لرأب أي صدع.

فوزي خزاقة

بعد جورج سعادة، اغتيل فوزي خزاقة، مفوّض القوى النظامية الكتائبية في قضاء زحلة ورئيس قسم جديتا الكتائبي، فبعدما انطلق بسيارته من زحلة الى بلدته جديتا حيث يسكن طاردته سيارة مقابل دار المعلمين، وألقت أثناء تجاوزه قنبلة يدويّة داخل سيارته... فأدى



انفجارها الى مقتله على الفور ... وعُلم في ما بعد أن أناساً من زحلة شاركوا في عملية قتله بإيعاز من المخابرات السورية.



إيلي حبيقة

تتابعت عمليات القتل والأحداث التي كانت تهدف الى تحضير أجواء الحرب. ففي ١٢ كانون الاول ١٩٨٠، اختفى السيد جوزيف أبو يونس المسؤول العسكري لحزب الوطنيين الأحرار في زحلة، والذي كان توجّه قبل يومين الى بيروت، وشوهد آخر مرة في محلة مار مخايل الشياح. (وُجّهت أصابع الاتهام الى القوّات اللبنانية التي كانت تتهم أبو يونس بالمشاركة والتحريض على مقتل جورج سعادة)، كما قُتل روكز القاصوف وهو من محازبي الأحرار أيضاً قرب الدامور على يد مجموعة فلسطينية... (اتُّهم ايلي حبيقة بتجنيدها للانتقام من الضالعين بمقتل جورج سعادة).

استخدام الحنش

رداً على اختفاء مسؤول الأحرار أبو يونس، وصل الى زحلة مساء الأحد ١٤ كانون الاول ١٩٨٠، ٥٠ مسلحاً على رأسهم الياس الحنوش الملقب بالحنش، واتّخذوا مواقع قتالية قرب تمثال السيدة العذراء في حوش الأمراء، فاستنفر شباب الكتائب واتّخذوا مواقع قتالية في مواجهتهم.



الياس الحنش

نتيجة لهذا الواقع المستجد، عُقد اجتماع مساءً في دار المطرانية المارونية حضره الوزيران جوزيف سكاف والياس الهراوي والنائب سليم المعلوف، والمطرانان أغسطينوس فرح وجورج اسكندر، والمقدّم محمد غانم من قوات الردع السورية، وبعض ممثلي الأحزاب، واتّفق المجتمعون على وجوب الإسراع في معالجة الوضع.

استمرّت الاتصالات صباح الاثنين ١٥ كانون الاول في محاولة لسحب مسلّحي الحنش من المواقع التي تمركزوا فيها، وعُقد اجتماع آخر حضره محافظ البقاع هنري لحود والمطران فرح والمقدّم محمد غانم، وتقرّر فيه تكليف قوى الامن الداخلي وقوات الردع حسم الوضع في حوش الامراء.

في غضون ذلك، بدأت مناوشات كلامية بين عناصر الكتائب ومجموعة الحنش في حوش الأمراء، تطوّرت بعد ظهر الإثنين ١٥ كانون الاول الى إطلاق نار، فأصيب بيار موسى فزّاع (١٧ عاماً) برصاصة في رأسه وقُتل على الفور، كما أصيب جان نخله في رأسه، وبعض العناصر الأخرى بجروح طفيفة.

كان السوريون يتواجدون في قلب زحلة ويتمركزون قرب اوتيل قادري وعلى الوادي، وكان هناك مكتب للمخابرات السورية على جسر مدخل زحلة ما لبث أن أصبح مركزاً عسكرياً كبيراً مدعّماً بـ ٨ دبابات، وسيطر الجيش السوري على كلّ المباني القريبة من الجسر.

نتيجة ذلك ساد الاقتناع بأن الجيش السوري يهدف الى السيطرة على المدينة بالكامل.

تكثّفت الاتصالات على كلّ المستويات لمحاولة تفادي الانفجار، وعَيّن الرئيس كميل شمعون، مسؤولاً جديداً عن الأحرار في زحلة هو ميشال فلفلي الذي قابل قائد سرية الدرك المقدّم رفيق فغالي وأبلغه أن الحزب يرغب في تسليم مركزه في حوش الأمراء الى قوى الامن الداخلي.

الساعة السادسة والنصف مساءً، أبلغ العقيد عبده من قوات الردع السورية المقدّم رفيق فغالي مسؤول الامن الداخلي في المدينة أنّه سيُسيّر دوريات مدرّعة في حوش الامراء، وأن هذه الدوريات ستقصف المصادر التي تطلق منها النار أياً كانت. وقد أبلغ المقدّم فغالي ذلك لمسؤولي الكتائب والأحرار.

الساعة الثامنة مساءً، حصل اجتماع لمسؤولي الكتائب مع فعاليات المدينة وقرّروا اقتحام مراكز الأحرار التي احتلّتها مجموعة الحنش.



مجموعة من كتائب حوش الأمراء

طُلب من أبناء زحلة الأحرار ترك المراكز التي ستُداهم ومنهم سامي يونس وخلف... وطوني غزالة... وسامي أنطون الذي كان شقيقه عادل مع الكتائب ...

وبعد أن خرج أحرار زحلة من مركز حوش الامراء، قامت، عند الساعة العاشرة ليلاً، مجموعة تضمّ نحو ٥٠ مقاتلٍ

بقيادة جورج سماحة ومعه ع. انطون، هـ. صادر، ن. طعمة، م. غيّة، وجدي ديب وطوني طاش... بمهاجمة مركز الأحرار، ودارت معركة استمرت نحو ساعة استخدمت فيها القذائف الصاروخية والأسلحة المتوسطة والخفيفة، فانسحبت مجموعة الحنش بإتّجاه الحي الوطني حيث يتمركز السوريون.

غنم شباب زحلة من مركز حوش الامراء عدداً كبيراً من الأسلحة بينها رشاشات ٨٠٠ و٥٠٠ وقاذفات ب٧ وألغام وقنابل يدويّة وبنادق.. (خُبئت جميعها في منزل مسعد واستخدمت في ما بعد في حرب زحلة).



الرئيس كميل شمعون وابنه داني

عُقد اجتماع في مطرانية زحلة ضمّ المطرانين جورج اسكندر وأغسطينوس فرح ومحافظ البقاع بالوكالة السيد سليم جدعون، وأجريت اتصالات مع القصر الجمهوري والوزيرين جوزيف سكاف والياس الهراوي لمعالجة الموقف. وأجرى الوزير سكاف اتصالات بالرئيس الياس سركيس والرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل.

بعد ذلك، سيطر هدوء حذر على أحياء زحلة، إلاّ أن مجموعة الحنش التي انسحبت من زحلة أقامت حواجز على طريق شتورا -جديتا، وخطفت عدداً من أبناء زحلة منهم جريس الصبّاغ ويوسف صادر الشماس وطانيوس نجيب خزاقة وحنا جوراني وابنه. ولم تسفر الاتصالات السريعة عن إطلاق سراحهم. ودعا الرئيس كميل شمعون المسؤولين عن الأحرار في زحلة الى التهدئة وقال: «تلقّيت مخابرة هاتفية من داني (ابنه الموجود في الخارج...) يستنكر فيها كل عمل يستهدف الإخلال بالأمن في مدينة زحلة العزيزة، وهو يطلب من الجميع في زحلة ومنطقتها

حاجز سوري حول زحلة

الخلود الى السكينة والمحافظة على راحة المواطنين وسلامتهم والتعاون الوثيق مع القوات الشرعية».

حادث يوم الاثنين لم تنته فصوله وذيوله بل أدّى الى مضاعفات. فبعد الهدوء الذي سيطر ليل الاثنين- الثلثاء ١٥-١٦ كانون الاول ، والاتصالات التي أجريت على أكثر من صعيد، دخلت قوّة من الجيش السوري مركز حزب الوطنيين الأحرار في حوش الامراء وتمركزت فيه، ووجهت قوات الردع السورية إنذاراً لإقفال كلّ المراكز الحزبية في زحلة، فتوتّرت الأجواء بعد ظهر الثلاثاء، وبدأت المتاجر تقفل أبوابها، ولزم الزحليون منازلهم بعدما أحسّوا ان المواجهة تقترب.

تكثّفت الاتصالات على أعلى المستويات لإيجاد حلّ سريع وأثمرت إتّفاقاً قضى بإخلاء مركز حزب الكتائب في حوش الأمراء والغاء المظاهر المسلّحة في أحياء زحلة، وأصدرت قوات الردع العربية بياناً قالت فيه:

«في أعقاب الإشتباك الذي وقع في منطقة حوش الامراء وانتشار المظاهر المسلّحة، تدخّلت قوات الردع العربية بالتنسيق مع قوى الأمن الداخلي وطلبت من الأحزاب المعنية في مدينة زحلة إقفال كلّ مكاتبها الحزبية الفرعية على غرار ما جرى في المنطقة الغربية من العاصمة، على أن يُترك المكتب الرئيسي لكلّ حزب لممارسة النشاطات الحزبية والسياسية فيه من دون أي مظهر مسلّح. وقد أُنذر الجميع بأن قوات الردع العربية بالتنسيق مع قوى الأمن الداخلي ستقمع كلّ مظهر مسلّح بالوسائل اللازمة».

الأربعاء ١٧ كانون الاول ١٩٨٠، خيّم الهدوء على زحلة وعلى حوش الأمراء، وتابعت قوات الردع العربية تسيير دوريات مؤللة في شوارع المدينة وأحيائها، وأقام السوريون بالتعاون مع قوى الامن الداخلي حواجز ثابتة ومتنقّلة، في وقت كان وزير الدفاع جوزيف سكاف يجتمع بقائد قوات الردع العربية العميد سامي الخطيب ليطّلع منه على التقارير عن الوضع في زحلة والبقاع، طالباً تنفيذ الإجراءات الأمنية المتّخذة بدقّة وعلى نطاق شامل، والبحث مع الفعاليات الزحلية في مسألة اقفال المكاتب الفرعية للأحزاب كي يحظى القرار بتأييد الجميع ويُنفّذ طوعياً.

لم يرضَ السوريون بالنتيجة التي انتهت اليها الأحداث، وأوعزوا لمجموعة الياس الحنش بالتحرّك من جديد، فدخل مساء الجمعة ١٩ كانون الاول ١٩٨٠ الساعة السادسة مساءً ٤٠ عنصراً الى مفوضية الأحرار في شارع الجسر، وأطلقوا النار في الشوارع بشكل عشوائي لإثارة الذعر والهلع، فخلت الطرقات وأُقفلت المتاجر وفرّ المواطنون الى منازلهم. وما لبث ان اشتبك شباب زحلة مع مجموعة الحنش في أحياء عدّة، واستُعملت الاسلحة الرشاشة والقذائف الصاروخية، فقتل ادمون سمعان الكفوري (٢٠ عاماً) من مقاتلي الكتائب وسقط عدد من الجرحى.

إثر ذلك، شنّ شباب زحلة هجوماً على مفوضيّة الأحرار انتهى باحتلالها واستسلام بعض العناصر وفرار الآخرين.

ويروي أحد مسؤولي القوّات في زحلة ما حصل مساء ذلك اليوم: «قرّرنا أن نهاجم مجموعة الحنش لإخراجها من مفوضية الأحرار، كنّا نحو ٤٠ عنصراً نزلنا من منطقة الميدان وانقسمنا الى مجموعتين، تقدّمت الأولى بقيادة ج. العجوري من جهة سوق الخضار، بينما تقدّمت الثانية بقيادة منير من قرب منزل آل ماروني (منزل النائب ايلي ماروني)، كما جاءت مجموعة من جهة حيّ البربارة بقيادة فؤاد المختار، وشباب حي مار الياس من جهة سوق الفحم، ونزلوا بإتّجاه الكاراجات بقيادة ف. لطوف وج. توما (الكابتن) .


الرئيس الياس سركيس والوزير جوزيف سكاف

يتابع المسؤول القواتي: «بدأنا برمايات رشاشة على مفوضية الأحرار، ثم دارت معركة عنيفة استخدمت فيها الأسلحة المتوسطة وقذائف الـ ب٧، قبل أن تبدأ المفاوضات لاستسلام مجموعة الحنش. ثم بدأ منير وسمير التن باستقبال العناصر وتفتيشهم بعدما وضعوا أسلحتهم أمام باب المفوضية وهي كناية عن رشاشات فردية وبعض قاذفات اللانشر وقاذفات ب٧. كما نقل بعض مصابيهم الى المستشفى».



مجموعة من كتائب حي البربارة- زحلة

ويروي أحد المسؤولين من شباب البربارة: «تمّ تهريب القسم الأكبر من شباب الحنش من باب خلفي يؤدي الى أحد المنازل، وحاول السوريون من مركزهم قرب أوتيل قادري التحرّك لدعم مجموعة الحنش، لكنّ دوريتهم وقعت في كمين مُحكم وسقط منها ٦ قتلى، فتطوّر القتال الى مواجهات مع القوات السورية رافقه قصف مدفعي صاروخي سقط بنتيجته قتيلان هما نقولا نعيم حداد وجرجس المعلوف».

يقول أحد المسؤولين الحزبيين في زحلة: «إثر الهجوم على مفوضية الأحرار، تحرّكت شاحنة للقوات السورية من مركزها قرب أوتيل قادري وفيها ثمانية عناصر، وسارت بإتجاه ساحة الشهداء، الا ان شباب حارتَي الراسية والبربارة نصبوا لها كميناً، وعندما أصبحت في مرماهم، أمطروها بالرصاص فقُتل جميع عناصر الدورية السورية باستثناء جندي واحد أُصيب، ونقله الصليب الاحمر الى المستشفى».

بقيت خمس جثث سورية مرمية قرب محلة الليدو في زحلة وتعذّر سحبها بسبب استمرار اطلاق النار على كل تحرّك آلي أو بشري على البولفار وفي الأحياء الرئيسية. وقام فؤاد وشويري بتجميع السلاح الفردي من السوريين ووضعه في ثكنة البربارة...

أنزلت الطوافات السورية جنوداً في محيط المدينة، وأخذ الحاجز السوري على مستديرة القادري يفتّش السيارات ويمنع المرور نزولاً نحو ساحة الليدو، كما منع حاجز آخر على مدخل زحلة الدخول الى المدينة، فيما تمركز شباب زحلة في مفوضية الأحرار.

أصرّت القوات السورية على تسليم الذين كمنوا للشاحنة السورية وقتلوا ٦ عسكريين وجرحوا ٢ بينهما ضابط في محلة الليدو، وأصدرت بياناً جاء فيه: «بتاريخ الجمعة في ١٩ -١٢- ١٩٨٠، حصل توتر في مدينة زحلة بين مجموعة من حزب الكتائب ومجموعة أخرى من حزب الوطنيين الأحرار بسبب افتتاح مكتب في محلة سوق الخضر، وتطوّر

الوضع بين الفريقين الى اشتباك بالأسلحة الحربية، ما أدّى الى تدخّل قوات الردع العربية لحفظ الامن وإعادة الأمور الى مجراها الطبيعي، وسيّرت الدوريات اللازمة لذلك. الا ان إحدى هذه الدوريات تعرّضت لاطلاق نار ما أدى الى استشهاد خمسة عناصر وجرح اثنين آخرين.

ان قوات الردع العربية جادّة في ملاحقة الفاعلين وضبط الامن في مدينة زحلة».

بحثت فعاليات زحلة في دار مطرانية الروم الكاثوليك التطوّرات وإصرار السوريين على تسليم مُطلقي النار في اجتماع حضره الوزير الياس الهراوي والنائب سليم المعلوف والمطرانان فرح واسكندر، وأمين محافظة البقاع سليم جدعون، وممثلون عن الأحزاب والفعاليات الزحلية، وأجرى المجتمعون اتصالاً بالقصر الجمهوري من أجل تحديد موعد لوفد زحلاوي يضمّ الوزير الياس الهراوي والنائب سليم المعلوف، والمطرانين فرح واسكندر لزيارة دمشق ومقابلة الرئيس حافظ الأسد ورئيس هيئة الأركان العماد حكمت الشهابي ومسؤولين آخرين من أجل البحث معهم في حلّ المشكلة الأمنية في زحلة.

وفي بيروت، أجرى الرئيس كميل شمعون اتصالاً بالشيخ بشير الجميل واتّفقا على الخطوات الواجب اتخاذها لتجنيب زحلة والبقاع خطر توسّع الاشتباكات، واتصل داني شمعون، أمين الدفاع في حزب الأحرار، من لندن مستوضحاً ومستنكراً الحوادث التي تجري في زحلة والبقاع.

صباح الأحد ٢١ كانون الاول ١٩٨٠، أفاقت زحلة على طوق فرضته القوات السورية حول المدينة، وتركّزت



شباب من زحلة عام ١٩٨٠

الحشود حول تمثال السيدة العذراء حيث شوهدت الدبابات السورية. وفيما اتصلت مواقع قوات الردع ببعضها على خط ضهور الشوير حزرتا، استنفر مقاتلو زحلة واتّخذوا مواقع في مواجهة التحرّكات السورية.

كان شباب الميدان ينفّذون انتشاراً كلّ ليلة فوق الكرك في منطقة عين الحجر، وينسحبون مع الفجر. قام الجيش السوري فجراً بعد انسحاب الشباب بانتشار عسكري في المنطقة حتى ضهرة الحمّار. ومع الصباح، اعتقلت القوات السورية عدداً من المزارعين كانوا متوجهين الى كرومهم لتشذيبها وبينهم شاب مسالم غير حزبي يدعى ميشال نبهان كان يحمل بندقية صيد.

ويروي ج داوود: «علم شباب الميدان بعد خروجهم من القداس قبل ظهر الأحد بخطف نبهان فصعدوا الى الحمّار... والتقوا بسليم عاصي وبيار الحاج اللذين صعدا لمعرفة مصير الشباب المعتقلين.

نزل بيار الحاج الى المعلّقة وسليم عاصي الى الميدان لجلب قوّة والصعود لمواجهة الجيش السوري، فيما نصبت مجموعة مع ج. عجوري كميناً لشاحنتين سوريتين واشتبكت مع الجنود موقعة اصابات في صفوفهم».

إثر ذلك، بدأ السوريون يوسّعون انتشارهم من جهة الكرك وقصفوا من تلّة حميمص، حي الميدان بعنف امتداداً من الساحة حتى الحمّار لمنع وصول الامدادات لمساعدة مجموعة عجوري التي عَلقت في التلال بعد سيطرة السوريين على تلّة الحمّار والتلة البيضاء.

ويقول منير: «كنّا بدأنا بتنظيم الحراسة في المواقع حول المدينة، وكان الشباب المدرّبون يسهرون ليلاً حتى انبلاج الفجر، فيما يتولى الشباب المبتدئون المراقبة في النهار.

وبعد ذهاب حرّاس الليل الى بيوتهم للنوم، بدأ الجيش السوري بالتوغّل ابتداء من الساعة الثامنة صباحاً بواسطة جيبات وشاحنات عسكرية، فتصدّى لهم شباب الحمّار في طلعة محقان مقصود في مزرعة عبود، وحصل اشتباك بالأسلحة الفردية والمتوسطة، فانسحب شباب زحلة باتّجاه المدينة، وتمكّن السوريون من الدخول الى المواقع ووصلوا الى مفرق المدرسة الانجيلية في الحمّار. في غضون ذلك، استفاق الشباب الذين كانوا يحرسون ليلاً، وكان أول الواصلين شباب البربارة مع المسؤول عنهم، ثم انضم اليهم نحو أربعين عنصراً من شباب الميدان وتمكّنوا من إيقاف تقدّم السوريين بعد معركة عنيفة، ونفّذ السوريون رمايات كثيفة من تمثال السيدة العذراء، فانتشرنا بين المنازل وتمكّنا من صدّ الهجوم، فتراجع السوريون الى التلّة ولم يعودوا مكشوفين على زحلة».

أصيب نتيجة المعركة شاب من آل عموري وايلي شلهوب وسركيس غزالي بقذيفة دبابة أطلقت على تلة جحا، ونُقل المصابون الى مستشفى خوري واستمرت المعركة والمناوشات طوال الليل في تلّة جحا (الزيتونات) وسط قصف عنيف على زحلة.

أنزلت ثلاث مروحيات سورية وحدات مقاتلة خاصة جنوب المدينة الصناعية حيث أفادت معلومات عن وقوع اصابات سورية، كما قصفت المدينة بعنف بقذائف من عيار ١٦٠ ملم و١٢٠ ملم، إضافة الى الدبابات والراجمات.

سقط ١٥ جريحاً في صفوف الزحليين، من بينهم المعاون في الجيش اللبناني بهيج معلوف وطانيوس جبور وأحدث القصف اضراراً جسيمة في المنازل والمباني خصوصاً في حوش الزراعنة والبربارة والمدينة الصناعية وحوش الأمراء والمعلّقة.

ازاء هذا التدهور الخطير، عقدت الفعاليات الزحلية اجتماعاً في السرايا ضمّ الوزير الياس الهراوي والنائب سليم المعلوف وراعي أبرشية الروم الكاثوليك المطران اغناطيوس فرح وقائد سرية الدرك المقدّم رفيق الفغالي وأمين سرّ محافظة البقاع سليم جدعون ومسؤولين حزبيين منهم ج. سماحة وجوزيف حداد وهيكل أبو عبود... فيما غاب عن الاجتماع المطران جورج اسكندر الذي تعذّر عليه دخول زحلة بسبب الطوق الذي فرضته القوات السورية إذ قدّرت مصادر كتائبية الحشود السورية حول زحلة بنحو ٦ آلاف جندي.

بحث المجتمعون ملابسات التدهّور ومطالب قوات الردع العربية وأبرزها تسليم الذين اطلقوا النار على الشاحنة

السورية التي قُتل فيها ستة جنود، واعتبر اهالي زحلة ان القتلى السوريين سقطوا نتيجة الاشتباكات ولم تتوفّر معلومات دقيقة عن هوية مطلقي النار.

خلال الاجتماع، اتصل الوزير الياس الهراوي بالعقيد محمد غانم طالباً منه وقف إطلاق النار وإرسال سيارة لنقل لجنة الى شتورة للقائه.

الساعة الثامنة ليلاً، توقّف اطلاق النار وانتقل الوفد الزحلي الى شتورا وضمّ الوزير الهراوي والمطرانين فرح واسكندر والشاعر سعيد عقل.

في بيروت، التقى الوزير جوزيف سكاف العميد سامي الخطيب وتوجّه الى القصر الجمهوري وعرض ما يجري مع الرئيس الياس سركيس، فيما سأل وزير الدولة جوزيف ابو خاطر كيف تمكّن غرباء عن زحلة من دخولها مدجّجين بالسلاح وإطلاق الرصاص في الشوارع الآمنة وكيف تطوّر الامر الى هذا الحد الخطير؟ وأضاف ان تخطيطاً مجرماً كان وما زال وراء هذه الأحداث ووراء ما تعانيه المناطق اللبنانية الواحدة تلوى الأخرى...

في المجلس الحربي، عُقد اجتماع ضمّ الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل والشيخ بشير الجميل والأباتي بولس نعمان وكريم بقرادوني وفؤاد روكز واتيان صقر وأبو روي وجان ناضر. وقال الرئيس شمعون بعد الاجتماع: «...ان مدينة مسيحية كزحلة تعدّ أكثر من ٢٠٠ ألف نسمة من المدنيين تتعرّض لقصف عنيف... هذا يعني أن الرواية التي تمثّلت في الأشرفية (حرب المئة يوم صيف ١٩٧٨) ستتمثّل في زحلة على نطاق أوسع بكثير...»[1].

قيادة القوات اللبنانية اجتمعت في ما بعد برئاسة الشيخ بشير الجميل واتّخذت التدابير التالية:

١- وضع كل امكاناتها بتصرّف أهالي زحلة لمواجهة هذا العدوان السوري الجديد.

٢- التحضير لتقديم شكوى مستعجلة الى مجلس الأمن الدولي والى الامين العام للأمم المتحدة تستند الى قرار مجلس الامن الرقم ٤٣٦ تاريخ ٦- ١٠- ١٩٧٨، وتؤكّد على ضرورة إقرار مبادرة عملية من الأمم المتحدة تهدف الى وضع حدّ للتعديات السورية على المدنيين.

٣- الطلب من الصليب الأحمر اللبناني التدخّل لتأمين المساعدات الطبية للجرحى وإرسال المواد الغذائية الضرورية للمدينة.

٤- وضع الدولة أمام مسؤولياتها وحثّها على اتخاذ المواقف التي يمليها عليها الواجب الوطني والقومي واعتبار زحلة أرضاً لبنانية مثلها مثل الجنوب الذي يحظى الآن بكل الجهود الرسمية من دبلوماسية وسياسية واجتماعية ومالية.

بدوره، عقد المجلس الكاثوليكي جلسة طارئة وأصدر بياناً طالب فيه رئيس الجمهورية بالتدخّل لوقف التحرّك المسلّح، وناشد العالم الكاثوليكي ولا سيما الفاتيكان العمل لدى الدول الكبرى من أجل الضغط على المعنيين لسحب جميع المسلحين، ودعا وزراء زحلة سكاف والهراوي وأبو خاطر الى تقديم استقالاتهم فوراً احتجاجاً على ما يجري.

الاثنين ٢٢ - ١٢-١٩٨٠ ولليوم الثاني على التوالي، عاشت زحلة ومحيطها جحيم القصف العنيف وذلك بعد انهيار وقف اطلاق النار الذي اتفق عليه ليل الأحد في شتورة في الاجتماع الذي ضمّ الوفد الزحلي وقيادة الردع. تعذّر تنفيذ فك الحصار عن المدينة، وبدأ انهيار وقف إطلاق النار خلال الليل عندما بدأت الرمايات المتقطعة بين مواقع الزحليين والجيش السوري. ومنذ ساعات صباح الاثنين، تمركز المزيد من الآليات السورية حول المدينة وعلى التلال المشرفة عليها كما عزّزت القوات اللبنانية مراكزها المواجهة.

في الساعة العاشرة والنصف صباحاً، بدأت القوات السورية هجوماً على محورين الأول على حوش الأمراء والثاني

---

(١) ما توقّعه الرئيس شمعون حصل في أول نيسان ١٩٨١ وحوصرت زحلة لثلاثة أشهر.

على تلة الحمّار.

في حوش الأمراء، حاولت المدرعات السورية التقدّم تحت غطاء من القصف المدفعي فتصدّى لها شباب زحلة بالأسلحة المضادة للدروع فتعطّلت دبابة وتوقّف الهجوم بعد نحو ساعة ونصف.

أمّا في الحمّار فاستمرّ الهجوم السوري من الساعة العاشرة صباحاً حتى الثانية عشرة والنصف وفشلت القوات السورية في التمركز على خزّان المياه على التلّة. فيما كانت أحياء الميدان وحوش الزراعنة والمعلّقة والمدينة الصناعية وحوش الأمراء تتعرّض لقصف الدبابات والمضادات، فأصيب عدد من المنازل وقُطع التيار الكهربائي عن معظم أحياء المدينة.

طائرات وحصار وبيانات

حلّقت فوق زحلة وتلالها وفوق تلال الزعرور وصنين أربع طائرات سورية من طراز ميغ ٢١ لمدة ٢٥ دقيقة، بعد ذلك توقّفت الإشتباكات باستثناء بعض الطلقات المتقطعة من المضادات.

وبنتيجة اشتباكات يومي الاحد والاثنين ٢١ و ٢٢ كانون الأول ١٩٨٠، سقط ١٢ قتيلاً وأكثر من ٢٠ جريحاً، ومن القتلى شمعون ملو وولديه ابراهيم واومير، زوجة جورج ليون، زوجة نايف الكفوري، ابنتي جريس صوايا. ونقلت الى مستشفى تل شيحا أربع جثث من حوش الأمراء، كما جرح كل من طانيوس جبور، فريدريك اتيان، ايلي جوزيف القضماني، رفيق افرام، جان خوري، ريمون عطّار، فيليب خوري، جوزيف قسيس، جوزيف خميس، سركيس غزالة، جوزيف عبدو، ميرنا صوايا، مرسال صوايا، سمير صوايا. ودمّر القصف نحو عشرين منزلاً، فيما لم تتوافر معلومات عن حجم الإصابات في صفوف قوات الردع السورية.



طائرات الميغ حلّقت فوق المدينة

في بيروت، أصدرت القوات اللبنانية بياناً أوردت فيه تسلسل الأحداث وجاء فيه: «في السادسة والثلث من صباح الاثنين ٢٢-١٢-١٩٨٠، بدأت القوات السورية هجوماً مركّزاً... على محورين الأول محور الحمّار، والثاني عبر السهل بإتّجاه حوش الأمراء، ومهّدت القوات السورية لهجومها بقصف مركز... وصدّ الأهالي الهجوم بضراوة فسقط ٨ قتلى و١١ جريحاً.

عند العاشرة والنصف، تمكّنت بضع آليات سورية من دخول حوش الأمراء، لكنّ المدافعين عطّلوا آلية سورية فتوقّف الهجوم، وسقط في هذه المعركة ٣ قتلى و٥ جرحى في حال الخطر بينهم أطفال، أحدهم من آل صوايا.

أما في منطقة الحمّار، فحصلت معركة بين العاشرة والحادية عشرة والنصف توقّفت بنتيجة الاتصالات التي تكثّفت... وسُجّل سقوط أكثر من ألف قذيفة هاون من عيار ١٢٠ ملم و٨٢ ملم ومدافع دبابات مباشرة وقذائف بعيدة المدى وراجمات الصواريخ على أحياء زحلة وتلالها...

سُجّلت عمليات إنزال بواسطة طائرات مروحية في منطقة ضهر التّلاجة في جوار مدينة زحلة، وقامت هذه

الطائرات بتنفيذ عمليات تموين للعناصر بينما أقام السوريون حواجز في تعنايل ما لبثوا أن سلّموها الى جيش لبنان العربي، وأوقفت هذه الحواجز ٥٠ مواطناً لبنانياً لم يُعرف مصيرهم بعد.

الساعة الثانية عشرة والنصف حلّق طيران سوري حربي فوق زحلة.

الخسائر السورية بلغت في معلومات أولية تعطيل مدرعتين وبضع سيارات عسكرية، ومقتل ٥ عناصر وجرح ١١ في حوش الأمراء».

الحزب السوري القومي الاجتماعي أصدر بياناً من جهته أعلن فيه أن لا علاقة له بما يجري في زحلة، واعتبر الأحداث حلقة من حلقات حرب التصفية بين حزبي الكتائب والأحرار، ودعا الى إقفال كل المراكز الحزبية وإزالة كلّ المظاهر المسلحة في زحلة وإطلاق يد قوات الردع العربية للقيام بمهامها الأمنية...

واعتبر البيان ان الميليشيات الكتائبية وجّهت نيرانها الى قوات الردع غدراً، فأوقعت عدداً من الشهداء والجرحى.

الحركة الوطنية في البقاع أوردت بدورها بياناً اتّهمت فيه الكتائب بالإعتداء على قوى الأمن الداخلي وقوات الردع العربية... واتّهمت رئيس اقليم زحلة الكتائبي جورج كفوري بالسيطرة على مكتب المحافظ، وأوردت الحركة في بيانها جملة نقاط اعتبرتها وقائع منها: «إزالة التنظيم العسكري لجوزيف سكاف وإقفال مراكزه... تصفية مسؤولي الأحرار من روكز القاصوف الى جوزيف بو يونس... احتلال مراكز الاحرار في زحلة وتعرّضها لهجوم مركّز عندما حاولت بعض العناصر إسترجاع أحد مكاتبها (المقصود مجموعة الحنش[1] في المدينة)... ما أدّى الى قتل عدد من الطرفين واعتقال بقية الموجودين. وفي الوقت نفسه، غدرت العناصر الكتائبية بدورية للردع كانت متوجّهة للفصل بين المتقاتلين، فاغتالت قائدها وأربعة عناصر وجرحت اثنين وفرضت على المدينة جوّاً ارهابياً بعدما استنفر المقاتلون كلّ قواهم ونصبوا الكمائن، وتركوا جثث جنود الردع في الشارع ومنعوا سحبها، ثم وجّهوا انذاراً الى مراكز الردع بتسليم أسلحتها وآلياتها والخروج من المدينة. وعندما رفض الردع وطالب بتسليم الفاعلين، رفض طلبه وفتحوا النار على المراكز الردعية وقطعوا عنها طرق الإمداد والتموين. وبعد انذارات متتالية أقدم الردع على العمل لتأديب الخارجين على القانون واعتقالهم».

يوم الثلاثاء ٢٣- كانون الاول ١٩٨٠، أدى الحصار الذي بقي مفروضاً على زحلة ومقتل ضابط سوري في المعلّقة الى تدهور الأوضاع بعد فترة هدوء، فاستُؤنف القصف وحلّقت صباحاً طائرتا ميغ ٢١ فوق المدينة. وسبق ذلك قيام الوزير الياس الهراوي ورئيس اقليم الكتائب جورج كفوري بجولة على الأسواق فزارا حاجز الجيش السوري قرب فندق قادري وتحدّثا مع عناصره.

---

(١) اغتيال الحنش

في ١٥ آب ١٩٨١، اغتيل المسؤول السابق عن نمور الأحرار في عين الرمانة الياس يوسف الحنوش (٣٨ عاماً) الملقّب بـ«الحنش» في محلة الروشة.
كان الحنش قد صعد في الساعة التاسعة والنصف صباحاً الى سيارته المرسيدس الكحلية اللون ذات الرقم ٤٠١٢، والتي كانت متوقفة أمام فندق «أوريانت بالاس» حيث يقيم، وصعد معه ابنه آلان (٧ أعوام) وابنته مَي (٩ أعوام) ومرافقه الفلسطيني ميلاد جميل عبيد (٢٧ عاماً)، وهو ينتمي الى جهاز الامن المركزي في حركة فتح واللبناني عبد المجيد محمود صفا (٤٤ عاماً) مدير الفندق وابنه نزار عبد المجيد صفا (٣ أعوام).
انطلق الحنش ومن معه في اتجاه كورنيش البحر، وما ان وصلت السيارة الى تقاطع شارعي استراليا والاندلس في محلّة الروشة، حتى أُطلقت عليها النار بغزارة من قبل مسلّحَين يحملان رشاشي كلاشينكوف، وقد أصيبت السيارة بعشرات الطلقات، وكذلك ركابها، فقُتل على الفور الحنش وابنه وابنته ومرافقه ومدير الفندق، وأصيب الطفل نزار صفا بجروح، كذلك أصيب خطأً أمين أحمد عياش (٥٥ عاماً) الحارس في بناية الهندي القريبة من المكان. وشوهد المسلحان يغادران المكان في سيارة بيجو ٣٠٤ بيضاء كانت تنتظرهما وفيها سائق، وقد انطلقت بسرعة الى جهة لم يتوصّل التحقيق الى معرفتها.
تولّى الطبيب الشرعي الدكتور أحمد حارثي تشريح الجثث - فتبيّن أن الياس الحنوش أُصيب بستّ رصاصات قاتلة في رأسه وصدره، وأن ابنه آلان أصيب بستّ رصاصات أيضاً وابنته مي بأربع. أما مرافقه، فقد أصيب بتسع رصاصات في رأسه وجسمه، وأصيب عبد الحميد بثلاث رصاصات في رأسه وصدره.
أما الطفل نزار، فقد أصيب برصاصتين مسحتا جلده مسحاً في الجبين والكتف اليمنى وأجريت له الاسعافات.
وكان الحنش عاد قبل يومين من الخارج، وهو كان نجا من محاولة اغتيال تعرّض لها قبل فترة في محلّة الروشة.

وعُقد اجتماع عند الظهر في السرايا حضره الوزير الياس الهراوي ومحافظ البقاع هنري لحود ورئيس جهاز الاستخبارات السورية العاملة في لبنان محمد غانم، والمطرانان اغسطينوس فرح وجورج اسكندر وآمر سرية الدرك المقدّم رفيق فغالي والمقدّم الطيار محمود مطر، وتقرّر أن تتولّى قوى الامن الداخلي حفظ الامن في المدينة، ثم جال المجتمعون على المراكز التي شهدت قتالاً ...

في غضون ذلك، بعث بشير الجميل بمذكّرة الى رئيس مجلس الامن الدولي طلب فيها فكّ الحصار عن زحلة وإنهاء القصف وسحب السوريين وإيفاد مراقبين من الامم المتحدة لإجراء تحقيقات لدى السكان المدنيين.

يوم الميلاد ٢٥ كانون الأول ١٩٨٠، لم تنعم زحلة بعيد طبيعي كما كل سنة، اذ تدهّور الوضع ولم يُوضَع اتفاق شتورة موضع التنفيذ وخُرق مراراً، فلم يسهر أهالي زحلة سهرات الميلاد المعتادة مع أن الأجراس قرعت منتصف الليل لحظة ولادة المخلّص، لكن الساعات الاولى ليوم العيد شهدت قصفاً واشتباكات في حي مار الياس أوقع دماراً وخراباً في عدد من المنازل والسيارات. وعلى الرغم من اجتماع وزراء زحلة الهراوي وسكاف وأبو خاطر والنائب المعلوف مع الأساقفة والفعاليات بعد ظهر يوم العيد لتهدئة الأمور، إلاّ أنّ الوضع انفجر عندالساعة الخامسة مساءً، واشتعلت جبهة مار الياس مجدداً ووقعت اشتباكات عنيفة بالرشاشات الثقيلة وقذائف الدبابات في أحياء الراسية ومار الياس والميدان تبعها قصف بمدفعية الميدان والهاون استمرّ حتى الساعة الحادية عشرة، وأعلنت القوات اللبنانية أنّها ردّت محاولة تسلّل سوريّة على منطقة مار الياس.

بير هاشم جبهة جديدة

بعد ظهر الجمعة ٢٦ كانون الاول ١٩٨٠، فُتحت جبهة جديدة كان مسرحها جرود قاع الريم ووادي العرايش وباحينا وضهر المغر وبحوشة، وأعلنت القوات اللبنانية ان الجيش السوري كثّف مراكزه في اتجاه ضهر المغر، وحاول منذ الحادية عشرة والنصف من قبل الظهر دخول المنطقة لإحكام السيطرة على منافذ زحلة. وأضافت القوات ان الجيش السوري قصف المنطقة بشكل مركّز محاولاً الدخول عبر محورين، الأوّل من حزرتا والكرك في اتجاه تلّ زينة للوصول الى ضهر المغر، والمحور الثاني عن طريق ضهور الفرزل. ومهّد لهذين الهجومين بتغطية مدفعية كثيفة وبمساعدة قوّة منقولة جوّاً تساند القوات المدرعة المتقدمة.

وأكّد بيان القوات أن الهجومين صُدّا وأن الطوافات العسكرية حاولت إنزال بعض الجنود لتأمين خطوط دفاعية لحماية الآليات التي أعاقتها الأمطار والوحول عن التقدّم في منطقة بئر هاشم.

ويروي أحد رجال زحلة: «كان شباب زحلة يتمركزون في قلعة عروس عندما حاول رتل دبابات سورية التوغّل من طريق نيحا الفرزل عبر منطقة عين الحجلان فوق الكرك وصولاً الى منطقة باحينا بيرهاشم لتطويق زحلة والسيطرة على مرتفعاتها».

إستَبَقَت المدفعية السورية في رياق دخول رتل الدبابات والآليات وعددها نحو ٢٠، بقصفٍ عنيف ومركّز على كل التلال المحيطة بزحلة، ولمّا لم يصدر أي ردّ، سار الرتل باطمئنان حيث كانت مجموعة من رجال زحلة تكمن خلف الصخور على الجانبين، ومنهم مجموعة مع أبو حلقة جوزيف الحاج ... وهيكل شعيا وعزيز عبد الدايم...

ولدى وصول الرتل السوري الى بير هاشم، انهمرت عليه النيران، فقُتل على الفور العقيد ادريس آمر القوة، ثم أطلق البريدي أحد المقاتلين المعروف بأرسين لوبين قذيفة خرّاقة على الدبابة الأولى فأعطبها، وأعقبها بقذيفة ثانية على الدبابة الأخيرة.

اضطرّت الدبابات الى الدخول في البساتين الموحلة لإجتياز الدبابتين المصابتين فغرقت، وأصبحت عرضة لنيران المقاتلين، فسقط للسوريين إضافة الى الضابط ادريس ومساعده نحو عشرة قتلى، وهرب الجنود تاركين الدبابات وراءهم. تمّ إبلاغ عبدو كاترينا، القائد السوري في منطقة زحلة، بما حصل في بير هاشم وبمقتل العقيد


سهلة بير هاشم حيث غرقت وقُصفت الدبابات

ادريس فطلب وقف اطلاق النار لسحب المصابين والآليات فيما كانت زحلة تتعرّض لقصف عنيف .

ويقول أحد المقاتلين في زحلة: «هجوم باحينا بير هاشم توقّف بقدرة قادر، وشاءت الصدف أن يسقط قائد الوحدات السورية برصاصة أطلقها سليم حريقة، فظنّ السوريون ان المقاومة كبيرة في الجرد وان اغتيال الضابط الكبير كان عملية مقصودة ومدبّرة».

قائد قوات الردع العربية العقيد سامي الخطيب أورد في كتابه «في عين الحدث» عن معركة الميلاد ما يلي: «بدأ أول اشتباك بالنار بين القوات اللبنانية التي بدأ عناصرها بالتجمّع متسلّلين عبر الجبال الى زحلة لأن معلوماتهم كانت تفيد أن السوريين، او بالأحرى أن قوات الحركة الوطنية والمنظمات الفلسطينية، تقوم برعاية سورية بالتحضير للسيطرة على زحلة... ما أدى الى محاصرة المدينة ستة أيام متتالية مع تبادل عنيف للقصف المدفعي والصاروخي، ورافقه تجمّع كبير للأحزاب والحركات التابعة للفلسطينيين والحركة الوطنية وجيش لبنان العربي. هذا الواقع الميداني أدّى الى استنفار عام وشامل، داخلي وخارجي باعتبار ان زحلة هي أكبر مدينة كاثوليكية في الشرق، وبشير الجميل كان يقول للذين يستنفرهم من الفاتيكان الى الفرنسيين الى الاميركيين... «اذا سقطت زحلة، انتهى الوجود المسيحي في الشرق»».

ويضيف الخطيب: «أجرى الرئيس سركيس اتصالاً هاماً بالرئيس حافظ الأسد، كما أرسلني الى دمشق... فالتقيت بالوزير عبد الحليم خدام والعماد حكمت الشهابي واللواء علي دوبا، وشرحت لهم بواقعية صريحة ما يجري في زحلة وحولها، وكانت الجبهة اللبنانية قد أعلنت أن الاحتلال السوري يجب ان ينتهي.

وبطبيعة الحال أدّت الاتصالات الى وقف هش لاطلاق النار، أعاد الى زحلة هدوءاً هشاً».



وادي العرايش وجبل صنين عام ١٩٨١

التحضير للحرب

أقفلت قساوة الشتاء فوّهات المدافع السورية ثلاثة أشهر عن دكّ زحلة، وكان الجميع يعلم أن هذه الفوهات ستلفظ حممها من جديد مع ذوبان الثلوج، لذلك بدأ الفريقان، الجيش السوري والقوات اللبنانية، بالتحضير بقوّة للحرب التي لم يكن أحد يعرف متى ستبدأ أو متى تنتهي.

زيارة سرّية

بعد يومين من معركة الميلاد أي في ٢٨ كانون الاول، اجتمع مجلس قيادة القوات اللبنانية لدرس ما حصل في زحلة واستخلص من التقارير العسكرية التي وردته ان الوضع يُنذر بمضاعفات خطيرة وأنّ معركة الميلاد كانت لجسّ النبض وأنها تمهيد لمعركة أكبر وأشمل. اتُّخذ قرار بتحصين المدينة بكل الوسائل بعدما ركّزت القوات السورية، على التلال المحيطة بزحلة، دبابات وأسلحة ثقيلة وبدأت بإقامة التحصينات والمتاريس.

طلب بشير الجميل من بطرس خوند وفؤاد ابو ناضر التوجّه الى زحلة لدرس وضعها ميدانياً.

يقول فؤاد ابو ناضر: «كان الثلج يغمر الجبال، واللون الأبيض طغى على كل شيء. أوصلنا أنا وبطرس وخمسة شباب الراتراك الى الشير الاحمر حيث تحوّل الثلج جليداً. انزلقنا جميعنا من أول الشير الى آخره، ثم سرنا باتجاه زحلة ولاقانا سامي الغصين ومعه ٣ شباب وقادونا الى قاع الريم ثم الى وادي العرايش... كانت مهّمتنا سرية، فبدّلنا ثيابنا العسكرية وأخفينا سلاحنا ونزلنا الى زحلة بثياب مدنية. قضينا الليل في منزل طوني مخول، والتقينا جميع فعليات المدينة، المطارنة، التجمّع الزحلي، رئيس البلدية، وكلّ مسؤولي الاحزاب (حراس الارز والكتائب والأحرار)».


أبو ناضر وخوند الى زحلة

يضيف أبو ناضر: «شدّدنا على أنه لم يعد هناك كتائب أو أحرار أو حراس أرز ... بل أصبح كلّ المجهود العسكري تحت راية القوات اللبنانية. فأنشأنا مركز قيادة موحّداً... وقسّمنا المناطق والقطاعات وانشأنا شبكة اتصالات بين المجموعات وبين المدينة وبيروت... ثم درسنا حجم العديد والإمكانات وما يلزم المدينة من تجهيزات وأسلحة... وضعنا خطة عسكرية متكاملة لتذخير المدينة وتدريب المجموعات الزحليّة على مختلف الاسلحة والقطع من مشاة، وحدات خاصة، اشارة، مدفعية، لوجستية، مساندة، هندسة ومضاد للدروع...».

يقول جورج سماحة أحد مسؤولي الكتائب في زحلة: «إلتقت كلّ القيادات الميدانية ومن كلّ الأحزاب مع أبو ناضر وخوند في مدرسة القلبين الاقدسين، حيث استعلما من مسؤولي المجموعات عن خبرتهم العسكرية... وبعد هذا الاجتماع تمّ جمع نحو ٤٠٠ شاب أرسلوا الى بيروت لتلقّي التدريبات...».

مواجهة العاصفة

يتذكّر أبو ناضر: «بعد انتهاء هذه المهمّة في اليوم العاشر أي في ٨ كانون الثاني، قرّرنا العودة الى بيروت بالطريقة نفسها التي نزلنا فيها، ولكن هبّت عاصفة ثلجية منعتنا من الوصول الى شير الوردة، فكان الثلج يتساقط بغزارة والحرارة متدنّية جداً وأصبح شاربا بطرس خوند بيضاوين تماماً وتجمّد الثلج عليهما... عدنا أدراجنا الى زحلة وجدّدنا مهمّتنا بضعة أيام حتى انجلت العاصفة...».

ويتذكر جورج سماحة أن «فؤاد أصرّ على العودة الى بيروت رغم العاصفة وسرنا مع مجموعة أبو حلقة ومعنا سامي الغصين، ووصلنا الى جبل عروس، فاشتدّت العاصفة كثيراً وضربتنا بشكل لا يُحتمل، وبقي فؤاد مصرّاً على الصعود، فربطنا بعضنا بالحبال وسرنا بصعوبة حتى وصلنا الى الكركون (كان مغفراً للجيش الفرنسي)».

أما سامي الغصين الذي كان ينقل المقاتلين عبر الجرد فلا ينسى تلك الرحلة المجنونة وشجاره مع فؤاد أبو ناضر، ويقول: «كنت أنقل ذخائر وأسلحة أنا وهيكل شعيا على البغال من عيون السيمان الى زحلة، وتأكّدت عند المغيب أن هناك عاصفة آتية حين فرّ من أمامنا نحو خمسين حجلاً، فجفل أحد البغال ووقع في مكان صعب وبقر بطنه، وعندما وصلنا الى بير هاشم أنزلنا الذخائر عن البغال ثم رجعنا الى حيث وقع البغل وعدنا بالأسلحة».


سامي الغصين

يضيف الغصين: «عند وصولي الى وادي العرايش، أبلغني بطرس حريقة أن هناك مجموعة انطلقت الى بيروت عبر الجرد وينتظرونني لمرافقتهم فأجبته: «هناك عاصفة قويّة الليلة لذلك لا يمكننا الصعود وتعريض الجميع للخطر... لكنّه أصرّ عليّ فلحقتهم.. كان الجو قارساً وبدأت الرياح تصفر والثلوج تتساقط بغزارة... وصلنا الى بير هاشم، فقلت لبطرس خوند: «هناك عاصفة قوية ولن نتمكن من الوصول وقد نتوه جميعنا». فأجابني: «أقنع من في المقدمة» (فؤاد أبو ناضر).

تقدّمت الى فؤاد ولم أكن أعرفه وقلت له: «الصعود اليوم مستحيل»... فأجابني: «لا تكتّر حكي امشي»».

يضيف الغصين: «وصلنا الى تلة عروس وازداد تساقط الثلوج. حاولت التحدّث مع فؤاد مرّة ثانية فنهرني من جديد وقال: «لا تكتّر حكي عم بتموّت معنويات الشباب». كانت الحرارة متدنية جداً وبدأ الثلج المتساقط بغزارة يغمر ثيابنا خلال لحظات ويتحوّل الى جليد.. حاولت تلقيم بندقية م ١٦ أو رشاش كلاشينكوف فلم أتمكّن بسبب تحولّهما الى جليد. طلب مني بطرس خوند من جديد إقناع فؤاد بالعودة لكنه قال قبل أن أتحدث معه: «لا تهبّط معنويات الشباب عندما أتينا أوصلتنا مباشرة فما بك اليوم...»».

ويتابع الغصين: «أصرّ فؤاد على إكمال الطريق، فسرت في المقدّمة على مضض وتبعني هيكل شعيا ثم آبو ناضر وسيرج متّى... فيما تأخر الباقون. وبعد كركون مطيوحان، قلت لهيكل: «سنصعد في عريض مطيوحان وسنرى اذا كان سيتمكّن من الصعود، سأعود من جهة مراح الديشار الى زحلة ولا أريد ان يُقال سامي الغصين قتل الشباب في الثلج... صعدت في عريض مطيوحان وورائي هيكل ولحقنا فؤاد «متل عنتر»، ولكن الهواء العاصف رمى سيرج متى الى أسفل، عندها تشاجرت مع فؤاد ورفضت إكمال الطريق وعدنا فوجدنا سيرج مرمي على ظهره فيما تأخّر الباقون كثيراً وراءنا...».

ويتابع الغصين: «انقذنا باقي الشباب (كانوا ٢٧ شخصاً) وكان أومير كرم مغموراً بالثلج حتى كتفيه، سحبناه وأنقذناه... وبعد جهد، وصلنا الى قلعة عروس (ترتفع ١٦٠٠ متر) ولاقانا شباب الوادي، وقد أصيب معظمهم بالانفلونزا وبعضهم دخل الى المستشفى. استمرّت العاصفة عشرة أيام، ثم عدت وأوصلتهم الى الشير الاحمر حيث كان يوسف حنا ومجموعة عسكرية بانتظارهم وعدت ليلاً الى وادي العرايش.. ».

وفور عودته الى بيروت، سلّم أبو ناضر بشير الجميل تقريراً مفّصلاً عما شاهده في المدينة وعن حاجاتها للصمود... فباستثناء عزيمة وتصميم أهلها، كانت زحلة تفتقر الى كلّ شيء تقريباً: أسلحة، ذخائر، شبكات اتصال، أدوية ومواد غذائية...

المغاوير والتحضير

بعد عودة أبو ناضر وبطرس خوند، قرّر بشير الجميل إنشاء قيادة عسكرية في زحلة وأوكل الى جو اده[1] رئاستها...

اختار اده بالتنسيق مع ابراهيم الضاهر، قائد ثكنة المغاوير، مجموعة من آمري الفصائل للتوجّه الى زحلة لمساعدته ميدانياً. تألّفت المجموعة من جورج قزي، ابراهيم حداد، جوزيف اسطفان (الماريشال)، سليمان الحويك، وسليمان الحج موسى الذين توجّهوا في ٤ شباط ١٩٨٠ الى زحلة عبر طريق الجرد.

يروي ابراهيم حداد: «كانت الثلوج تغطي جبال صنين، نقلنا الراتراك[2] من عيون السيمان الى أبعد نقطة ممكنة بعد شير الاحمر قبل منطقة عرمتا... وأبلغونا ان هناك مجموعة من وادي العرايش ستلاقينا لتدلّنا على الطريق. كان النهار مشمساً وتقدّمنا أبعد مما يجب، فسمعنا أصواتاً وراءنا. انبطحنا على الثلج وشكّلنا كمين النجمة[3]. بعد دقائق شاهدنا ثلاثة عناصر بحوزتهم رشاشات وجهاز ارسال كبير PRC، ولمّا أصبحوا على بعد نحو ٥٠ متراً منّا وفي مرمى نيراننا صرخنا بهم «من أنتم؟». فأجاب أحدهم: «سامي الغصين من وادي العرايش» وهو اسم الدالول الذي كان سيرافقنا، فعرّفناهم عن أنفسنا وساروا أمامنا حتى كسّارات آل الخوري ثم الى وادي العرايش فزحلة...».

ويروي جوزيف اسطفان (الماريشال): «كنت استعدّ للسفر الى ألمانيا للتخصّص في هندسة الميكانيك بعد أن أمّن لي بشير الجميل منحة من إحدى الجامعات الألمانية. وضّبت أغراضي على أساس أني متوجّه الى مرفأ جونية لأستقلّ الباخرة الى قبرص ومنها الى المانيا. ودّعت أهلي متظاهراً بالصعود الى الباخرة وعند رحيلهم عدت الى الثكنة حيث وضعت حقيبة السفر وارتديت ثيابي العسكرية وانطلقت الى زحلة وبقيت هناك حتى عودتي مصاباً الى منزلي، فيما كانت والدتي تصلّي وتشكر ربها لأنني بعيد عن الحرب للمرّة الأولى».

توزّع الشباب الخمسة على أحياء ومواقع زحلة، فتسلّم جورج قزي قطاع حوش الأمراء وسليمان الحاج موسى قطاع

---

(١) كان جو إدّه من أبرز رفاق بشير الجميّل في حرب السنتين (١٩٧٥-١٩٧٦)، حيث لعب دوراً أساسياً في تحصين خطوط التماس في بيروت. كلّفه بشير عام ١٩٧٨ تشكيل وحدات المغاوير التي اختار عناصرها من مختلف القطعات العسكريّة. في حرب المئة يوم صيف ١٩٧٨ برز دوره بشكل لافت واتخذ قرارات جريئة أبرزها قرار طرد السوريين من محيط المجلس الحربي الكتائبي حيث نظّم المقاومة على الأرض مع أشخاص معدودين وساهم في صمود الأشرفية لمئة يوم. قاد حرب زحلة وكان ممثل بشير الجميّل في المدينة إضافة الى التنسيق بين مختلف الجبهات وقادة القوات اللبنانية في المدينة.

(٢) آلية مخصصة للسير على الثلوج وفي المناطق الوعرة ولها جنازير تسير بها على سطح الثلج من دون أن تغرق.

(٣) ينبطح المقاتلون ويشكّلون بأقدامهم المفتوحة شكل نجمة وكل شخص يضع قدمه فوق قدم رفيقه ومن يحسّ بأي حركة يركل رفيقه الذي يركل الرفيق الآخر وعند تحديد مكان الصوت يقام خط الانتشار باتجاهه...

العقرب[1] الذي يمتدّ من سيدة زحلة حتى حزرتا، وتسلّم ابراهيم حداد قطاع الجرد الذي يمتدّ من حزرتا قاع الريم الى وادي العرايش... وجوزيف اسطفان تولّى قطاع الحمّار المعلّقة والبربارة الميدان... وسليمان الحويك كان بتصرّف القيادة التي تولاّها جو اده الذي لحق بهم في ما بعد...

كانت مهمّة مجموعة المغاوير العمل على تجهيز هذه القطاعات بالأسلحة والأعتدة وبوسائل الاتصال الميدانية السلكية واللاسلكية وتحضير المجموعات القتالية وتوزيع مهامها وحفر خنادق وإقامة التحصينات والدشم.



إبراهيم حداد — جو إدّه — جوزيف اسطفان

سليمان الحويّك — جورج قزّي — سليمان الحاج موسى

يقول جوزيف اسطفان: «في بداية الامر، اعتمدنا السريّة الكاملة في تحركاتنا وأقمنا في الفترة الأولى في شقة قرب تمثال السيدة العذراء مجهّزة بالتدفئة (صوبيات) كنا نمكث فيها نهاراً، وفي الليل نعمل على تحصين وتجهيز الجبهات. بقي الأمر كذلك نحو ٢٠ يوماً، ولكن مع تطوّر الأحداث انكشف الامر وأصبح الناس يتواصلون معنا علناً

(١) سَمّى سليمان الحاج موسى هذا القطاع على اسم برجه فهو من برج العقرب وما زال هذا الاسم معتمداً حتى اليوم في زحلة اذ أن التلّة الأساسية تُسمّى تلة العقرب.

في القطاعات وعلى الجبهات...».

يقول سليمان الحاج موسى: «بداية، اتصلنا بمجموعة الأحزاب في المدينة، وكان هدفنا اقناعهم بما نقوم به ليتجاوبوا معنا... كانت كل الأعمال والتدريبات تتمّ ليلاً وفي السرّ، وكانت إحدى المجموعات تنام في منزل يبعد ١٠٠ مترٍ عن الحاجز السوري قرب تمثال العذراء وذلك لكي لا يتبادر الى ذهن أحد أنها تعمل سراً لتنظيم وتدريب شباب زحلة».

ويروي جورج قزي: «بدأنا أولاً بإحصاء عديد الشباب الذين بإمكانهم القتال، ثمّ بدأنا بجمع كلّ الاسلحة والذخائر من البيوت ومن المواطنين... ونظّمنا لائحة بها لنعرف ماذا لدينا وماذا نحتاج، ودرسنا قدرة المدينة على الصمود وكمّية المواد الغذائية الموجودة، كما بدأنا عملية حفر الخنادق وإقامة المتاريس وتدريب الشباب قدر الإمكان على استعمال السلاح ووزعناهم على مواقع ومجموعات تحسّباً لاي مواجهة».

شقّ الطرق وتأمين الاتصال

قرّر جو اده تدعيم طريق الجرد وفتح طريق بعد تلة عرمتا باتجاه الكركون، على أن تشقّ الجرافات في المقابل طريقاً خلف قواميع العبد أو قرامي الورق فتتلاقى الطريقان. وبدأ آل التن العمل من قلعة عرمتا بإتّجاه الغرفة الفرنسية، ولحماية الجرافات، انتشرت مجموعات عسكرية على تلال نيحا وتمنين الفوقا والنبي ايلا وعلى تلال الدبّية، وعرمتا وجبل عروس فوق وادي العرايش ووضعت نقطة حماية على تلّة صليب قاع الريم...

يقول طوني التن: «كانت الجرافات تدخل أماكن خطرة لا يستطيع الماعز الصعود اليها مثل قلعة عرمتا... فالإنحدارات كانت قويّة وكنا نسير بالجرافات الى الخلف وهي تنزلق الى الامام... هكذا صعدنا مرتفع عرمتا ووصلنا الى القمّة بأعجوبة... ثم بدأنا الجرف في الإنحدار نزولاً، فكانت قوة الجرافة توازي أربعة اضعاف قوتها وهي في مكان مستقيم».

ويضيف التن: «استخدمنا جرّافة نقولا الخوري وجرّافة أخرى لشخص من آل الشرتوني، وعملنا على شقّ الطريق باتجاه شير الوردة لوصل زحلة بعيون السيمان، ووصلنا الطريق من منطقة بير هاشم حتى قلعة عرمتا. وكنّا نسلك الأودية والهضبات غير المكشوفة على السوريين الذين كانوا يطلقون صواريخ الراجمات من وقت الى آخر عند رؤيتهم دخان المازوت المنبعث من عوادم الجرافات، فكنّا نوقف العمل ونختبىء ومن ثمّ نتابع. واستمرينا هكذا بلعبة القط والفأر حتى شقّينا معظم الطرق، وبداية الإنزالات السورية».

وفي السياق نفسه، يتذكّر يوسف حنا: «خصّص السوريون راجمات صواريخ كانت تقصف طرقات الجرد عندما يحسّون بأي تحرّك أو يسمعون صوت الراتراك... فكنّا نسير به نزولاً من الشير الأحمر حتى المصاطب او مطيوحان من دون إدارة المحرك. ولكن صعوداً كان يزداد خطر القصف. كما كنّا نغيّر طريقنا لأن جنازيره كانت تترك أثراً واضحاً على الثلج، وتظهر من مسافة بعيدة فيتمّ تركيز الصواريخ عليها».

يضيف حنا: «كنّا نتعذب كثيراً في السير على الثلوج وخصوصاً عندما يهبط الضباب، فلم نكن نعرف أين التلة وأين الوادي، وكنا نتلمّس آثار جنازير الراتراك للسير عليها مرة ثانية».

تحقيق لجريدة «النداء»
التابعة للحزب السوري القومي
الإجتماعي في ١٩٨١/٢/٢٩

بعلبك القلعة الوطنية تحافظ على هدوئها

محاولات جَرّ زحلة لدويلة آل الجميل مستمرة والتحضير الفاشي لمعركة ضدّ البقاع واضح

امدادات فاشية.. ودورات التدريب تودّي بحياة طالب

في الوقت الذي استطاعت فيه ارادة صمود الوطني ان تنتصر على الفتنة محاولات التفتيت في بعلبك، حيث ادت المدينة تمارس حياتها الطبيعية تؤكد موقعها الوطني الصلب صلابة نعتها، في هذا الوقت بالذات، فان يدي الفاشية المعادية لوحدة الوطن رضه وشعبه، تبان واضحة من وراء حاولات التفجير التي عاشتها بعلبك، نتصرت عليها، فيما هي لا زالت بث بمصير زحلة، وتسعى تحت ستار يل الفاشي المتدل على عاصمة قاع ان تشن حربا ضد البقاع وضد وطنيين من اهله، بينما لا زالت دينة تعيش حياة الخوف وتشهد نون» آل الجميل في مد اقطاعيتهم ناء دويلتهم.

فبعد اسبوع من الزيارة - الاستجداء ي قامت بها الفعاليات الزحلية، من اب ووزراء ورجال دين ووجهاء جال اعمال لبشير الجميل. السؤال ذي يطرح نفسه: هل عاد السلام هدوء لعاصمة البقاع؟..

وماذا حصل في مدينة زحلة؟.

الوقائع العديدة التي سجلتها ورات الاسبوع الماضي ومسلسل دابير والاحداث الذي لا ينتهي هناك، ممارسات الكتائبية الموغلة في محاولة ل المدينة عن محيطها وجعلها ناعية لآل الجميل، تبين، ان لا حل جى من استجداء الفاشيين. فيما تجد وى الزحلية المخلصة نفسها امام بة طرد الطارئين على المدينة كي تعيد عروس البقاع مكانتها زدهارها الاقتصادي الذي عرفته قا كما عبر عن ذلك الرئيس سليمان نجية. فالزيارة والاستجداء الذي نقها دفع بآل الجميل لزيادة وتيرة طرتهم على المدينة مستفيدين من ضع الاقتصادي الصعب لاهل المدينة عالياتها.

وهكذا، فالامال التي وضعتها عاليات الزحلية على الزيارة، لم تحقق، والاهداف التي ارادت عاليات تسجيلها لم تتم، لان الذي عل على الارض، وترزح تحته زحلة ينة والشعب غير ذلك.

فقد تم بعد الزيارة وضع حاجزين ى الامن الداخلي عند مدخل حوش راء وفي ساحة المعلقة وتوزعت عدة مر عند ساحة الليدو. لكن تبين ان ود هذه الحواجز، لم يكن الا لتغطية هيل تحرك العناصر الكتائبية. ، حوش الامراء وساحة المعلقة تقف صر كتائبية جنبا الى جنب مع قوى ن الداخلي، تبيع جريدة «العمل» نلة «وطني» (مجلة بشير الجميل) تف السيارات البقاعية وتعتدي ، المواطنين كما حصل مع بعض سال السوريين اول امس، حيث را من السيارة التي كانت تقلهم ى الاعتداء عليهم بالضرب تائم. وخلال الليل تشترك عناصر قوى الامن هذه مع الكتائب في حراسة الطرق والشوارع، وتترك الدوريات الكتائبية المسلحة تمر بتامان عبر حواجزها ليلا نهارا.

حاميها حراميها

وقد توفرت معلومات تفيد ان عناصر هذه الحواجز من قوى الامن الداخلي تنتمي لقسم الرميل الكتائبي في المنطقة الشرقية، ووجود حاجز لقوى الامن الداخلي اصلا عند طرف حوش الامراء والموجود قرب نقطة الردع لا يطمئن المواطن البقاعي الذي يمر عبر الخط الدولي هناك بشيء، لان العناصر الكتائبية تتواجد بكثافة على طول حوش الامراء، خاصة عند ساحة الهراوي، وفي داخل المدينة وعند ساحة الليدو وتمنع قوى الامن الداخلي السيارات من الدوران عند الساحة والعودة الى خط البوليفار، بل تجبرها على متابعة سيرها حتى الحديقة العامة حيث تمر على مركز الكتائب الرئيسي في المدينة فتتولى هناك العناصر الكتائبية توقيف كل سيارة واحتجاز وضرب واهانة العناصر «غير المرغوب فيها» من قبل الفاشيين.

وعند مواقف السيارات، وسط المدينة التجاري، بدأت الكتائب بفرض خوة على سائقي السيارات تبلغ ليرتين عن كل سيارة تنطلق بركابها وذلك، تحت سمع وبصر قوى الامن.

التحضير لمعركة

ومن جهة ثانية ارسلت قيادة بشير الجميل خلال الاسبوع الماضي وبعد الزيارة رجلين عسكريين من القيادة للمساعدة في تطويع اهالي زحلة والتحضير للمعركة التي يستعدون لها. فاضافة لوجود جوادة وجورج فزي اصبح الان في المدينة ايضا جوزف اسطفان من القيادة العسكرية الكتائبية في بيروت وسليمان الحويك من «مفوضية القوى النظامية» بالمتن الشمالي. وتتكثف الاستعدادات العسكرية التي تأخذ طابعا خطيرا يوحي من نية آل الجميل في فتح معركة كبيرة ضد قوات الردع العربية وجماهير البقاع الوطنية.

وتدليلا على هذه الاستعدادات انتهت الكتائب في الايام الاخيرة من شق واصلاح طريق جبلي يوصل جرود بحنا فوق وادي العرائش جفاويا حيث بدأت السيارات العسكرية الكتائبية تنتقل على هذا الطريق.

وقد وصلت خلال الايام الماضية، ايضا شحنات جديدة من الاسلحة والذخيرة، تتضمن مدافع ١٠٦ وهاون ١٢٠. وتتواصل عملية حفر الخنادق وبناء المتاريس، حيث انجز الفاشيون حفر خندق وبناء ساتر ترابي عال يمتد من مستشفى تل شيحا حتى حوش الامراء، ويجري استخدام الاولاد والطلاب من عمر ١٢ سنة وما فوق في عملية الحفر ونقل الاحجار والدشم.

وضمن مخطط مصادرة مهمات الدولة ومؤسساتها، جرى مؤخرا انشاء سجن في مبنى القيادة العسكرية الكتائبية، حيث تتولى شرطة الفاشيين توقيف المواطنين وايداعهم هذا السجن.

وقد وصل عدد الموقوفين الى العشرات. كما صادرت عناصر كتائبية مدرسة مار بقولا في حي الميدان واخلتها من الطلاب والمقاعد والادوات المدرسية لتحويلها لمساكن عسكرية.

الدويلة الكتائبية!

ويبدو الهدف الكتائبي واضحا في زحلة من خلال سلسلة التدابير. فعلى جميع شارات السير في المدينة اضيفت عبارة القوات «اللبنانية»، وعلى صعيد فرض الخوات فقد استكملت الميليشيات الكتائبية وضع احصاء سكاني بالعائلات في الاحياء (عددها ومداخيلها) وبدأت بطبع ايصالات شهرية تفرض بموجبها على كل عائلة، لا تملك مسكنا، مبلغ ٢٥ ليرة شهريا والعائلة التي تملك مسكنا مبلغ ٥٠ ليرة شهريا. ويجري الاعداد لفرض مبالغ محددة على المحلات والمؤسسات.

وفي مستشفى المعلقة الحكومي يقوم الكتائبي انيس جدعون وهو مسؤول قسم الاشعة والمختبر بفرض مبلغ عشر ليرات على كل مريض.

هذا، ورغم البدء في فرض الضرائب الشهرية على المواطنين لم تتوقف عملية فرض الخوات الخيالية على الاشخاص والمؤسسات، بحجة الحراسة وتأمين رواتب المتفرغين والعناصر. وقد فرض مبلغ الف ليرة على جوزف ضاهر شمعون و٥٠٠ ليرة علي كل من جوزف بجدوش. وجوزف خراط ويوزف ابو يارد واديب ابو شعيا وسمير جورج صوما وعبود القسيس.

متطلبات التجنيد!

وحملة التجنيد الكتائبية بدأت تأخذ طابعا عمليا في زحلة حيث طلب من الطلاب في المدارس الثانوية تقديم اربعة صور شمسية والبطاقة الشخصية، او اخراج قيد، لقيادة الكتائب، تمهيدا لالحاقهم بدورات التجنيد بالثكنات والمراكز العسكرية. وفي بعض الاحيان بدأت تقام دورات تدريبية اولية للطلاب، يجري خلالها تدريبهم على الرمي والقتال.

وقد ادت احدى هذه الدورات بحياة احد التلامذة في الصفوف التكميلية واسمه مفيد حنا يشوع وعمره ١٣ سنة من حوش الامراء اثناء تدريبه على رمي القنبلة اليدوية، حيث انفجرت فيه يوم الاثنين الماضي.

ليل الاشباح في زحلة

ان زحلة تتحول منذ الساعة السادسة مساء الى ما يشبه مدينة الاشباح فلا تمر فيها ليلة الا ويستفيق الناس على اصوات الرصاص الذي تطلقه العصابات الكتائبية خلال حراستها وتجوالها في الاحياء.

واصوات الجرافات لا تنقطع وهي تحفر الخنادق وتمهد لاقامة المتاريس. فمظاهر الحرب التي «برع» آل الجميل في زج اهل المدينة فيها خدمة لمآربهم لا تغيب عن اعين الاهالي لحظة واحدة.

وهكذا يجري تحضير زحلة كي تكون وقودا لاطماع الفاشيين. ويزداد تعنت العصابات وتصميمها على نحر المدينة طالما ان الفعاليات والقيادات السياسية والروحية فيها تتغاضى، بل وتلعب دور التغطية للجرائم التي يحضرها آل الجميل لعاصمة البقاع.

شباب من بسكنتا في صنين

الاتصال

في أول شباط العام ١٩٨١، أمّنت قيادة القوات اللبنانية لمجموعة كتائب بسكنتا خيماً مخصّصة للثلوج وعتاداً خاصاً وثياباً روسية لردّ البرد القارس، وطلبت منها الصعود الى الغرفة الفرنسية لتأمين الاتصال مع زحلة...

في ٩ شباط، صعد الى الغرفة الفرنسية ١٠ شباب من بسكنتا هم: ربيع خوري ونجيب ونزار تبشراني وسليم وغسان وسيمون ابو حيدر وطوني الحاج وعبدو وميشال وروكز خوري ومعهم أجهزة اتصال لوصل زحلة بالمجلس الحربي.


يوسف حنا

نصب شباب بسكنتا خيمة في حفرة وسط الثلوج إتقاء للرياح والبرد، وقام شابان بتركيز الجهاز في الغرفة الفرنسية، ويقول روكز خوري: «كنا كلّ ٤٥ دقيقة نبدّل الشابان في الغرفة التي يستحيل البقاء فيها لوقت أطول بسبب الرياح والبرد القارس، وقد تمّ وصل زحلة بالمجلس الحربي بهذه الطريقة الشاقة».

في اليوم التالي، حلّت مجموعة تابعة لأبو حلقة مكانهم، واستمرّ الاتصال بزحلة بهذه الطريقة حتى تأمّن في أول آذار خطّ اتصال هاتفي مباشر، إضافة الى أجهزة متطوّرة استخدمت مع بدء معركة زحلة.

نقل اسلحة وتدريب

بعد معركة الميلاد، بدأ شباب زحلة يتوافدون عبر طريق الجرد للتدرّب في ثكنة أدونيس وفي ثكنة المدرعات وفي مرابض المدفعية وفي معسكرات كسروان (ميروبا وامهز وباكيش وطبرية). كان سامي



الغصين يقودهم عبر طريق الجرد الى الشير الأحمر حيث يلاقيه حنا سابيوس خليل لنقلهم الى عيون السيمان. وكان يوسف حنا يقود الراتراك ذهاباً وإياباً ناقلاً العناصر والذخائر.

كانت كل مجموعة تُنهي تدريباتها تَنقل معها الى زحلة كلّ سلاحها وعتادها وبحسب الاختصاص الذي تدرّبت عليه... إضافة الى الذخائر وأجهزة الاتصال والألغام والخرائط...

يقول منير ونبيل وهما مقاتلان تدرّبا في ثكنة ادونيس: «أثناء التدريبات، التقانا الشيخ بشير وشدّد علينا ان نتحضّر ونستعدّ للدفاع عن زحلة ولمنع السوريين من السيطرة عليها...».

سلّمت قيادة الوحدة المركزية التي تدرّبت في بيروت الى جورج سماحة، وتمّ تقسيم هذه الوحدة الى قطع تبعاً للتدريبات التي خضعت لها.

اتّخذت الوحدة المركزية من كازينو الوادي مقراً لها، وكان من أبرز قادتها الى جانب جورج سماحة ط. لحود، ن. سماحة وج. حداد...

من لم يتمكّن من النزول الى مخيمات التدريب في المنطقة الشرقية لبيروت، أخضع لدورات عسكرية في مخيم أقيم في منطقة باحينا على تلال زحلة.

كان شباب حراس الارز ينظّمون صفوفهم بشكل سرّي في المدينة ويخزّنون الأسلحة والعتاد العسكري من دون أن يلاحظ أحد ذلك، وبعد معركة الميلاد ظهر نحو ستين عنصراً في حوش الأمراء منظّمون ومدرّبون ومجهّزون. وتمركز حراس الارز في أنطش مار الياس في حوش الأمراء، وفي سيدة النجاة. ومكث كيروز بركات وطوني نصار اللذين جاءا من بيروت في هذين المركزين.

تكثّفت ليلاً عملية نقل الاسلحة والذخائر عبر الجرد، وتولّت الفرقة المركزية التي قادها جورج سماحة مراكز الجرد، وكانت تابعة لقطاع ابراهيم حداد وهي ضمّت نحو مئة شاب من مختلف أحياء زحلة... وتمركزت على التلال

الاستراتيجية لحماية الطريق الى زحلة، والمساعدة في نقل الأسلحة والذخائر الى المدينة... وكانت يومياً تُسيّر دوريات راجلة في الجرد لمراقبة الطريق والاتصال بالمواقع... ويقول جورج سماحة: «كنّا نسير وسط الثلوج وكانت كل دورية تستغرق أربع أو خمس ساعات في الجرد قبل أن نثبّت المواقع، فكانت الآليات تصل من زحلة إلى تلة عروس، ومن هناك يسير الشباب على أقدامهم حتى شير الوردة لنقل الذخائر يومياً».

ويتذكر سامي الغصين أنّه كان كل يوم يقود نحو ٧٥ شاباً الى الشير الاحمر لنقل الذخائر والأسلحة، وكان عريض مطيوحان أصعب الطرق في الجرد. كان يلاقيه من جهة كسروان حنا سابيوس خليل، وقد نقل الغصين مع شقيقيه رفيق وصبحي في يوم واحد كميات كبيرة من الألغام والذخائر المختلفة بواسطة ١٤ بغلاً عبر الجرد الى وادي العرايش.



الراتراك الذي كان ينقل الرجال والعتاد

كانت المداخل الجنوبية، لا سيما الطريق الآتية من شتورة، مفتوحة أمام السير بشكل طبيعي، فاستفاد منها أهالي زحلة أيضاً لادخال بعض الأسلحة والذخائر المضادّة للدروع في شاحنات محمّلة قمحاً، وطحيناً أو خضاراً.[١]

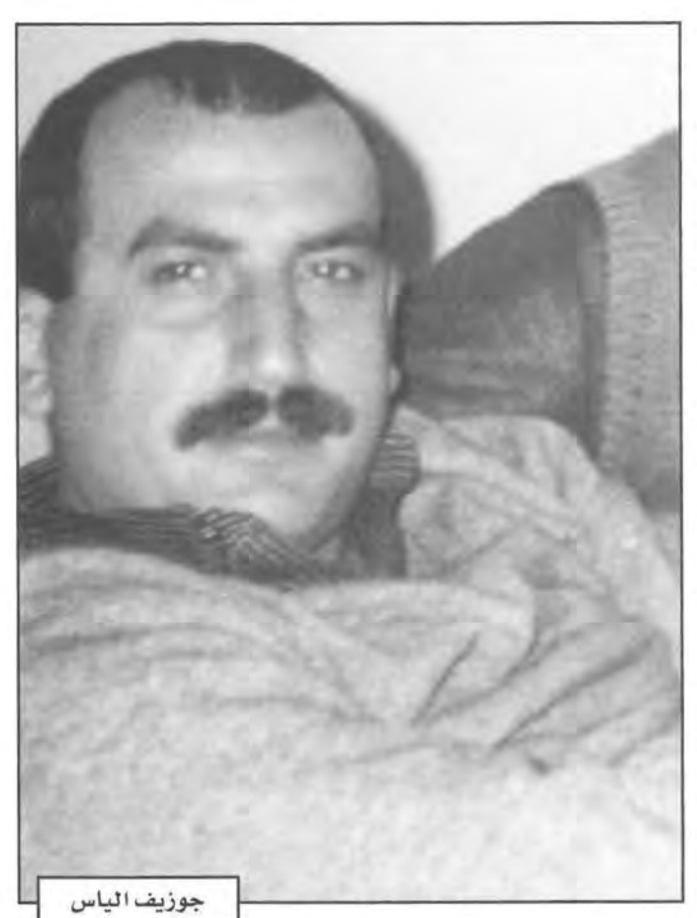
ويقول سامي الخطيب في مذكّراته: «استفادت القوات اللبنانية من فترة الهدوء الهش في زحلة، وكثّفت نقل الأفراد والمعدات والمؤن الى المدينة عبر الطريق الوحيد الذي بقي سالكاً بين المدينة وصنين. ولمّا علم السوريون بهذا الواقع طلبوا من الوسطاء التدخّل لدى الكتائب لإغلاق هذا الطريق، لأنّه يفتح المجال أمام الإسرائيليين وغيرهم للتدخّل أو الدعم، وهذا ما لا يقبله السوريون على الاطلاق».[٢]

(١) آلان مينارغ «اسرار حرب لبنان».
(٢) اللواء سامي الخطيب «في عين الحدث، خمسة وأربعون عاماً لاجل لبنان».

مدفع بسكنتا

يتذكّر روكز خوري مسؤول الكتائب في بسكنتا أنه قبل بدء معركة زحلة، تمكّن نجيب تبشراني من بسكنتا من إيصال مدفع ١٠٧ ملم مركزاً على جيب عسكري الى زحلة عبر قاع الريم بعدما سلك طرقات زراعية من مراح الديشار الى قاع الريم بمساعدة شباب مجموعة أبو حلقة . ولكي يتمكّن من تخطّي المركز السوري على الجسر بين قاع الريم وحزرتا، تمّ الاتفاق مع شباب قاع الريم على إلهاء الجنود السوريين، فزاروهم وشربوا معهم الشاي الى ان مرّ تبشراني بالجيب الى وادي العرايش.

ويقول جورج سماحة: «قدّم ايلي حبيقة لشباب زحلة مدفع ١٠٧ ملم على جيب مقابل إعطائه صاروخ ستيلا المضاد للطيران والذي وجدوه في الجرد ولم يعرفوا ما هو يومها... وكان في زحلة مدفع ١٠٦ ملم على سيارة جيب تركه الضابط طارق نجيم لأهالي زحلة بعد المواجهات مع الفلسطينيين العام ١٩٧٦، و أعطاهم أيضاً رشاشات ٥٠٠ وقد خبئت في منزل شبيب وأفرج



جوزيف الياس

مدافع ١٠٦ في زحلة



حفر الخنادق تحضيراً للحرب

عنها عند بدء المعارك».

على الصعيد المدني والشعبي، تولّى جوزيف الياس، قبل وصول جو اده، ومعه فريق عمل، إعداد المدينة للمواجهة، ويقول جوزيف الياس لمجلة المسيرة(١): «وصلت الى زحلة في أول كانون الثاني ١٩٨١ بعدما حصلت معركة الميلاد. كان التوتّر شديداً في المدينة والفوضى مستبدة. بدأنا بتوحيد الصفوف، وكنّا نعرف ان السوريين يحضّرون لهجوم جديد. أقمنا المستوصفات ومستشفى موقت، وأنشأنا لجاناً شعبية.

في البداية لم يقدّر المواطنون مدى الخطر الآتي، ولم ينوِ أحد منهم الرحيل عن المدينة.

في هذا الوقت، كان السوريون يحفرون السراديب تحت الأرض ويقيمون التحصينات والمتاريس ويعززون مراكزهم»...

(١) مجلة المسيرة العدد السادس ١٣ نيسان ١٩٨٣.

ألغام وخنادق

بدأ الزحليون بالتحضير لحرب ستقع لا محالة، فأقاموا السواتر والدشم وحفروا الخنادق ليلاً في محيط المنازل أو على مقربة منها كي لا يتم كشفها، فكانت مفاجأة للجميع عند بدء الحرب.

ويروي جورج قزي: «كنّا مكشوفين تماماً داخل زحلة، فأي تحرك من قبلنا كان على مرأى من الجيش السوري الذي انتشر على معظم التلال المحيطة بالمدينة، كما تمركزوا في مبنى تمثال العذراء على التلّة، بينما تمركزنا نحن في مستشفى تلّ شيحا وأقمنا خنادق ومتاريس في المدينة الصناعية التي تطلّ على السهل. فعلى مدى شهرين، قام ١٥ رجلاً ليلاً بحفر خندق بطول ٨٠٠ متر من مستشفى تل شيحا الى حوش الأمراء. كان العمل يتوقف في بعض الليالي عندما نشعر أن السوريين مستنفرون، أو أن هناك أمراً ما يعيق العمل. كنّا نموّه الأماكن المحفورة بأغصان الأشجار والألواح الخشبية لإخفاء ما نقوم به... هذا الخندق كان مهمّاً جداً لأنّه ساعدنا كثيراً عند بدء المعارك، فمن خلاله كنّا نصل الى مستشفى تل شيحا ومأوى العجزة».

أثناء حفر الخنادق حول زحله، حصلت حادثة طريفة، إذ أصيبت قدم شاب يدعى جاك بضربة معول، فحمله رفيقه من تلة حرقات الى مستشفى تل شيحا. ولمّا سأل العاملون في المستشفى عن سبب الحادث أقنعهم جاك بأنّه يعمل مع رفيقه في الزراعة ليلاً ويأخذون العمل مقاطعة.

ويروي جوزيف اسطفان أنه وضع مع سليم عاصي وسليمان الحويك عدداً كبيراً من ألغام الآليات في السهل حول المدينة، وخصوصاً على الخط الممتد من تمثال زحلة حتى آخر المعلّقة، ما أجبر الآليات السورية على سلوك الطرقات المعبّدة، وهكذا تمكّن الشباب من حصرها وتوقيف تقدّمها بقذائف الميلان وقذائف الـ«ب٧».


سليم عاصي

ويروي سليمان الحاج موسى: «تلة العقرب استراتيجية فهي تسدّ الطريق أمام الوحدات السورية في تلة أبو نعوم، ومنها يُمكن كشف معظم طرقات زحلة. حفرنا فيها خلال يومين خندقاً بطول ٦٠٠ متراً، واعتمدنا طريقة أخوت شانيه[1]، اذ كانت كل أربع ساعات تتبدّل فصيلة مؤلفة من ثلاثين رجلاً. وهكذا تمّ حفر الخندق من خزان المياه صعوداً حتى رأس التلّة.

ويضيف الحاج موسى: «في تلّة بيت جريجيري، حفرنا خندقاً يقرب أمتاراً من خيم القوات السورية، ما اضطرها الى تركها عند اندلاع المعارك».

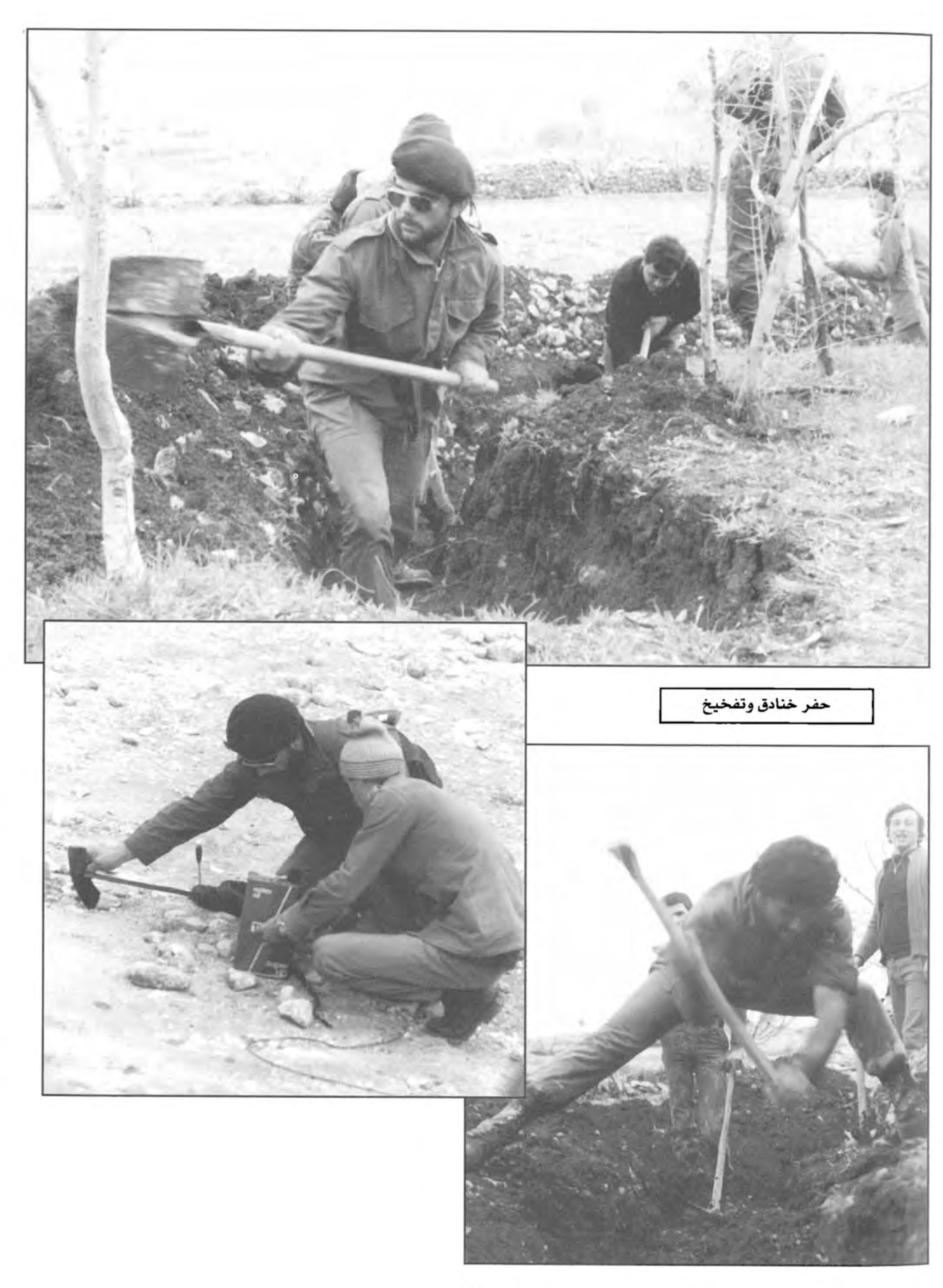
كان يوجد في قطاع العقرب ١٢ متراساً ثابتاً، وكان أبرز مساعدي الحاج موسى ديب البشواتي، ابو نعوم الأبري، جورج عون، فيليب حريس، فؤاد الحداد، غصين وآخرون.

في المدينة الصناعية التي تسلّمها كيروز بركات وطوني نصّار ونعمة اللّه قاعي في ما بعد، كان هناك مجموعة بقيادة جان الأرمني ومعه نحو سبعين مقاتلاً من الكلدان والأشوريين، كان قسماً منهم من التابعية السورية، وعلى الرغم من تدريبهم بطريقة بسيطة، إلاّ أنّهم أبلوا البلاء الحسن خلال المواجهات، علماً أنه لم يكن هناك جدوى عسكرية او استراتيجية من أي هجوم سوري من جهة المدينة الصناعية لأنّ ذلك لم يكن يشكّل خطراً مباشراً على زحلة.



إنتشار مخيمات التدريب

(١) شخصية لبنانية من بلدة شانيه الشوفية في جبل لبنان، أعطى الامير بشير الشهابي فكرة جرّ المياه من نبع الصفا الى قصر بيت الدين، وتقضي بأن يقوم كلّ عسكري في جيش الأمير بحفر قناة على طوله. وهكذا وصلت المياه الى بيت الدين.



حفر خنادق وتفخيخ


اللواء حكمت الشهابي

يقول اللواء سامي الخطيب: «بدأ السوريون وحلفاؤهم في البقاع يلاحظون حركة جديدة وكثيفة للمسلحين الكتائبيين في داخل مدينة زحلة، وباتوا يخشون من اندفاع القوات اللبنانية خارج المدينة والوصول الى شتورا وقطع طريق بيروت - المصنع - دمشق، وتهديد طريق بعلبك بالسيطرة على طريق شتورا- الكرك، ولذلك بدأوا استعداداتهم لمجابهة هذا الاحتمال على مختلف الصعد»[١].

ونقل آلان مينارغ رؤية اللواء حكمت الشهابي عن مدينة زحلة على الشكل الآتي: «كانت زحلة تتميّز بكونها «النقطة السوداء» لجهاز دمشق الدفاعي في البقاع، إذ كان اللواء حكمت الشهابي، رئيس أركان القوات السورية، يعتبر أن هذا الوادي يشكّل بالنسبة لإسرائيل ممرّاً استراتيجياً ملتفاً حول العائق الطبيعي لهضبة الجولان. فالوادي يبدو كممرّ مسطّح ضخم، يمكن أن تجري فيه بسهولة الوحدات المدرّعة التي يُحتمل أن تنقضّ من الخلف على الأراضي السورية. ولوقف هجوم محتمل من هذا النوع، بواسطة وحدة متفرّعة من الفرقة ٨٥ المؤلّلة ومن الفرقة ٧٨ المدرّعة التابعة للوحدة السابعة، أقام اللواء الشهابي «سدّة» (مجموعة خطوط دفاعية تُغلق ممراً أو درباً) على امتداد عرض البقاع الجنوبي، وذلك من حواضر جبل لبنان، فمرتفعات جزين، وصولاً إلى قمم جبل حرمون. وكان قد عزز هذه السدّة بالسماح لمنظمة التحرير الفلسطينية أخذ مواقع لها بين نهري الليطاني والزهراني، فتواجدت هناك الألوية الفلسطينية الثلاثة: اليرموك والقسطل وعين جالوت، كان السوريون قد جهّزوها بكمية كبيرة من العتاد، منها ٤٧ دبابة ت٥٤، وراجمات صواريخ وآليات ومدفعية.

لكنّ زحلة كانت عقب آخيل في هذا المخطط الدفاعي، فهي تقع خلف هذا الجهاز، كما يمكن لهذه المدينة المسيحية أن تُستخدم كرأس جسر للـ«جيب» المسيحي الذي يمكنه أن يكون بدوره حاضناً لقوات إسرائيلية. هذه الفرضية كانت بنظر اللواء الشهابي تتجاوز مسألة عادية مطروحة أمام الأركان برسم الحلّ عندما أطلعته أجهزة مخابراته، تماماً قبل الشتاء، عن استئناف مهمّ للإتصالات بين القوات اللبنانية وتلّ أبيب. كان الإسرائيليون سيستولون، مروراً بزحلة، على الدفاعات السورية من الخلف ويقطعون وادي البقاع إلى اثنين. كما أنهم سيكونون من هذه المدينة على بعد ٦ كيلومترات من المقرّ العام السوري الكبير في لبنان، ومن موقع قيادة الوحدة الخامسة، المتمركزين في شتورا، وعلى بعد ١٤ كيلومتراً من الحدود السورية، وعلى مسافة ٥٠ كيلومتراً من دمشق. لذلك لا يستطيع الشهابي، في أي حال، السماح بتوسيع حدود الـ«جيب» المسيحي نحو زحلة. فحينئذ، ستكون


جنود سوريون على قمم صنين

(١) اللواء سامي الخطيب «في عين الحدث، خمسة وأربعون عاماً لاجل لبنان».

دمشق بنحو خاص عرضة لخطر جدّي وذلك بعدما استنفرت قوات بغداد على جبهتها الشرقية في مواجهة إيران، وأزالت التهديد المحتمل لوحدات صدام ضد إسرائيل.[١]

التحضيرات السورية

بدأ السوريون تضييق الخناق على مدينة زحلة وتحصين مواقعهم، فانتشروا على التلال المحيطة وعزّزوها بالدبابات.



دبابة سورية حول زحلة

ففي حوش الأمراء، أقام السوريون ساتراً ترابياً على امتداد كيلومتر من «صيدة» حتى «طريق كسارة»، تمركزت وراءه أرتال من الدبابات، وآخر على الخطّ من تمثال العذراء بإتّجاه حزرتا، واستقدموا وحدات خاصة تمركزت في تمثال العذراء وفي مبنى قريب لآل سكاف، كما عزّزوا جسر زحلة بالمدرّعات، وتمدّدوا بإتّجاهه من جهة المعلّقة الكرك، وركّزوا دبابات في أول الكرك وفي شركة الكهرباء حتى مستشفى الخطيب التي عُزّزت بالوحدات الخاصة، وانتشروا على خطّ السكّة، وربطوا المراكز ببعضها، كما توغّلوا من الكرك بإتّجاه تلال زحلة الى تلة زينه الحمّار لإقامة خط للمدرعات. وكانت جرافات الجيش السوري تعمل يوميّاً وبشكل متواصل لإقامة السواتر للدبابات ولحفر الخنادق والتحصينات، كما عملت على شقّ طريق للمدرّعات للوصول الى تلة الحمّار، فالسيطرة عليها تعني سقوط مدينة زحلة.

طوّق السوريون حوش الأمراء والمعلّقة من جميع الجهات، ووضعوا في منطقة مار موسى، المطلّة على حوش الامراء، مدرّعات BMP... وتمركزت في الحي الوطني كتيبة من الوحدات الخاصة.

ومن جهة حزرتا، وعلى تلّة حميمص تمركزت الدبابات وراء سواتر ترابية وخنادق أقامتها الجرافات.

وفي منطقة السبال مقابل سهل الكرك، أقام السوريون خندقاً وسواتر وراءها دبابات. كما أقاموا في سهل البقاع مرابض مدفعية ونصبوا عدداً كبيراً من راجمات الصواريخ.

وهكذا طُوّقت زحلة من الجهات كلّها، فأصبح التحرّك نهاراً مكشوفاً وخطراً، كما حاول السوريون السيطرة على تلّة جحا الاستراتيجية، لكنهم لم ينجحوا.

---

(١) آلان مينارغ «أسرار حرب لبنان».

حوادث وجرس انذار

بعد تطويق المدينة، بدأ الجيش السوري التضييق على الأهالي، فتعرّضوا للمزارعين ولطلاب المدارس خصوصاً على حاجز جسر زحلة المعزّز بالدبابات.

وأبرز الحوادث كانت إطلاق الجيش السوري النار على سيارة فولفو بحجّة عدم توقفها على الحاجز... والحقيقة أن السيارة كانت توقّفت، ولكنّهم بعد أن سمحوا لها بالمرور، أطلقوا النار عليها بغزارة فنجا سائقها فوزي الصقر وابنه نجيا بأعجوبة.

وفي حادث آخر، خُطف شاب من آل خلف على الجسر، وقضى بعد أسبوع نتيجة تعرّضه للتعذيب. وبعد ذلك، خفّ عبور المواطنين كثيراً على الجسر، وأصبحوا يسلكون طريقاً آخر على جسر صغير يربط البساتين بحوش الامراء.

في شهر شباط، حصلت حادثة جديدة في حوش الامراء.. اذ اعتقل عناصر المخابرات السورية الشاب روجيه نمير، ولحسن حظّه أن السير تعرقل في الشارع الرئيسي، فهجم شباب الحوش على سيارة المخابرات وأوقفوا عناصرها الثلاثة وأطلقوا نمير وفتّشوا السيارة فوجدوا فيها لائحة بأسماء ٥٠٠ مطلوب للتحقيق من شباب زحلة.



سليمان الحويك مع شباب من زحلة

عُمّمت هذه اللائحة على المراكز الحزبية، وأُبلغ الشباب ليتجنّبوا المرور على الحواجز السورية.

إثر ذلك، أيقن السوريون أن هناك تنظيماً وتحرّكاً بدأهما شباب زحلة، فبدأوا هم بدورهم الضغط على الدرك لمنع التجمّعات في المراكز الحزبية، وقاموا بمحاولات للتوغّل باتجاه زحلة. وفي إحدى المرات، تقدّموا الى تلة الحمار واستولوا على الهوائي فيها واقتربوا من البيوت، فنزل جوزيف اسطفان (الماريشال) الى السرايا وأبلغ قائد الدرك رفيق الفغالي والضابط بيار غاوي بذلك، فأعلمه الفغالي بأنّه سيطلب منهم الانسحاب، ولكن طلبه لم يستجب، فاضطر الماريشال الى دخول السرايا وارتدى

ثياب الدرك وأخذ آلية منهم وصعد مع شوقي بو سليمان ودخل خيمة السوريين طالباً منهم الانسحاب، فرفضوا. حصل تلاسن بين الطرفين وأطلق الماريشال النار في الهواء، فانضم اليه أكثر من ٣٠ شاباً مع منير وجاك سليمان وآل البعينو واستولوا على الموقع والخيم، فانسحب السوريون وتمركز الدرك على التلة.

قبل نحو أسبوعين من المعركة، أصبح الاحتكاك مع السوريين متواصلاً، وحصلت حوادث متفرقة كان يتخللها إطلاق نار متبادل في بعض المحاور منها حوش الزراعنة وتلة مار الياس، وبدأوا السوريون يضغطون أكثر على الأهالي ويطلقون النار عند اشتباههم بأي شيء، وذلك بعد حصول حادثة في السهل حيث كان سليم عاصي وسليمان الحويك وجوزيف اسطفان وشابان آخران يزرعون الألغام ليلاً على مقربة منهم. ويتذكر جوزيف اسطفان: «سمعنا صوتاً غريباً ثم طلقة رصاص، فتقدّمنا بحذر لنجد سليمان الحويك يخنق جندياً سورياً... فهربنا بسرعة الى داخل المدينة قبل أن يحضر السوريون ويكتشفوا ما حدث».

سبق شهر نيسان تحضيرات متبادلة وأجواء معركة صامتة، وأصبح الظهور العسكري لشباب زحلة علنياً، وكان الناس يعملون نهاراً ويستنفرون ليلاً، ولم يعد ينقص برميل البارود سوى شرارة أُشعلت في أول نيسان.

بدء الحرب

بعد ثلاثة أشهر من الهدنة والتحضيرات المتبادلة، بدأت ملامح الحرب تقترب، فبعد ظهر الاثنين ٣٠ آذار ١٩٨١، خُطف ديب نجيم ومارون الفحل من زحلة إثر مغادرتهما مطعم الأوبرج في شتورة متوجّهين الى المدينة، وطالب الخاطفون المجهولون بإطلاق عناصر منهم إدّعوا أنّهم محتجزون لدى حزب الكتائب في زحلة في مقابل إطلاق نجيم والفحل. كما تعرّض المواطن فايز أبو زيدان للضرب لدى مروره قرب حاجز أمني بين بلدته تربل وزحلة، فأصيب في رأسه وفقد ذاكرته، ثم نُقل الى مستشفى الأمراض العقلية في دير الصليب.

بعد ظهر اليوم التالي، انفجر الوضع في تلة الحمّار المعلّقة، واضطرّ معظم السكان الى ترك منازلهم واللجوء الى داخل زحلة تحسّباً، بعدما تزايد عدد المتاريس السورية المقامة هناك، وباتت المدينة مطوّقة تماماً باستثناء طريق الجرد المخصّصة للمشاة والتي تصل زحلة بجرد صنين.

الشرارة

في أول آذار ١٩٨١، كثّفت الجرافات السورية التي تقيم المتاريس والدشم أعمالها، وتقدّمت بإتجاه تلّة حرقات وتلة الحمّار بهدف فصل المدينة عن الجرد وإحكام الطوق عليها من الجهات الأربع.

اتصل جوزيف اسطفان (الماريشال) بمركز قيادة المدينة، وأبلغ جو إدّه بما يحصل وبأنّ هناك جرافات سورية تقيم الدشم وتشقّ طريقاً للتمركز على تلّة حرقات.

ويقول جوزيف: «طلب مني جو إدّه الصعود الى التلة واستطلاع الوضع ومعالجته، فانطلقت بآلية الى وادي العرايش ومعي شوقي بو سليمان وسليم غزالي ومنير وفؤاد شربل. التقينا ابراهيم حداد وتقدّمنا سيراً على الأقدام ومعنا قاذفة ب٧، وعندما أصبحت الجرافة السورية مكشوفة علينا، أطلقت عليها قذيفة، فاندلعت فيها النار وأصيب العناصر الذين كانوا الى جانبها. حاولت رمي القذيفة الثانية لكنّها علقت في القاذفة، كرّرت المحاولة، وإذ بانفجار يقذفني بعيداً. لم يعد بإمكاني التنفّس والوقوف، وأحسست بالنار في وجهي وجسمي».

أما منير الذي كان يرافق جوزيف فيتذكر: «انطلقنا الى تلة حرقات في جيب GMC قدته أنا، وجلس الماريشال الى جانبي، وفي المقاعد الخلفية شوقي بو سليمان وسليم غزالي وفؤاد شربل. كان السوريون يحفرون المتاريس ويقيمون الدشم... اجتزنا وادي العرايش وتقدّمنا الى نقطة تُعرف بحرج اللوز ومشينا الى موقع مُشرفٍ على الآليات السورية.

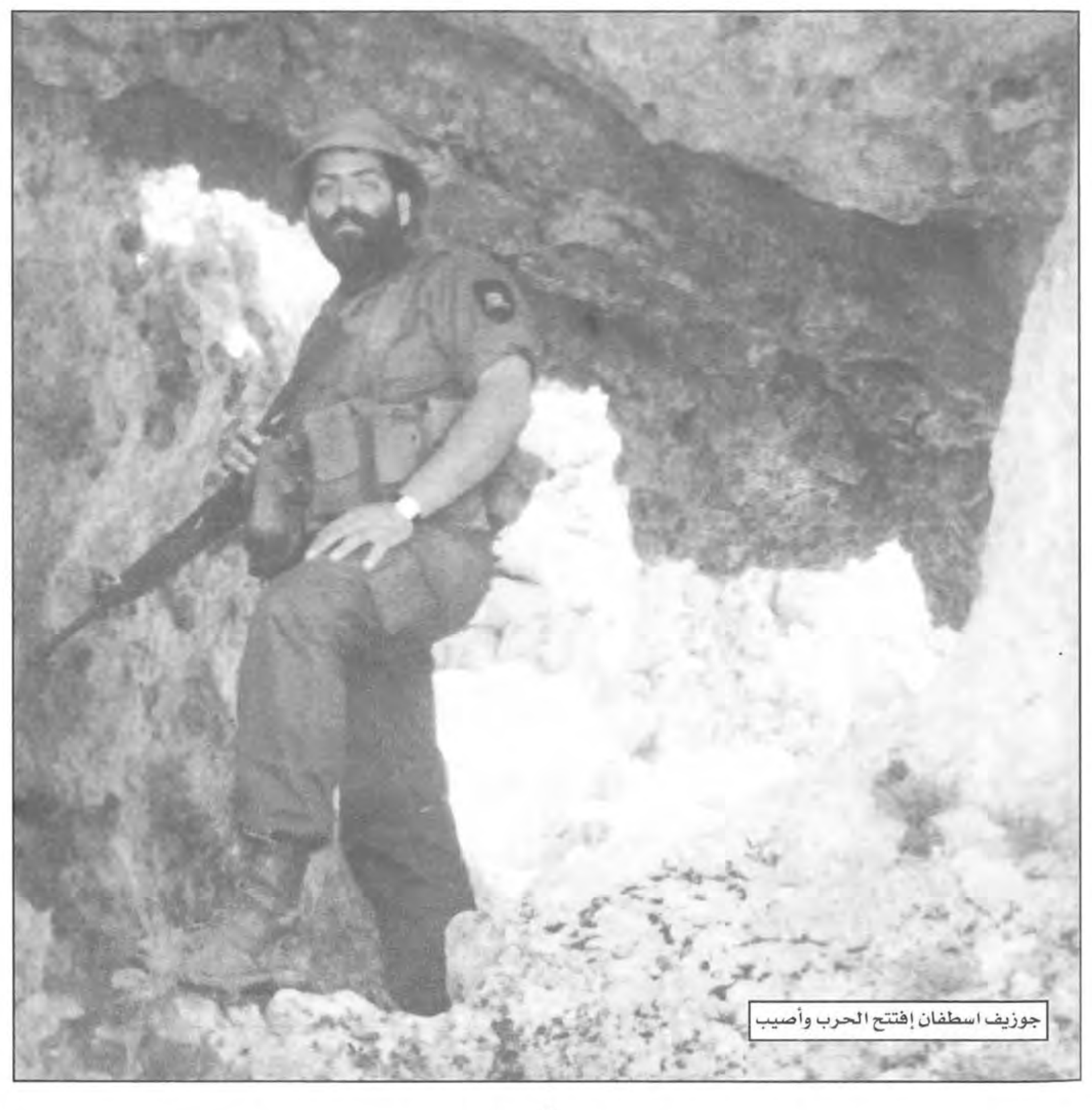
كانت إحدى الدبابات تتحضّر للتمركز وراء الساتر الذي أقامته الجرّافة وحولها بعض العناصر حين أطلق الماريشال قذيفة ب٧ أصابها مباشرة في وسطها، فاشتعلت وتصاعد منها دخان أسود كثيف كما أُصيب العناصر المتواجدون بينها وبين الدبابة. طلبت من الماريشال أن أطلق القذيفة الثانية، لكنه أصرّ هو على إطلاقها... ذخّر القاذفة وصوّبها وضغط على الزناد، لكنّ القذيفة لم تنطلق. أعاد فتح الديك وحاول من جديد، فإنفجرت القاذفة وتناثرت ووقع جوزيف ارضاً، وبدأ ينزف بقوة من أنفه وفمه.. احترقت ثيابه فأطفأناها بسرعة وحاولت حمله لإبعاده، فأشار إليَّ بيده كي أتركه لأنّه لم يكن يستطيع التنفّس، لكننا ساعدناه. وبعد دقائق، ركع ورسم إشارة الصليب فحملناه باتجاه الجيب.

في هذه الأثناء، قصف السوريون بالهواوين المنطقة التي أُطلقت منها القذيفة، وهي منطقة مكشوفة على ضهور

زحلة وعلى تمثال العذراء حيث يتمركزون... نقلنا جوزيف الذي أغمي عليه في الطريق الى مركز الصليب الاحمر قرب اوتيل قادري، فيما بدأت أحياء زحلة تتعرّض للقصف وانطلقت الحرب».

بعد ذلك مباشرة، توغّل جيبان من الوحدات الخاصة بإتجاه تل شيحا، فأبلغ جورج قزي جو إدّه بذلك، وطلب منه إيقافهم. حصل اشتباك امتدّ من تل شيحا باتجاه تمثال العذراء ومنزل آل سكاف حيث يتمركز السوريون، وأطلق شباب الميدان النار من رشاش ١٢.٧ ملم على السوريين قرب التمثال لحماية رفاقهم في مستشفى تل شيحا وفي محيط المقابر العتيقة.

بدأت الاشتباكات في معظم محاور المدينة، وحمل كلّ شاب ورجل بندقيّته بشكل عشوائي وغير منظّم، لكن الشباب النظاميين تحرّكوا بسرعة ووزّعوا الأدوار وبدأوا بتنفيذ الخطة الموضوعة للدفاع عن زحلة.



جوزيف اسطفان إفتتح الحرب وأصيب

مجزرة الدبابات - الجسر - المعلقة

دخل جسر زحلة تاريخ المدينة لما شهده من معارك طاحنة طُبعت صورها في الأذهان والعقول، فهذا الجسر يربط حوش الأمراء بالمعلّقة... في محيطه أبنية عدة تمركزت فيها القوات السورية، منها بناية «صدقه» تحت الطريق باتجاه الحوش، وبناية «صخر» المؤلّفة من أربع طبقات فوق الطريق، وبناية «الرهبان» بإتجاه المدينة، وبناية «غرة» التي كانت قيد الانشاء ومؤلفة من ثماني طبقات على طريق المدينة الصناعية حيث أقام السوريون متاريس في الطبقتين الثانية والسادسة منها. كما تمركزت أيضاً مدرّعات ووحدات خاصة في «نادي السكة» حيث المستشفى الحكومي اليوم.

مع بدء المعارك، لم يكن هناك قرار من القيادة المركزية في زحلة بمهاجمة المدرعات السورية على الجسر، لكن شباب الأحياء قاموا بمواجهتها ودمّروها رداً على القصف العنيف الذي تعرّضت له المدينة. وتوزّع شباب الحوش مجموعات عدة: مجموعة حراس الارز بقيادة الأخمس، مجموعة الأحرار بقيادة طراد، مجموعة بقيادة كارلوس ومجموعة بقيادة نبهان، ومجموعة بقيادة المزرعاني، وبدأت كل مجموعة تسابق الأخرى في ضرب الدبابات السورية على الجسر، فدمّرت ثلاث دبابات في ٢ نيسان.

نتيجة لذلك، وجّه الجيش السوري انذاراً لأهالي زحلة عبر قائد الدرك رفيق الفغالي يقول «اذا سقط الجسر فسندمّر زحلة على رؤوس أهلها». وبالتزامن مع الانذار، تحرّكت، وسط قصف عنيف، المدرعات من مستشفى الخطيب في الكرك عبر المعلقة لدعم القوة السورية على الجسر، فتصدّى لها شباب المعلّقة ومغاوير المجلس ودمّروها على طول طريق يمتدّ نحو ٤٠٠ متر بين مستشفى الخطيب والجسر.

يروي منير وهو أحد المقاتلين بعض ما حصل مساء ٢ نيسان: «أبلغونا بحصول هجوم كبير على المعلّقة، فنزلت أنا وسليمان الحويك للمساعدة. تقدّم السوريون بالدبابات، ولم يتوقّعوا أن يكون هناك مقاومة عنيفة وقدرة كبيرة على المواجهة... إلتقينا بيار الحاج المسؤول عن المعلقة، وآل ابو حيدر، وميناء، وشاب من آل النعيمي من بسكنتا، وهو الذي أعطب بقاذفة خراقة أول دبابة سورية كانت كاسحة ألغام... شاهدنا دبابتين معطوبتين تركهما ضابط سوري وعناصره وهربوا باتجاه الكرك، لكنّ شباب المعلّقة طوّقوهم قرب بناية «شيبان».

طلب سليمان الحويك من الشباب عدم اطلاق النار... وهجم على الضابط السوري وأمسكه من رقبته ثم عضّه في عنقه. سمعنا صراخ الضابط وهو يحاول إبعاد سليمان، ولكن من دون جدوى...».


سليمان الحويك

ويروي سليمان الحويك: «كنت أحمل رشاش كلاشينكوف وكذلك الضابط السوري... التحمنا مع بعضنا ولم يعد بإمكان أيّ منا استعمال سلاحه... عضيته في رقبته وعضني في كتفي ووقعنا على الأرض وهو يصرخ. ثم وقفنا من جديد فدفعني بقوّة وأوقعني في خندق مليء بالمياه ... وقبل ان يُشهر سلاحه عاجلته برشق، فأطلق الرصاص وهو يتهاوى فأصابني في رجلي ووقع الى جانبي في الخندق، ثم أطلق احد الشباب قذيفة ب ٧ باتجاه الجنود وفتحتُ النار عليهم فقتلوا جميعهم».

نُقل سليمان الى مركز الصليب الاحمر حيث أجريت له اسعافات أولية قبل أن يُنقل مع جوزيف اسطفان الى بيروت.

في هذه الأثناء، بدأ القصف السوري العنيف على كل المواقع والأحياء في المدينة، وسرعان ما تعرّضت المناطق الشرقية من بيروت لقصف عنيف، فسقط مئات القتلى والجرحى (٧٠ قتيلاً وأكثر من ٣٥٠ جريحاً في يوم واحد).

طوني كرم من المغاوير أصيب وبترت ساقاه ثمّ توفي في الـ٢٠٠٩

في ٣ نيسان، دُمّرت خمس دبابات سورية على الجسر ليصبح عدد الدبابات المدمرة هناك ٨، ثم تسلّل شباب الحوش الى سطح مبنى «صدقة» وقصفوا دبابة سورية على محطة «عماد الدبس» بقذيفة «ب٧» فأحرقوها، وهاجموا من هناك بنايتي «صخر» و«غرّة» فاستشهد يوسف الحسن وأصيب بيار الصقر برصاصة في رأسه وجان مرديني في يديه وجوزيف سماحة في كتفه ورجليه، وأ. ضاهر في بطنه وعاطف الزين في قدميه (أصيب عاطف مرة ثانية في الحرب واستشهد).

طلب جو إدّه من جورج قزي سحب الشباب الى مواقعهم لأن الأوامر كانت تقضي بالدفاع عن المدينة وليس مهاجمة مواقع القوات السورية... في غضون ذلك، استقدم السوريون وحدات خاصة تمركزت في البنايات التي هوجمت وبقيت فيها طيلة الحرب.

ومساءً، التقطت غرفة عمليات قيادة زحلة عبر أجهزة الاتصال حديثاً لقائد منطقة زحلة في الجيش السوري يأمر فيه قائد المدرعات المتمركزة عند محطة «سلهب» ويقول: «بدنا ناخد الجسر الليلة واللي بيتراجع رح نقصفه من ورا». وتنفيذاً لهذا الأمر، توغّلت مدرّعتان ومجموعات من الوحدات الخاصة بين المعلّقة والمدينة الصناعية. وعند وصولهم الى الجسر، أُعطبت المدرّعتان بقذائف ب ٧. بعد ذلك، ركّز الجيش السوري هجومه على المعلّقة بهدف إيصال الدعم المدرّع لقواته على الجسر... وحصلت مواجهات ضارية والتحام مع الدبابات من مسافة قريبة جداً، وقُصف بعضها بقذائف الـ ب٧ عن بعد ١٠ و١٥ متراً فقط، كما صعد المقاتلون الى إحدى الدبابات ورموا القنابل بداخلها.


الشهيد ميشال ضومط

واكب الهجوم المدرّع على المعلقة قصف عنيف جداً، وسقطت إحدى القذائف وسط مجموعة من شباب المغاوير فاستشهد ميشال ضومط على الفور بعدما اخترقت شظية رأسه، وأصيب طوني كرم إصابة خطيرة بُترت بنتيجتها ساقاه، كما أصيب ميشال الشامي بشظية في رجله...

ويتذكر منير: «بعد تدمير الدبابات على الجسر، تمكّنت دبابة واحدة من التقدّم بإتّجاه المعلّقة حتى مفرق المستشفى، وعندما أيقنت أنها تقدّمت بمفردها، استدارت فجأة عائدة بإتّجاه الكرك وهي تُطلق قذائفها بإتجاه المكان الذي أعطبت فيه باقي الدبابات...».

ويضيف منير: «كان الظلام دامساً، صوّبت قاذفة ب٧ بإتّجاه

دبابات معطوبة على جسر زحلة

وفي المعلّقة

الدبابة، وضغطت على الزناد، لكنّ القذيفة لم تنطلق، فتذكّرت ما حدث مع جوزيف اسطفان في اليوم الأول وخفت من انفجار القاذفة، فوضعتها جانباً. لكن بيتر جريج أطلق قذيفة من ورائي، وأصاب الدبابة في جنزيرها فتعطّلت، وسمعنا صرير دواليب الحديد قبل أن يتركها الجنود ويبدأون بالصراخ وبإطلاق النار بإتجاه مصدر القذيفة وسط الليل الحالك. تقدّمنا باتجاههم وظنّنا انهم تغلغلوا في البنايات المحاذية، ثم سمعنا أصواتهم وراء الدبابة المعطوبة... رمينا عليهم أربع قنابل يدويّة واتبعناها برشقات غزيرة فاختفت الاصوات...».

فشل الهجوم الضخم الذي استمرّ من المساء حتى الفجر وسط قصف هستيري عنيف أوقع عشرات القتلى والجرحى من أبناء زحلة فيما سقط للجيش السوري نحو خمسين قتيلاً.

يقول بول الحاج، أحد مسؤولي الكتائب في المعلّقة: «هنا، شكّلت الشوارع والأزقة المطلّة على الطريق متاريس طبيعية لنا، وساهمت كثيراً في عملية الدفاع، فلم يكن المهاجمون يتوقّعون من أين سنضرب الدبابات، كما لم يكن بإمكانهم التركيز على



أكثر من ٢٠ دبابة دُمّرت في خلال يومين



نقطة واحدة لقصفها... علماً أن أعمار معظم شباب المعلقة كانت تتراوح ما بين ١٦ و٢٠ سنة، وهم قاتلوا بمنتهى البسالة والجرأة».

يروي مسؤول كتائبي آخر في المعلّقة: «في المرة الأولى التي حاول فيها السوريون التوغّل كمشاة على طريق نادي السكة، وقعوا في كمائن نصبناها. وعندما تقدّمت دبابتان من طريق الكرك، أصيبتا بقذائف ب٧ قرب مستشفى الخطيب، ثم تقدّمت ثلاث دبابات، لكنها واجهت المصير نفسه، فأعطبت الأولى قرب مركز الدفاع المدني، وأصيبت الثانية قرب بناية «شيبان»، والثالثة احترقت قرب بناية «النجار»، كما وقعت دبابة تحت الطريق عند محاولتها الهرب.

دمّرت عشر دبابات على طريق عام المعلّقة في أول أيام الحرب، وقُصفت كلّها بقذائف «ب ٧» وبقاذفات خرّاقة. وكان الجنود يتركونها ويهربون باتجاه الكرك».

لعب شباب كتائب المعلّقة ومغاوير المجلس الدور الأساسي في المواجهة. كان بيار الحاج مسؤولاً عن المعلّقة وشقيقه بول مسؤولاً ميدانياً، وكان أحد المسؤولين يدير وينسّق عملية الدفاع، وبرز على طريق المعلقة التحتا ط.

سماحة وزيتو من الماردينيين... كما أبلى ج. البواشق البلاء الحسن... وبرز من المغاوير ميشال الشامي وبيتر جريج وميشال ضومط وجورج شليطا، وعزيز... وسليمان الحويك...

يقول جورج قزي: «كان السوريون يتقدّمون بالدبّابات، والجنود يختبئون في داخلها... لم يكن مع الدبابة عناصر مشاة لحمايتها من قذائف الـ ب٧، وهذا الأمر سهّل ضربها، فالدبابة تسير مثل شخص لا يرى إلاّ في اتّجاه واحد، وحرب الدبابات في الشوارع لا تفيد الجيش النظامي الذي يقاتل في أماكن مفتوحة، كما أن السوريين قصفوا بعض الدبابات المعطوبة في محاولة لفتح الطريق».

أما آلان مينارغ فيقول في كتابه «أسرار حرب لبنان» عن معارك الجسر والمعلقة: «في بضع ساعات، استولى المقاتلون المسيحيون، الذين كان بضع عشرات منهم قد تسلّلوا (الى زحلة) خلال الشتاء، على المتاريس التي كانت قوات الردع العربية قد أقامتها على المحاور الرئيسية الكبرى لزحلة، وكانت نقطة اللارجوع قد جرى تجاوزها.

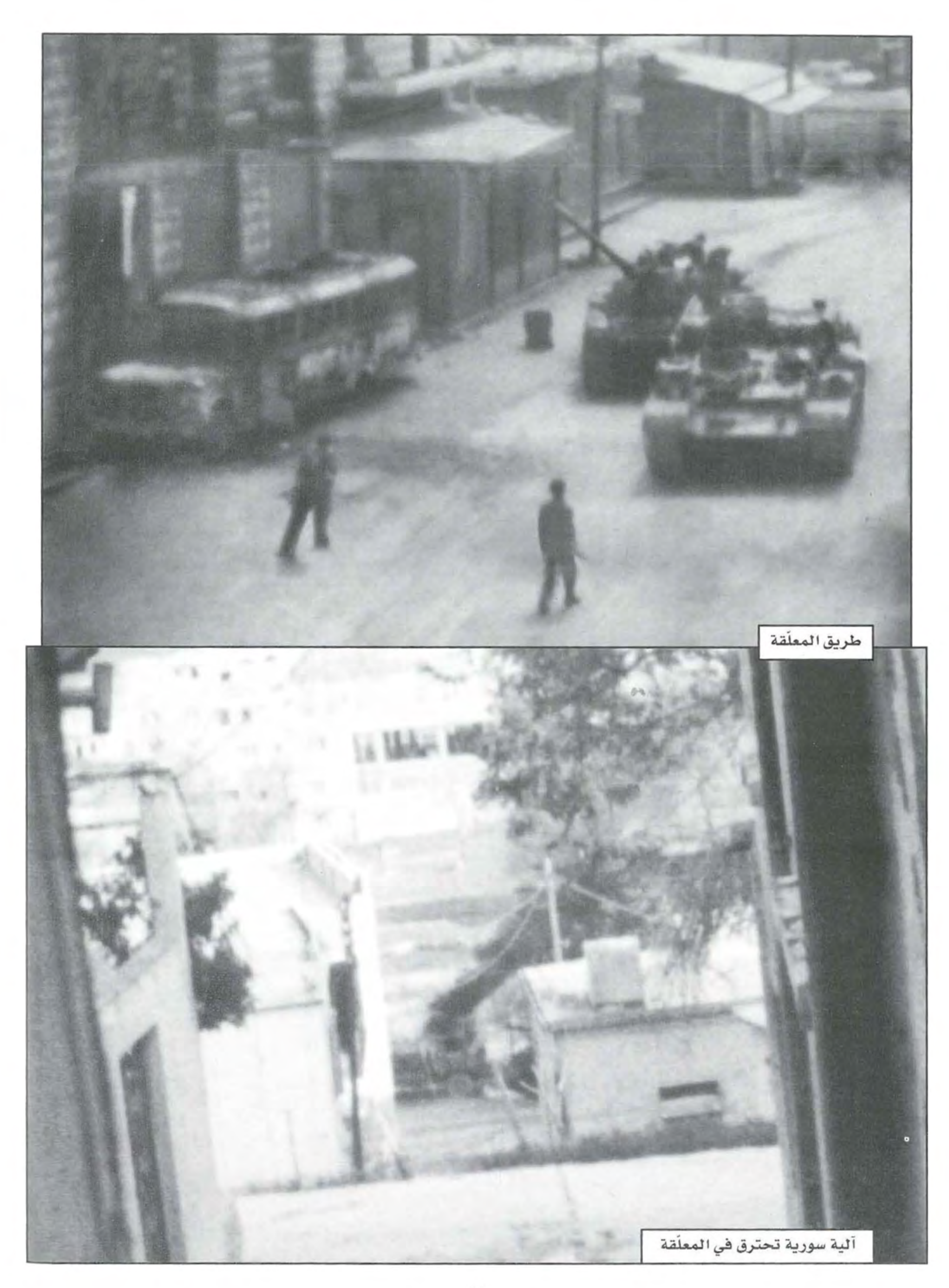
إن السهولة التي تمكّنت بها القوات اللبنانية من إزالة المتاريس، أقنعت الأركان السورية بأن بعض الإسرائيليين كانوا يقاتلون الى جانب مسيحيي زحلة».



كنيسة مار جرجس- المعلّقة دمّرها القصف



الأضرار المادية كانت هائلة


طريق المعلّقة

آلية سورية تحترق في المعلّقة



فتيان وشباب المعلَقة قاتلوا ببسالة

هستيريا ومقبرة جماعية

بالتزامن مع المعارك الضارية في المعلّقة وعلى الجسر، كانت كلّ أحياء زحلة تقصف بشكل هستيري، فسقط عشرات القتلى والجرحى بينهم ٢٩ مواطناً من حوش الأمراء قضوا تحت بناية «العبسي» التي انهارت على من فيها. مأساة غيّبت ثلاث عائلات بأكملها في حين ظلّت القذائف تعزف نشيداً جنائزياً فوق الأنين والجثث.

يوم الخميس ٢ نيسان ١٩٨١، لجأ مواطنون من حوش الأمراء الى بناية «العبسي» هرباً من منطقة البساتين المكشوفة والخالية من أي ملجأ. ظنّ الهاربون أنّهم سيكونون في مأمن من القصف مفترضين أن ضخامة بناء «العبسي» قد تحميهم من الإصابة بشظايا القذائف، لكنّ الموت كان يتربّص بهم. وما أن دخلوا البناية، حتى ركّزت الدبابات السورية المتمركزة في كسارة قصفها عليها. بعد فترة، شعر من في الداخل أن زلزالاً عنيفاً ضرب المنطقة، لم يكن ذلك إلا بداية انهيار الطبقات العليا... بعد لحظات، تزلزلت الأساسات وانهارت البناية على من فيها، فاختلطت أصوات الإستغاثة وأنين الجرحى بدويّ القذائف وبنحيب من في الخارج.

يروي أحد الكتائبيين في حوش الامراء وقائع المأساة الرهيبة: «وصل الخبر الى بيت الكتائب في الحوش، فتدافعنا لمساعدة من يمكن إنقاذه من الموت... دخلنا البناية وأيدينا على قلوبنا، فمع كل وطأة قدم كنا نشعر وكأن البناء سينهار ثانية. لم نستطع رؤية أحد على الرغم من سماعنا أنين من يصارعون الموت... نزلنا الى الطابق السفلي وأرعبنا المشهد... تسع جثث معلّقة بين سقفين منهارين والدم متجمّد لإختلاطه بكميات من مواد لاصقة، فكان المشهد أشبه بمغارة جعيتا إنما بدماء الأبرياء.


بناية العبسي تحوّلت الى ركام

أنقذنا سبعة أشخاص كانوا في مدخل البناية، وظنّنا أنه لم يبقَ حيّ في الداخل، لأننا لم نعد نسمع أصوات الإستغاثة أو أنين الألم ... وما ان هممنا بالخروج، حتى سمعنا صوت طفل يسأل من بين الردم: «مين في هون؟ كتائب خلّصوني». صرخنا جميعاً وبصوت عال: «نعم، نعم، تكلّم بعد حتى نعرف أين أنت»، فقال: «أنا روجيه إبن جورج المعلوف»، وكان المستغيث طفلاً لم يتجاوز الثامنة من

عمره لجأ الى البناية مع أمه وشقيقته فيما كان والده في زحلة.

بدأنا التفتيش عنه بسرعة قبل أن يسبقنا الليل حيث لا كهرباء، وخوفاً من البقاء داخل البناية المعرّضة لإنهيار ما تبقى منها علينا. وصلنا الى حيث الطفل الذي كان عالقاً بين سقفين، رجلاه تحت ظهره والردم ممزوج بمواد لاصقة ويغطّيه حتى العنق. كان باسطاً يديه، واحدة على صدر أمه وأخرى على شقيقته اللتين قضتا بجانبه. أزلنا على الفور الردم عن صدر الطفل كي يستطيع التنفّس بحرّية، ولكن تعذّر علينا إزالته من بطنه الى أسفل، فقد بدأ القصف يتركّز على البناية من جديد وحلّ ظلام حالك.. لفّينا الطفل روجيه بأغطية صوفية وجرّعناه زجاجة حليب وذهبنا لاستقدام عدة لإزالة الردم من حول جسده وهو يقول لنا: «أخبروا البابا أنني حيّ وأوعا تتركوني». ولكنّنا تركناه لإحضار معاول ورفوش يمكن أن تساعدنا.

عدنا بعد ساعات، وما كدنا نخطو بين أنقاض البناية المهدّمة حتى سمعناه ينادينا: «ساعدوني»، فجرّعناه زجاجة حليب أخرى وبدأنا العمل ثانية. كان روجيه يصرخ من الألم، ثم سألنا: «الماما ماتت؟». فقلنا: «لا إنها في البيت». فأجاب: «كلاّ، ها هي بقربي ميتة كذلك أختي»، فقلنا له: «إن أختك نائمة»، فابتسم وقال: «من ينام يتنفس وأختي لا تتنفس، لقد ماتت». عندها أخفى كل منّا دمعة لم يستطع حبسها. تابعنا عملنا الى أن استطعنا إزالة الردم حتى ساقي الطفل. حاولنا إنتشاله، إلا أنه كان عالقاً بين سقفين، وكلّما حاولنا سحب رجليه، كان صراخه يعلو بقوّة فتتمزّق قلوبنا. كنّا نشعر وكأننا سنقضي نحن أيضاً تحت الردم. انقضى الليل، ولم نستطع انتشاله. قمنا بإطعامه وحقنه بإبرة مخدّر خوفاً من ألا يستطيع تحمّل الألم والبرد ولففناه بالأغطية الصوفية.



ثلاثون قتيلاً تحت أنقاض بناية العبسي

وفي اليوم التالي، حضر طبيب معنا، فحقنه بمضادات للالتهابات وبأدوية مسكّنة وعلّق له أمصالاً وتركناه... وفي اليوم الثالث، أخذنا معنا رافعة وغامرنا برفع السقف المنهار قليلاً ونجحنا في انتشال الطفل الذي بدت عليه آثار الإعياء وكأنه ينازع. قال بصوت متهدّج ضعيف: «ليش البابا ما إجا، مش عارف إني بقيت طيّب»... كنا ما زلنا نخفي على ربّ العائلة قصة أسرته... وصلنا الى بيت الكتائب حيث نقلنا الطفل الى زحلة للمعالجة ثم نقله الصليب الأحمر الى بيروت ومنها الى فرنسا حيث بُترت رجلاه .....



جانب من بناية العبسي وفتاة قضت تحت أنقاضها

إلى فرنسا

مساء الجمعة ١٩٨١/٤/١٠، الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة مساء، أقلعت الطائرة- المستوصف «الترنسال» الفرنسية، من مطار بيروت في طريقها الى فرنسا وعلى متنها ٢٢ جريحاً لبنانياً من أصل ٢٨ (٦ عادوا عن قرارهم بالذهاب الى فرنسا) وهي الدفعة الأولى من الذين وصفت حالتهم بالخطرة، وضمّت ١٥ مواطناً من زحلة، بينهم الطفل روجيه المعلوف (٨ سنوات) الذي بترت ساقاه، و٧ عسكريين من الجيش اللبناني.

وكانت عملية إخلاء الجرحى قد بدأت في الأولى والنصف بعد الظهر، في مستشفى بعبدا الحكومي، ونقلتهم طائرات هليكوبتر تابعة للجيش اللبناني، واستقبلهم في المطار العقيد الطبيب مرسال برنس رئيس قسم الجراحة في المستشفى العسكري ومندوبون من وزارة الصحة، بالإضافة إلى الكولونيل فوايه رئيس الفريق الطبي الفرنسي الذي يتألّف من ٤ أطباء و٧ ممرّضين وطاقم الطائرة- المستوصف.



وحُمل الجرحى الى داخل الطائرة ووضعت لهم الأمصال والأدوية اللازمة في أسرّة خاصة بعضها فوق بعض.

وتفقّد السفير الفرنسي في بيروت السيد لوي دولامار الجرحى وأشرف الملحق العسكري الفرنسي الكولونيل دوفور على وصولهم الى الطائرة، وبقي معهم حتى ساعة الإقلاع.

كما رافق الجرحى طبيب من الجيش اللبناني، ولم يسمح إلا للطفل روجيه المعلوف بأن ترافقه عمته وذلك لصغر سنّه.

ووجه المدير العام لوزارة الصحة الدكتور روبير سعادة كلمة شكر الى الفريق الطبي المتفرغ من مستشفى بعبدا الحكومي والمعاونين الفنيين والراهبات «الذين عملوا ليل نهار لمعالجة إصابات الحوادث وخصوصاً جرحى زحلة الذين قدّمت لهم الإسعافات اللازمة والعلاجات». وأوضح ان الذين نقلوا الى فرنسا رغبوا في ذلك «وليس بسبب عجز مستشفى بعبدا الحكومي عن معالجتهم».

وشكر الدكتور سعادة العسكريين الفنيين الذين سدّوا النقص في فريق معاوني الأطباء، فهؤلاء لم يستطيعوا الوصول الى المستشفى في الحوادث.

من جهّته، وجّه وزير الصحة الدكتور نزيه البزري برقية شكر الى إدارة الهلال الأحمر اللبناني «لتأمين الدمّ للمصابين في الأحداث المؤلمة التي يمرّ بها لبنان».

إستشهاد الراهبة والمسعفين



في ٤ نيسان الساعة الخامسة مساءً، كانت الأخت ماري-صوفي الزغبي تنقل بسيارة إسعاف تابعة للصليب الاحمر أمصالاً وأدوية وخبزاً الى مستشفيات زحلة، وكان يرافقها الممرّضان خليل صيدح وسليم حمود، عندما تعرّضت السيارة على طريق المعلقة لإطلاق نار كثيف من الأسلحة المتوسطة والخفيفة من مواقع السوريين في الكرك. خرجت السيارة عن مسارها واصطدمت بحائط الى جانب الطريق على مدخل المعلّقة.

الأخت الشهيدة ماري-صوفي الزغبي

استمرّ اطلاق النار على السيارة حتّى بعد توقّفها، ولم يستطع أحد الإقتراب منها. مع حلول الظلام الدامس، حاول شباب المعلّقة التقدّم لسحب الجثث، لكنّ الرمايات السورية الكثيفة منعتهم. استمرّت محاولاتهم لساعات وكانوا يتقدّمون ويتراجعون من دون جدوى، حتى اضطرّوا الى خوض معركة ضارية بدأوها بتنفيذ رمايات غزيرة بالأسلحة المتوسطة على كلّ المراكز السورية المحيطة بالسيارة، ونجحوا قرابة منتصف الليل في سحب الجثث الثلاث.

كانت كلّ جثة مصابة برصاصات عدة، ووضع العقيد الطبيب الجرّاح مرسيل برنس تقريراً بعد الكشف على جثة الراهبة جاء فيه: «لدى معاينة جثة المرحومة الأخت ماري-صوفي الزغبي، تبيّن أنها مصابة بطلق ناري من سلاح حربي في الوجه من الجهة اليسرى، وقد خرجت القذيفة من الناحية الثانية، وأنها مصابة أيضاً بطلقات عدة من سلاح حربي في الصدر، والبطن، ولا يوجد أي أثر لعمل عنف على الجثة».

الرئيسة العامة لراهبات القلبين الأقدسين الأخت لويز-ماري شدياق أصدرت بياناً جاء فيه: «ليت لي أن أمشي طريق الأخت ماري-صوفي الزغبي، فأفدي شعبي ووطني من مأساته الرهيبة.

الأخت ماري-صوفي، راهبة من راهبات القلبين الأقدسين، نذرت نفسها لمثل هذا المصير، لأن محبّتها الكبيرة لشعبها شعّت في قلبها عمل فداء، فاستعجلت أسبوع آلامها واستشهدت على الطريق بين المدينتين لئلاّ تنقطع جسور الإنسانية بينهما ولا تنفصم روابط الدماء ما بين الشعب الواحد. كان كلّ همّ الأخت صوفي أن تحمل هذا الصليب الثقيل عن شعبها، وتمشي في جلجلة العذاب تبذل ذاتها عنه، محاكاة لعمل فاديها، وكان همّها أن يطلّ فجر القيامة على شعبها، وقد انتصر على الدمار والخراب والموت. يوم استشهدت أختنا على طريق المحبة، اعتبرنا نحن أخواتها في الجمعية أنّ هذا الحدث من منطق حياتنا وصميم رسالتنا المسيحية، وأنّ استشهادها تضحية وفداء لمن سيعيشون من بعدها بالأمن والطمأنينة ومشاركة في عملية انقاذ هذا الوطن الجريح، لذا تقبّلناه بالدموع والصمت


المسعفان الشهيدان خليل صيدح وسليم حمّود

وتأمّلناه في أعماقنا. لكن استغلال هذا الحادث المقدّس إعلامياً وسياسياً، وتشويه ما فيه من حقائق وقيم إنسانية دفعني الى الخروج عن الصمت لئلاّ تموت الفضيلة، وتدمّر في بيئة تخنقها الأنانية والبغضاء، ويسيطر عليها منطق العنف والدماء. أذكر الحدث كما وقع وفاء وأمانة، ليس فقط للأخت ماري-صوفي، بل أيضاً لرفيقيها خليل صيدح وسليم حمود المسلمين. كانوا جميعاً يقصدون زحلة لمبادلة الخدمة بالخدمة. فيوم تعرّضت بعلبك للقصف، سارع الزحليون الى إسعاف إخوانهم في بعلبك، فما كان من شباب بعلبك إلا أن ردّوا لهم ذلك بالمثل، لقد سارعوا قبل الأخت ماري-صوفي الى مداهمة الخطر والذهاب الى زحلة. المهمّ في الحدث هو وحدة هذا الشعب، حيث تمتزج دماء أبنائه مهما تنوّعت طوائفهم وتعدّدت أساليب حياتهم فدية عن الإنسان فيه. المهمّ هو المصير المشترك لهذا الشعب الذي عانى المصائب والويلات، فمزقوه وباعدوا بين أفراده من أجل مصالح وغايات، فجاء حدث الأخت صوفي والشابين خليل وسليم ليدحض كلّ تفرقة بين الإنسان والإنسان، ويجمع في نبل معانيه وتسامي مراميه بين الشعب الواحد على المصير المشترك. والأهم أن يكون عبرة لكل مسؤول ومواطن، فتحلّ المحبة محلّ البغض، واللقاء الأخوي الصريح مكان التفرقة والتشكيك، فنتلاقى في وحدة شاملة، مسلمين ومسيحيين، أمام الله والإنسانية، فننقذ شعبنا من المآسي والآلام. من هنا ننادي أصحاب النوايا الطيبة، من جعلوا من المحبة ديناً لهم، أن يتكاتفوا ويتعاونوا ويمدّوا أياديهم كجسور صلة ووحدة وتضامن من أجل إنقاذ الوطن».

سدّ الثغرات

بعد اليومين الرهيبين ٢ و٣ نيسان، سارع المقاتلون في زحلة الى سدّ الثغرات التي قد تُشكّل خطراً على المدينة.

يـروي جـورج قـزي: «مسـاء ٣ نيسان، قطعنـا طريق حوش الأمراء الأساسية بسيارات وشاحنات قديمة وضعناها في وسط الطريق قرب بيت الكتائب، وأقفلنا المنطقة نهائياً على أي تقدّم، وحاول السوريون ضرب هذا السدّ لإدخال الآليات ولكن من دون جدوى».

أما في المعلّقة، فيتذكر بول الحاج: «استخدمنا شاحنات البلدية كسواتر على الطرقات الخطرة بعدما ملأها شباب من آل السروجي بالرمال. كنّا نوقف الشاحنة في عرض الطريق ونطلق النار على إطاراتها، كما زرعنا ألغاماً حول الشاحنات. حاول السوريون فتح الطريق أكثر من مرّة، اذ كانت الدبابات تقصف الشاحنات المحمّلة بالرمل، وكلّما أحدثت ثغرة، كنّا نقوم ليلاً بسدّها بشاحنة أخرى».

جورج قزّي المسؤول عن حوش الأمراء

بعد ضرب الدبابات على الجسر وفي المعلّقة، حاول السوريون أكثر من مرة خرق خطوط الدفاع من جهة تمثال العذراء ومستشفى تل شيحا، لكنهم صدّوا بقوة وكذلك لجهة الحمّار وتلة جحا، فلجأوا الى القصف العنيف والمباشر من الدبابات، ولم يسلم منزل في زحلة من الإصابة.

يقول جورج قزي: «في الأيام الأولى في حوش الأمراء، كان عدد المقاتلين لا يتخطى الستين لأنّ مجموعات من شباب الحوش انتقلت للقتال في التلال المحيطة بزحلة. لم نكن بحاجة الى عدد كبير من الرجال، فخطّتنا كانت استدراج السوريين الى حرب الشوارع، وهذا النوع من القتال لا يتطلّب أعداداً كبيرة، بل يحتاج الى مجموعات صغيرة تراقب وتكمن وتصدّ هجوماً محدوداً أو تسلّلاً وتوغّلاً. وارتحنا كثيراً بعد تدمير الدبابات في اليومين الأوّلين من الحرب، اذ أُقفلت الطريق على الرغم من أن السوريين حاولوا فتحها أكثر من مرّة من خلال ضرب الدبابات التي تعطّلت أو دفعها بدبابات أخرى. لكنّنا تصدّينا لهم، فلجأوا الى القصف. ثم ثبتت المواقع في حوش الأمراء وأصبحت المواجهات كلاسيكية: قصف وقنص وإطلاق نار عند أي تحرّك من الجانبين».

في الرابع من نيسان، طالب البطريرك والمطارنة الموارنة بدخول الجيش اللبناني الى زحلة، ونقل الوزير الياس الهراوي قرار زحلة بكاملها الى الرئيس سركيس ليبلغه بدوره الى المسؤول السوري عبد الحليم خدام ويقول القرار: «الحلّ



الأسد للهراوي: لن يُهزم جيشي أمام الميليشيات

الوحيد لإنهاء المجزرة هو دخول الجيش اللبناني الى المدينة، وستستمر المقاومة حتى الوصول الى هذا الحل الذي لا نرضى عنه بديلاً، ولا ندين بشرعية الا شرعية الدولة اللبنانية».


جنود سوريون أمام تمثال العذراء



أما ردّ فعل الرئيس حافظ الأسد فأورده قائد قوات الردع العربية اللواء سامي الخطيب في مذكّراته بالقول: «انفجر الوضع العسكري على أقصى درجات التصعيد بين الفريقين، ليس في زحلة فقط، بل في بيروت أيضاً... اتّصل الرئيس سركيس هاتفياً بالرئيس الاسد، وطلب منه استقبال موفده الخاص وزير الأشغال العامة والنقل الياس الهراوي...».

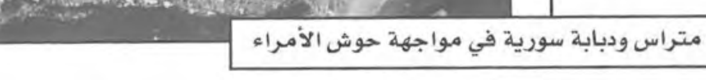
وقال الأسد للهراوي: «لن يهزم الجيش السوري أمام الميليشيات، وما دامت الجبهة اللبنانية تعامل السوريين والفلسطينيين على قدم المساواة وتعتبرنا محتلّين، فلن أسهّل دخول الجيش اللبناني الى أي مكان، ولن أتجاوب مع أي شيء ما لم تتراجع الجبهة اللبنانية عن موقفها. ثم ما معنى هذا الضجيج الاعلامي، وهذه الحملة الدبلوماسية المحمومة؟ لا تخدعوا أنفسكم، وتذكّروا أنّه في الدقيقة التي تبدأ فيها الدوائر الدبلوماسية تدبيج برقيات الشجب والإحتجاج ولحين الفراغ منها، نكون قد وجدنا ما يكفي من الوقت لقصف ألف قنبلة على زحلة.»(١)

---

(١) سامي الخطيب، «في عين الحدث، خمسة وأربعون عاماً لاجل لبنان».



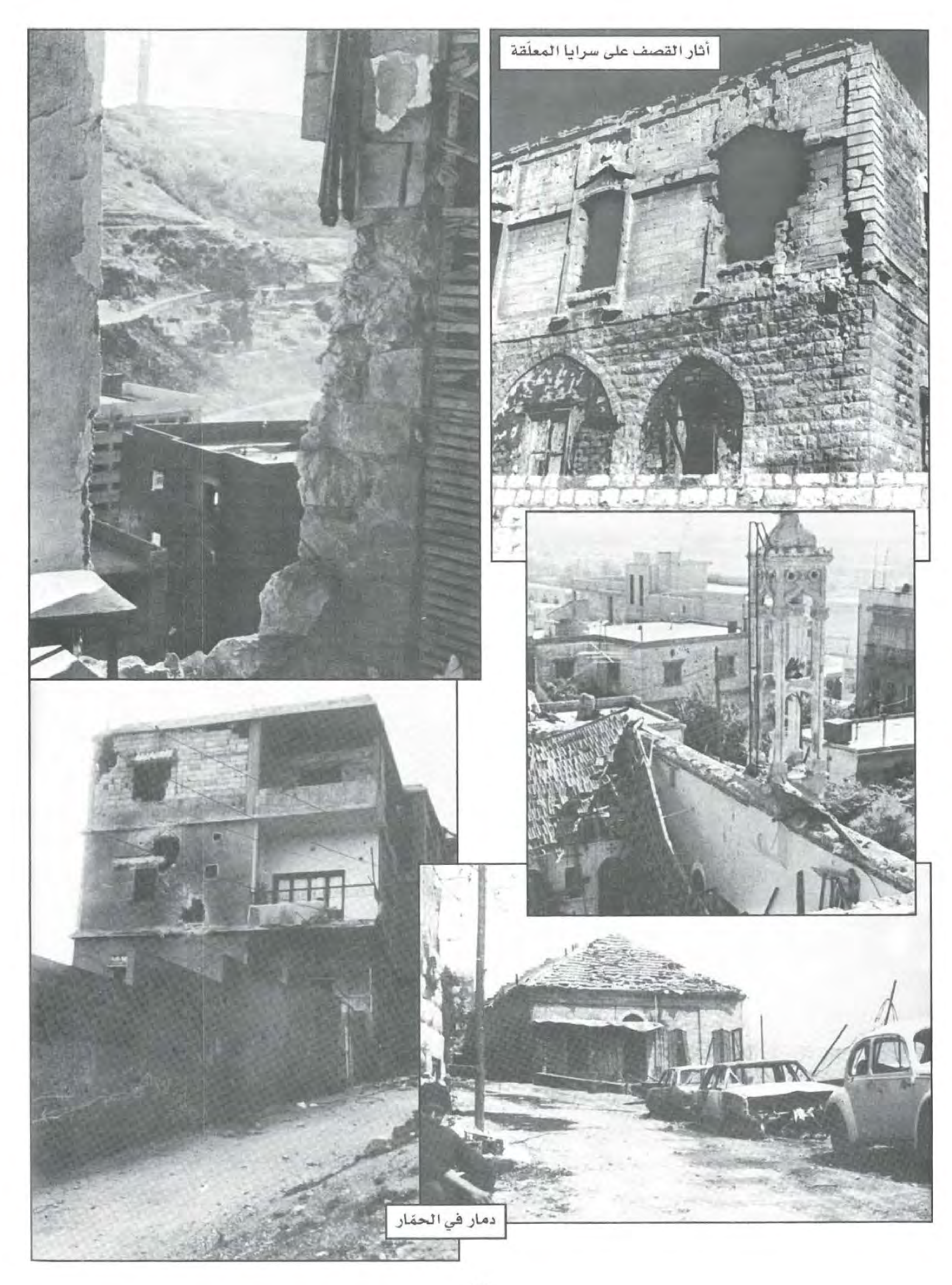
متراس ودبابة سورية في مواجهة حوش الأمراء



شباب حوش الأمراء بعد عشر سنوات على الحرب

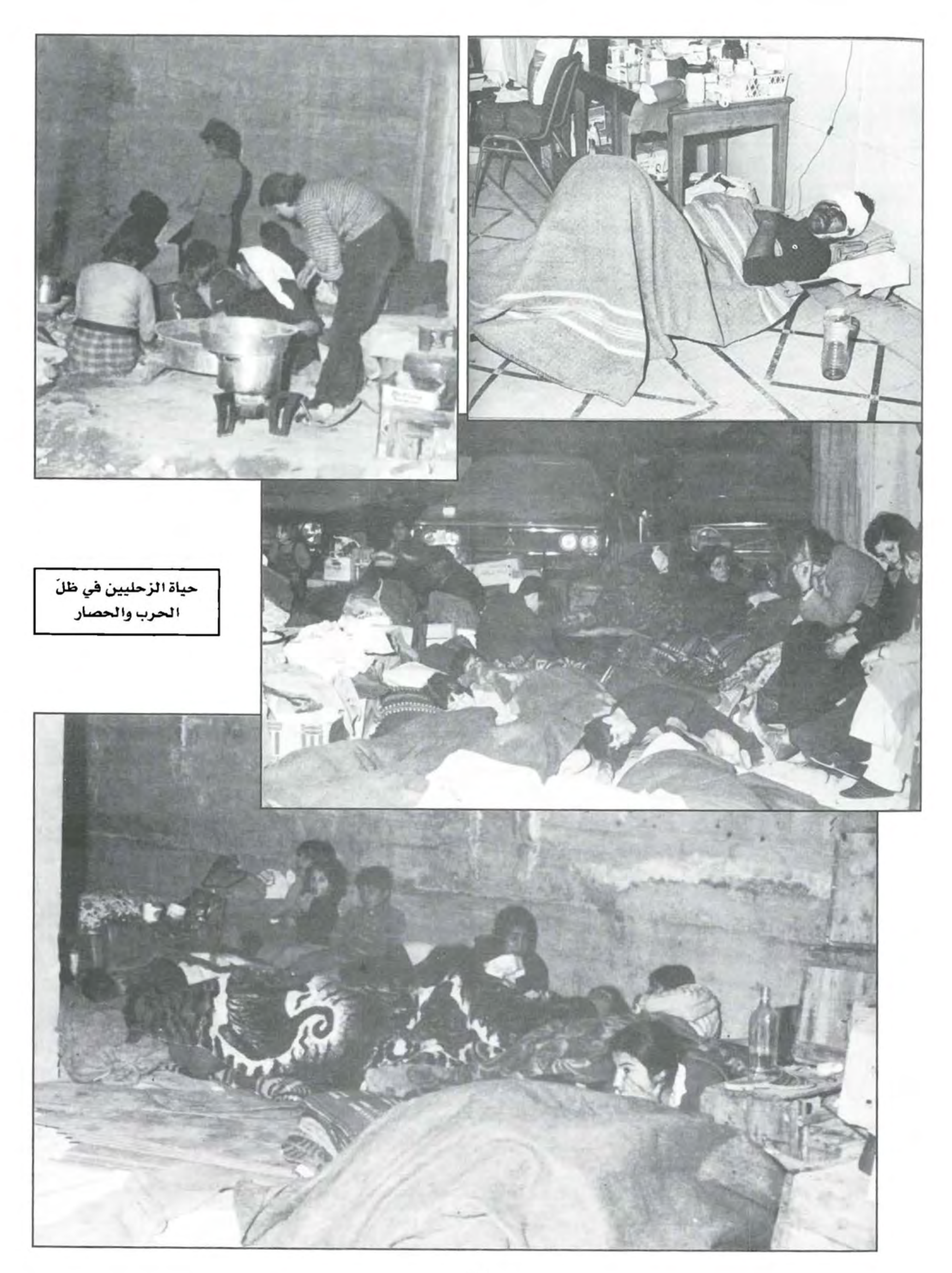
حوش الأمراء خلال الحرب

منزل أصابته القذائف



أثار القصف على سرايا المعلّقة

دمار في الحمّار



حياة الزحليين في ظلّ
الحرب والحصار

دعم المدينة


بول الحاج أول الواصلين الى المدينة

بعد اشتداد ضراوة المواجهات في اليومين الأوّلين، قرّر بشير الجميل دعم زحلة بوحدات مركزية من المنطقة الشرقية... وقبل وضع أي خطّة للتوجّه الى المدينة، أخذ بول الحاج، من المعلّقة، المبادرة منفرداً، وأبلغ القيادة أنّ بإمكانه الوصول الى زحلة لأنّه يعرف الجرد تماماً[1].

لكن قيادة القوات كانت يومها حذرة من خطورة الطريق وغير متأكدة من أنّها آمنة...

ليل ٢ نيسان، إنطلق بول الحاج وطوني السباك وقزحيا الزغريني الى المدينة، ووصلوا فجراً الى تلة حرقات. اتّصلوا بالقيادة في بيروت عبر جهاز حملوه معهم: «اننا الآن في قلب زحلة، وبالتالي كما وصلنا يمكنكم أنتم الوصول أيضاً...».

بعدما اطمأن مَنْ في بيروت لوصول بول ورفيقيه، تحضّرت في اليوم التالي مجموعة من شباب زحلة قوامها ٩٠ رجلاً بقيادة جوزيف الحاج (أبو حلقة) للتوجّه الى المدينة.


نبيل التنّ

يقول نبيل التن: «لَم تكن المجموعة تضمّ مقاتلين فقط، بل كان معنا شباب من زحلة بينهم المهندس نديم الحجار... وسليم عون الذي أصبح نائباً... وعدد من الطلاب الذين كانوا يدرسون في بيروت وأرادوا الصعود الى زحلة للبقاء مع أهاليهم... نقلونا مساء الى التيليسياج في عيون السيمان، وسرنا الى الشير الأحمر، فيما كانت الراتركات تنقل الذخائر... وحملنا معنا، إضافة الى سلاحنا وعتادنا الفردي، قذائف ب٧ ورصاصاً وقنابل يدويّة لنقلها الى زحلة... عانينا كثيراً على الطريق، وأُصيب معنا عدد من الشباب بسبب الإنزلاق على الثلج من أعلى الشير الأحمر حتى أسفله... ... وقصفت الراجمات السورية المتمركزة في رياق الجرد بشكل عشوائي بعدما أحسّ السوريون، أو وردت اليهم معلومات بأنّ هناك مجموعة تتّجه الى زحلة. استهدف القصف المنطقة من الشير الاحمر وقواميع العبد الى الغرفة الفرنسية وشير النحيلي... وصولاً حتى طريق شمسطار عيون السيمان... استغرقت المغامرة ١١ ساعة ووصلنا الى المغارة الساعة السابعة صباحاً ثم دخلنا الى المدينة».

---

(١) بول الحاج عاش مع رفاقه في الجرد منذ عام ١٩٧٨، وخدموا في نقطة مطيوحان وفي الغرفة الفرنسية.. وأقاموا مركز جبل عرمتا قبل أن يشكّلوا وحدة مركزية تابعة للمجلس الحربي.

تدخّل الوحدات المركزية

بعد ظهر الرابع من نيسان، تجمّع رجال من الوحدات المركزية في أوتيل المزار حيث مركز القيادة ومعهم الياس الزايك، وضمّت القوّة وحدة من ثكنة أدونيس بقيادة حنا العتيق قوامها ٣٠ عنصراً، ومجموعة جورج ملكو وضمّت ١٤ عنصراً معظمم من السريان في الأشرفية[١]، و٢٠ مقاتلاً من شباب زحلة، بالإضافة الى مجموعة من المغاوير تألّفت من عشرة عناصر.

وعند الساعة الحادية عشرة ليلاً، نقلت الراتراكات، التي كان يوسف حنا مسؤولاً عنها، المقاتلين من المزار الى الشير الاحمر. كان الضباب كثيفاً والبرد قارساً فتحوّلت الثلوج المتساقطة الى جليد.

يتذكر روبير عواد: «قيل لنا في البداية اننا سننتقل بالمروحيات الى صنين، ثم أبلغونا أنّ الرؤية السيئة لم تسمح بذلك... وصلنا الى الشير الاحمر حيث كان يتمّ تجميع الذخائر والأسلحة لننقلها الى زحلة. وزاد حنا العتيق على عتادنا الفردي قذائف ب٧ وقنابل يدويّة وصناديق رصاص حملناها معنا، وسار جوزف الحاج في المقدّمة لأنه يعرف الطريق التي توصل الى وادي العرايش، بينما سار حنا العتيق في آخر القافلة».



الطريق الشاقة

يضيف روبير عواد: «كنّا نلبس معاطف عسكرية من النايلون المخصّصة للشتاء (بانشو)، انزلقنا على شير الوردة، وهو منحدر حاد طوله نحو ٧٠٠ متر، فكانت أصوات الشباب تُسمع أول الشير ولا تعود تسمع في آخره. فقد البعض البنادق وجزءاً من الحمولة التي سبقتهم أو لحقتهم الى آخر المنحدر.

كان الظلام دامساً، ولم نكن نعرف ان انحدار الشير حاد الى هذه الدرجة. حاول البعض السير الى الخلف، وشكّوا جراب البنادق في الثلج المجلّد الذي أصبح كالزجاج، لتفادي الإنزلاق، لكنّ معظمهم انزلقوا او تدحرجوا... وتهشّمت أيادي وليم بدر وأليك إيليا وآخرين لأنهم حاولوا أن يوقفوا انحدارهم بأيديهم... وقد تمّت معالجة المصابين في مستوصف وادي العرايش ولم يتمكّنوا من استخدام أيديهم الا بعد أسبوع».

يروي حنا العتيق: «اتفقنا على أن يضيء أول الواصلين الى آخر منحدر الشير ضوءاً فوسفورياً ليتجمّع الرجال قربه، فيتمّ تعدادهم والتأكد من وصولهم، ولكن تبيّن بعد التعداد فقدان جوزيف عفيش[٢]، أحد عناصر مجموعة

---

(١) مجموعة جورج ملكو كانت بإمرة الحاصباني لكنّها عادت ليلاً الى صنين بعدما ترك شبابها كل ذخائرهم مع وحدات أدونيس بطلب من الحنون الذي أبقى مع كل عنصر بندقيته وممشط واحد فقط... وخلال عودتهم هبت عاصفة ثلجية فتضعضعوا وتشتّتوا وفقد منهم شابان تجمّدا في الثلج. ويروي يوسف حنا: «الشابان اللذان فقدا في الجرد نقلتهم انا وكانا متجمدين في منتصف الشير الأحمر بعدما سارا مسافة طويلة وتوقّفا ليرتاحا وهما متعرّقان بعدما أرهقهما التعب. كانت الثلوج تتساقط بغزارة والرياح قوية والبرد قارساً، فتجمّدا وماتا ووجدتهما يغمران بعضهما». وفي قاع الريم، وجد شاب آخر من مجموعة ملكو بعدما تاه لفترة في الثلوج، وكان أشبه بمجنون وفاقداً لتركيزه بعدما استبدّ به البرد وبقي لأيام من دون طعام، وهو اجتاز مواقع السوريين ومواقع رفاقه ودخل الى أحد منازل قاع الريم حيث أكل وارتدى ثياباً مدنية، وعندما حضرت صاحبة المنزل تفاجأت بوجوده فشرح لها قصته فأبلغت شباب القرية بذلك ...).

(٢) كان قد انتقل حديثاً من وحدات بيروت الى أدونيس وهو استشهد في تلة عفيفة في جرد زحلة في اليوم الأول لوصوله.



أدونيس. انتظرناه نحو ربع ساعة وأخذنا نناديه لكن أحداً لم يجب. ارتأوا السير من دونه، لكنّي رفضت إكمال الطريق قبل معرفة مصيره، وقرّرت العودة الى أعلى الشير للتفتيش عنه. نزعت عتادي العسكري لكي أتمكّن من الصعود، وعندما وصلت الى القمّة وجدت عفيش تائهاً يفتّش عنا بعدما تخلّف عن المجموعة ولم يعرف أننا نزلنا الشير».

سار رجال القافلة مسافات طويلة في الثلوج بعدما لاقاهم سامي الغصين ليدلّهم على الطريق، واستغرقت الرحلة ٩ ساعات. في الثامنة صباحاً وصلوا الى كسّارة يتمركز فيها شباب زحلة، فوجدوا جورج سماحة نائماً. أيقظوه، فأخبرهم أنّهم نقلوا سليمان الحويك وجوزيف اسطفان المصابين على البغال الى الجرد، ثمّ وصلت مجموعة جديدة قوامها نحو ٧٠ عنصراً من شباب زحلة وتربل ونيحا والفرزل ورياق تابعين لمفوضية البقاع في بيروت بقيادة يوسف مخول بينهم الشدياق وطوني خوري وجورج حنا... ومجموعة أخرى من وحدات بيروت بقيادة شلومو (سقط في تلة عرمتا)، وقد ضلّوا الطريق وسط البرد القارس بعدما اتّجهوا نحو شمسطار.

ويتذكّر سامي الغصين: «بدأنا عملية تفتيش واسعة عنهم استمرت حتى الساعة الرابعة فجراً، وتمّ الاتّصال بهم عبر الأجهزة، واستخدمنا رصاص الخطّاط لدلّهم على الطريق الى أن توجّهوا أخيراً نحو قلعة عروس، ثم الى تلّة عرمتا وصولاً الى باحينا.

بعد ذلك، وصل اوغستين تيكو مع مجموعة من المغاوير وتسلّم منطقة الميدان-البربارة- حوش الزراعنة مكان جوزيف اسطفان المصاب».



صواريخ الميلان[1]

بهدف الحدّ من خطورة الدبابات التي كانت تدكّ أحياء المدينة من دون رادع، أرسلت عمليات المجلس مجموعة مضاد للدروع (قاذفات ميلان وصواريخ) بقيادة حلمي الشرتوني، ومعه كابي أبو بشارة وأبو جمال وآخرين. سارت





هذه المجموعة حاملةً قاعدتي ميلان و٢٤ صاروخاً في ظلّ طقس ماطر وعاصف، فضلّت طريقها في الجرد...

ويروي سامي الغصين: «طلبوا مني الصعود الى الجرد للتفتيش عن الشباب التائهين والذين توجّهوا ناحية بدنايل. كان معي شباب يتّصلون بهم عبر الأجهزة. وبعد نحو ثلاث ساعات، اهتدينا الى مكانهم ... وقدناهم الى وادي العرايش، ثم وصفوا لي المكان الذي تركوا فيه قاعدتي الميلان والصواريخ. عدت الى الجرد مع شقيقي صبحي وثمانية شباب فوجدنا الصواريخ ونقلناها الى الوادي».

الاتصال ببيروت



شكّل خط الهاتف السلكي قيمة لا تعوّض للقوات اللبنانية لتأمين الإتّصال بين زحلة وبيروت طيلة أيام الحرب، فأقيمت غرفة عمليات (غاما زيرو Gama 0)،

---

(١) أصابت صواريخ الميلان التي أطلقت من ثانوية الصبيان ثلاث دبابات سورية قرب تمثال العذراء. وعلى محور الحوش - مار الياس، أصيبت أكثر من دبابة، وأعطب الميلان دبابتين على محور الحمّار قرب خزّان المياه.

رُبطت بغرفة عمليات زحلة، وأمّن إيلي حبيقة آلة تشويش تمنع التنصّت على الخطوط، أمّا المكالمات السرّية للغاية فكانت تُرسل مشفّرة...

يقول آلان مينارغ في كتابه «أسرار حرب لبنان»: «بالنسبة للإتصال مع المجلس الحربي، لم يلحظ السوريون الكابل التليفوني تحت الأرض الذي يربط زحلة ببيروت، فحوّلت القوات خطوط عدّة لمصلحتها وحدها، تنتهي في غرفة عمليات، في مقرّ الكرنتينا العام وفي أقبية كنيسة بروتستانتية في الأشرفية، استولت عليها القوات اللبنانية لتقيم فيها مركزاً لإحداثيات المدفعية ومركزاً للدراسة والبحث العسكري».

حارسا الجرد

حنّا سابيوس خليل وسامي الغصين إسمان دخلا تاريخ مدينة زحلة وتاريخ جبال صنين، فلولا هذان الجنديان المجهولان، لأُزهقت أرواح كثيرة، وربما لما كانت نتيجة الحرب على ما كانت عليه... فمهمّة هذان الرجلان كانت في منتهى الخطورة والدقّة، إذ كان عليهما إرشاد الرجال وإيصالهم من والى المدينة... كان حنّا يوصل القوافل الى أسفل الشير الأحمر، ويعود الى عيون السيمان لتبدأ مهمة سامي الغصين بإتّجاه زحلة. وبفضل هذان الرجلان وصلت إمدادات الرجال والسلاح الى مدينة زحلة.

هما ترعرعا وشبّا في تلال وهضاب صنين مع والديهما وأعمامهما الذين كانوا رعاة ماعز، فحفظا المسارب والمسالك والأودية والوهاد عن ظهر قلب. ويقول عارفوهما أنّهما كانا يعرفان كلّ ما يحصل في الجرد وكانا يتنبّهان ويلاحظان اذا حرّك أحد حجراً من مكانه. كما كانا خبيرين في الأحوال الجوية وفي تغيّرات المناخ، وكانا يقتفيان الآثار بالفطرة، وَلَكم عَمِلا على تفادي أخطار الطبيعة، ولم يكن يحجب رؤيتهما وبصيرتهما لا الضباب ولا كثافة ثلوج المرتفعات.

فمثلاً، عندما ينزل الضباب الكثيف وتنعدم الرؤية بالكامل، كان حنا يسير أمام الراتراك لإيصاله الى المكان المحدّد...



سامي الغصين عام ١٩٨٠

سامي الغصين عام ٢٠٠٥

حنا سابيوس خليل عام ١٩٨٠

حنا سابيوس خليل عام ٢٠١٠

الراتراك

كان يوسف حنا وفايز خليل من فاريا يعملان ليلَ نهار في نقل الرجال والسلاح من عيون السيمان الى شير الوردة بواسطة الراتراكات التي تسير على المازوت. كان الراتراك يتسّع لسبعة عناصر ولكنه في أوقات كثيرة كان يحمل نحو عشرين عنصراً.

يقول يوسف حنا: «كان هناك أربع آليات راتراك تمّ تجميعها من كلّ مراكز التزلج لنقل الذخائر والعتاد والرجال الى الشيرالاحمر. وكان الشباب مضطرّون للسير على الأقدام من عيون السيمان الى الشير الأحمر عندما يكون الراتراك محمّلاً بالذخائر والعتاد». ويضيف حنّا: «كما كنّا نضطر الى نزول الشير الأحمر سيراً على الأقدام لنقل بعض الجرحى كما حصل مع سليمان الحويك الذي أصيب في قدمه ولم يعد يستطيع السير، فحملته على ظهري من أسفل الشير الأحمر، وصعدت دبدبة حتى القمّة. وكنّا نتعرض للقصف، وفي إحدى المرّات، أصيب الراتراك واحترق في الجرد.



يوسف حنّا

مع بدء الحرب، لم يعد بإمكان الراتراك السير نهاراً لأنّه صار مستهدفاً بالقذائف والصواريخ، فكنّا نسير ليلاً. ولكن إذا اضطررنا للسير في ظرف خطير وطارىء لنقل جرحى أو ذخائر، كنّا نضع على الراتراك شوادر بيضاء للتمويه».

ويتابع يوسف حنا: «تعذّبنا كثيراً في السير على الثلوج وخصوصاً عندما يهبط الضباب، فكنّا نتلمّس آثار جنازير الراتراك للإستدلال. واستمرّينا في هذه المهمة حتى سقوط الغرفة الفرنسية».

النظاميات

لم تكن النظاميات بعيدات عن أجواء هذه المعارك، إذ تولّين بقيادة جوسلين خويري إدارة الجبهة الخلفية للحرب، وكنّ يتواجدن بشكل دائم في مركز تجمّع القوى والدعم اللوجستي حيث تنطلق الوحدات الى زحلة. وقامت مجموعة النظاميات بمجهود كبير لخدمة المقاتلين في الذهاب والإياب، إضافة الى مهمات تأمين الاتصالات (الإشارة) ومساعدة الجرحى ومرافقتهم الى المستشفيات، وتأمين الطعام والأدوية الضرورية... وتقول جوسلين خويري في حديث لمجلة وطني العدد ٢٤ في ١٩٨١/٤/٢٧: «المهمات التي كنّا نقوم بها هي عملية إدارة الثكنة حيث كان يوجد ضغط عمل كثير وقد وفّرنا عدداً من الشباب للقيام بأعمال أخرى. إستلمنا الإدارة بأكملها من الشعبة الأولى الى الشعبة الرابعة وسلاح الإشارة بالإضافة الى أعمال المطبخ والتنظيفات، وتأمين جميع الوسائل التي تريح المقاتل الذي كان بحاجة الى وجود أشخاص يهتمّون به في ذهابه وإيابه خصوصاً في الطقس المثلج البارد، فنحن كنا نؤمن له جميع احتياجاته من ذخيرة وطعام بطريقة منظمة مرتّبة...».



جوسلين خويري عام ٢٠١٠

جوسلين خويري عام ١٩٨٠

معارك التلال

بعد فشل كلّ محاولات الدخول الى زحلة بالقوة العسكرية، قرّر الجيش السوري نقل المعركة بإتجاه تلالها والجرد لقطع الطريق الى المدينة وعزلها تماماً في محاولة لإسقاطها بالحصار.

دخلت «هيبة» القوات السورية كعامل إضافي يقضي بإسقاط زحلة مهما كان الثمن، لأن أيّ تراجع كان سيُفسّر هزيمة للجيش السوري النظامي أمام مجموعة من المسلّحين.

لم تكن قيادة القوات في زحلة تأمل بالصمود في معركة الجرد لأن السوريين أقوياء في الأرض المفتوحة ويملكون كلّ العتاد والعديد، إضافةً الى المروحيات التي بإمكانها إنزال عدد غير محدد من العسكر في أي بقعة على التلال، وكان، على نحو ١٢٠ مقاتلاً، تأمين جبهة الجرد التي امتدّت مسافة ١٧ كيلومتراً.



مروحية سورية

بعد مجزرة الدبابات في ٢ و٣ نيسان على الجسر- المعلّقة، بدأ الجيش السوري التضييق على التلال العالية من خلال إنزال جنوده عليها بطائرات الهليكوبتر، وشهدت تلة دبية نيحا أوّل اشتباك بين مجموعة من شباب زحلة، ووحدات خاصة سورية تقدّمت بأعداد كبيرة من حصن نيحا، فتصدّى لها الشباب على التلّة بواسطة رشاش ٨٠٠ ورشاشات ماغ، وسرعان ما انهمرت القذائف والصواريخ عليهم، فتقرّر إخلاء الموقع فوراً لأنّ الوصول اليه والبقاء فيه أصبح في غاية الخطورة.

قام ابراهيم حداد وجورج سماحة وآخرون بسحب الأسلحة ونقلها بشاحنة ريو الى زحلة، ثم طلب جو اده من حداد إخلاء المراكز العالية التي لم يعد بالإمكان السيطرة عليها.

يقول جورج سماحة الذي كان مسؤولاً في الجرد: «بعد اشتباك تلّة دبية نيحا، بدأت الإنزالات المجوقلة على التلال العالية بهدف إقفال طرقات الجرد، فبات التحرّك في غاية الخطورة وأصبح تأمين الطعام الى بعض المواقع يتطلّب عملية عسكرية، وهكذا سقطت التلال العالية البعيدة الواحدة تلو الأخرى».

معركة تلّة المغر

اتخذت قيادة الجبهة قراراً بالمحافظة على بعض التلال الضرورية في محاولة لإبقاء طريق الجرد سالكة، وإلا المقاومة في التلال القريبة من زحلة التي تؤثر على صمود المدينة.

لم يُمهل الجيش السوري المقاتلين الوقت الكافي لتنفيذ انسحابهم بحسب برنامجهم، اذ كثّفت المروحيات إنزال الجنود في محيط تلّة المغر الاستراتيجية وسيطرت عليها بغفلة من المدافعين.


الشهيد عزيز عبدايم

ويقول ابراهيم حداد: «صباح ٥ نيسان، أبلغوني في وادي العرايش ان الجيش السوري يتقدّم من جهة الكرك الى باحينا للسيطرة على تلّة المغر. انطلقت مع ٨ شباب وسط ضباب كثيف من حمّار الوادي تحت تلة عفيفة نحو باحينا، وعندما انقشع الضباب وجدنا أنفسنا في ظهر الجنود السوريين، وتمكنّا من إصابة عدد كبير منهم بظهورهم...» .

ويضيف حداد: «طلبت دعماً من المجموعات في الجرد، كما من مدفعية القوّات قصف أماكن توغّل السوريين، وعندما أصبح عديدنا نحو ٧٠ عنصراً، شنّينا هجوماً مضاداً على التلة. وبعد نحو ثلاث ساعات من القتال العنيف، نجحنا في استعادتها».

سقط في خلال الهجوم عزيز عبدايم الذي كان منهكاً ومرهقاً، ولم ينفع صراخ جورج سماحة وابراهيم حداد في دعوته للإحتماء، فالرصاصة كانت أسرع.


الشهيد هيكل شعيا

يروي فؤاد المختار: «كنت الى جانب عزيز عندما أصابته رصاصة تحت ابطه فوقع ارضاً، وقال لي: «لقد أصبت...»، فسألته: أين؟ فأجابني: «خلص رحت». ويضيف فؤاد: «أما أنا، فاخترقت رصاصة ممشّط بندقيتي الكلاشينكوف وأصابت يدي... لكنني أكملت القتال ببندقية عزيز الـ م ١٦...».

تمكّن الشباب نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً من دحر الجنود السوريين عن تلّة المغر. عادوا الى عزيز الذي كان ما زال حياً.. حمله فؤاد المختار وسلّمه الى ابراهيم حداد الذي حمله بدوره حتى حمّار الوادي قبل أن يفارق الحياة... وفي الليل سحبوه مع هيكل شعيا الذي سقط ايضاً في الهجوم الى وادي العرايش...

معركة تلّة عفيفة

هي تلّة استراتيجية مهمّة جداً، من يسيطر عليها يقفل الطريق بإتّجاه وادي العرايش ويحاصر كل المجموعات الموجودة في جرد زحلة، ولا يعود هناك أي منفذ إلاّ بإتجاه قاع الريم.

فجر ٦ نيسان، وفيما كان رجال وحدات أدونيس يستطلعون مواقع الجرد (معظمهم كان يرى زحلة لأول مرة...)، أبلغ ابراهيم حداد الحنون عند الظهيرة أنّ مجموعة من شباب زحلة انسحبت من تلّة عفيفة.

أرسل الحنون شارل حبيقة مع ثمانية مقاتلين، اشتبكوا فور وصولهم مع وحدة سورية كانت تتقدّم لإستكشاف التلّة... فسقط منهم جوزيف عفيش الذي كان منبطحاً، إذ أصيب برصاصة قناصة دراغونوف الروسية، أُطلقت من بعيد، واخترقت رقبته وخرجت من تحت ابطه.

أبلغ شارل الحنون بإصابة عفيش، فأرسل مجموعة من وادي العرايش مع سامي الغصين لنقله.

يتذكر الغصين: «كان جوزيف ما يزال على قيد الحياة، حملته وهو ينزف بغزارة فامتلأت ثيابي بدمه... ظلّ يتحدث معي طوال الطريق وسألني عن ابن أخي جورج الذي كان في صفّه... وقبل أن نصل الى وادي العرايش، لفظ أنفاسه الأخيرة... ودُفن في زحله».

حنا العتيق وابراهيم حداد

بعد استشهاد عفيش، طُلب من شباب أدونيس تسليم تلّة عفيفة الى مجموعة من زحلة بقيادة طوني لحود.

يروي جورج سماحة: «تفاجأت بعد ساعات بطوني لحود في وادي العرايش، فسألته لماذا أنت هنا، فقال: «لقد ترك الشباب تلّة عفيفة، ولم يعد بإمكانهم البقاء بسبب الأمطار الغزيرة والبرد القارس..»».



جورج سماحة

ابلغ ابراهيم حداد الحنون فلاقاه مع متري الحاج والجعفر وابو مارون والبوي ونديم كرم وحنا ابراهيم وكان مع ابراهيم حداد جورج سماحة ومارون اسطفان من وادي العرايش. كان القصف كثيفاً جداً والراجمات السورية تنهش الجرد... والدبابات تقصف التلة بعنف من منطقة حزرتا لتغطية تقدّم الجنود.

يتذكر حنا العتيق: «تضمّ تلّة عفيفة قمّتين وبينهما مسطّح بطول نحو مئة متر. وصلنا الى التلّة الأولى الصخرية فكانت خالية. ركضنا بإتّجاه التلّة الثانية، وكان السوريون قد وصلوا الى سفحها من الجهة الأخرى. بدأ الاشتباك معهم برمي متبادل للقنابل اليدوية استمرّ لنحو ساعة ونصف.. كانت قنابلهم تقع وراءنا في السهلة بين القمتين...».

يتابع الحنون: «تركت الشباب وركضت بإتّجاه التلّة الأولى ومعي نديم كرم لأستطلع إمكانية الالتفاف على الجنود، فتفاجأت بنحو ٢٠٠ عنصر من الوحدات الخاصة شمال التلة يرمون القنابل اليدوية وراء حفافي كروم العنب ويتقدّمون بحذر، وبدا وكأنهم تائهين لا يعرفون في أي إتّجاه يسيرون. كانوا مكشوفين تماماً. تمركزتُ وراء صخرة فوقهم على التلّة وحمى نديم كرم ظهري... كنت أحمل بندقية شارل حبيقة (م ١٦ مجهّزة بمنظار ومصفّرة للقنص). بدأت القنص بتقطّع، طلقة واحدة على كلّ جندي من دون أن يعلموا مصدر الرصاص... كان المصاب بحاجة الى اثنين لحمله... تضعضع الجنود تماماً ففقدوا السيطرة على أعصابهم وبدأوا بالصراخ...».



الشهيد جوزيف عفيش

يضيف الحنون: «لم استهدف لا الجرحى ولا الجنود الذين يحملونهم، لأنّ من ينقل الجريح يصبح خارج المعركة ويتعطّل دوره القتالي... الجريح

في الحرب أهمّ من القتيل، لان تأثيره المعنوي على رفاقه أكبر، وهو بحاجة الى أكثر من عنصر لإجلائه من الميدان... بعد نحو ساعة، تراجعت المجموعة السورية الكبيرة نتيجة طلقات متقطعة من بندقية واحدة، بينما كان بإمكانهم تطويقنا بسهولة والإطباق علينا لكنهم كانوا تائهين».

كان النهار قد أشرف على المغيب وأصيب نديم كرم بنزلة برد قوية وبدأ يرتجف بشكل مخيف، وهو كان أمضى

تلّة عفيفة ووادي العرايش

Ouadi El Aarayech



وحدات الدفاع - أدونيس

أكثر من يومين في الثلوج والصقيع من دون راحة... جلس نديم تحت صخرة كبيرة إتّقاء من حبات البرد وحماية بالحدّ الأدنى لخلفية رفاقه.

عاد الحنون بسرعة الى سفح التلّة الثانية وكان الإشتباك مستمراً مع القوّة السورية، وأبلغه أبو مارون أنّه لم يبقَ معه سوى قذيفتي لانشر...

قرّر الشباب الإطباق على المجموعة السورية، وطلب الحنون من أبو مارون إطلاق قذيفة لانشر جهة الميمنة وأخرى جهة الميسرة، على أن يرمي كلّ رجل قنبلة يدوية بإتّجاه الجنود السوريين ثم يطبقون وراءهم.

نفّذت العملية بسرعة وأدّت الى تراجع السوريون نحو المنحدر، واستولى الشباب على القمة، وعاد نديم كرم ولعب دوره كرامٍ ماهر لقذائف الـ«ب٧» على الجنود المنسحبين.

سقوط تلة عفيفة كان سيؤدّي الى تطويق كل المجموعات في التلال، ولكنها بقيت صامدة حتى الإنسحاب من الجرد، ولم يحاول السوريون مهاجمتها مجدّداً بعدما تكبدوا خسائر كبيرة...

تلة عرمتا وإصابة شلومو

قبل يومين من سقوط الجرد، انطلقت من بيروت مجموعة من وحدات بيروت بقيادة سليمان صوايا المعروف بشلومو، وتأخّروا بعدما ضلّوا طريقهم في الجرد... وفور وصولهم، وقبل أن يلتقطوا انفاسهم، طُلب من شلومو التوجّه الى تلّة عرمتا التي كانت تتعرّض لقصف مدفعي عنيف استمرّ طوال الليل.

صباح اليوم التالي، أبلغ سليمان صوايا حنا العتيق وابراهيم حداد أنّ الوضع على التّلة سيء جداً... ثلوج وصقيع وضباب وأن الشّباب جائعون ولم يتمكّنوا من النوم بسبب القصف العنيف.

كانت الانزالات السورية تضيّق الخناق على كل مواقع الجرد وتستهدف كلّ التلال، ولم يكن هناك عناصر لتبديل وحدة شلومو. طلب ابراهيم حداد من سامي الغصين الصعود الى تلّة عرمتا لسحب الشّباب والتوجّه صوب تلّة عروس نزولاً الى باحينا ثم الى وادي العرايش لأن الجرد سيسقط... طالباً منه عدم إبلاغ أحد بذلك. في غضون ذلك، حاولت مروحية سورية إنزال جنود على تلّة عرمتا، فحصل اشتباك مع مجموعة شلومو وسقط للسوريين عدد من القتلى وهربت الطوافة.

كانت المروحيات بدأت بالإغارة على المواقع، واختلطت القذائف والصواريخ السورية بالقذائف التي تطلقها مرابض كسروان لتغطية انسحاب المقاتلين. كانت كثافة النيران تشعل البساط الأبيض وتبعث الحرارة في البرد القارس...

يروي سامي الغصين: «بعدما وصلت لأرشد الشباب على طريق الانسحاب باتجاه قاع الريم، وفي المرج الذي يقع بين تلّتي عرمتا وعروس، أطلت علينا طائرة هليكوبتر، وأطلقت صاروخاً انفجر على مقربة من شلومو فأصابته شظية تحت إبطه على الرّغم من أنّه كان يرتدي الدرع الواقي...».


الشهيد سليمان صوايا (شلومو)

طلب شلومو منّا تركه والإنسحاب الى مكان آمن وأعطاني بندقيته وساعته وخاتمه لأعطيها لأمه وخطيبته. وضعته جانباً على الثلوج وهو يلفظ انفاسه..».

يضيف سامي الغصين: «اتّجهنا صوب قاع الريم، وتفأجانا وسط الضباب بمروحية سورية تحطّ أمامنا وتنزل جنوداً على بعد بضعة امتار. استشرس أحدالمقاتلين المعروف بالأبرص وأطلق الرصاص بغزارة وسانده الجميع فسقط عدد من الجنود بين قتيل وجريح.. وانسحبت المروحية... وأكملنا الطريق الى قاع الريم فوادي العرايش».

يورد آلان مينارغ في كتابه «أسرار حرب لبنان»: «ان عناصر جهاز التنصت لدى المخابرات العسكرية في دمشق لاحظوا أن أحد المتدخّلين على شبكة راديو القوات اللبنانية يدعى شلومو. وبالفعل كان هذا الإسم الرمزي لأحد المسؤولين العسكريين المسيحيين، سليمان صوايا[1]، المعروف بهذا اللقب من قبل رجاله بعدما تدرّب في اسرائيل، وهو قتل في أثناء الحصار، ولم تكشف جثته إلا بعد ذوبان الثلوج. وظلّ السوريون مقتنعين بأن الأمر كان يتعلق بإسرائيلي».

في اليوم التالي، سيطر السوريون على كل التّلال وسقطت تلّة عروس وأحرق المقاتلون قبل انسحابهم كلّ الآليات والأسلحة التي لا يمكن سحبها من منطقة باحينا والكسارات، وتقرّر اعادة الانتشار في تلال حرقات - عفيفة.

وفي حديث لإذاعة مونتي كارلو، قال بشير الجميل عن وضع الجرد: «عندما يطلب السوري وقف اطلاق النار أو يرضى به يكون ذلك فقط ليستعدّ «لعمل أضخم». فاليوم بالذات، وبعد ٤٨ ساعة من الاستعدادات، بدأ السوريون معركة كبيرة في الجبل، معركة اقتحامات، وهذا ما لم يكن وارداً في كلّ اتفاقات وقف اطلاق النار شبه الوهمية».

وسُئل عن الأنباء التي أشارت الى أن هناك عدداً كبيراً من عناصر الجيش السوري يُقدّر بألف أو ألف وخمسماية أُنزلوا بواسطة طائرات هليكوبتر في منطقة نيحا المجاورة لزحلة، فأجاب: «المعركة لا تزال دائرة حتى الآن في الجرود الممتدّة بين صنين وزحلة، هناك من دون شك عمليات إنزال، انما ليس في استطاعتنا إحصاء عدد القوات المشاركة بسبب صعوبة الإتصال مع مناطق القتال. وما تؤكّده المعلومات التي وصلت الينا أن عملية إنزال أخرى تمّت في جرود العاقورة».

وسئل بشير: «هناك تصميم في دمشق على إخراج الكتائب من زحلة والبقاع، وفي رأي دمشق أن عملية الإخراج تُنهي الأزمة، فما هو ردّك؟»، فأجاب: «أولاً، نسأل دمشق الى أين نتوجّه إذا رحلنا، والى أين ينصحوننا بالذهاب وإذا أمكن ليحدّدوا لنا مكان الإقامة، فنكون لهم من الشاكرين».

---

(١) بعد ثلاثة أشهر على اندلاع الحرب، حاولت مجموعة من الدرك في زحلة بعد أخذ اذن من الجيش السوري، سحب جثة شلومو وشابين آخرين من تلال الجرد... لكن ألغاماً انفجرت بهم في تلة البيضا فقتل أربعة عناصر من الدرك، اثنان من رأس بعلبك، وأحد من القاع وآخر من دير الاحمر...

طلب المقدم رفيق فغالي سامي الغصين وسأله اذا كان بإمكانه تفادي الألغام والصعود الى الجرد لسحب الجثث... وافق الغصين، وأصدر له فغالي بطاقة درك بإسم احمد يحفوفي وأعطاه بذلة لقوى الامن... ولكن لم يتجرأ أحد من عناصر درك زحلة على الصعود معه بعد الذي حلّ بزملائهم.

طلب الفغالي دركياً من الارتباط من بيروت فارسلوا له العريف حنا القزح (أبو أكرم).

في أول تشرين الأول... قاد حنا آلية الدرك ومعه الغصين وسارت وراءه قوة من الجيش السوري مع المقدّم برجيس والملازم أول وفيق والملازم أول سالم وسيارة اسعاف للدفاع المدني فيها عنصران الياس من بكفيا وبطرس شعيا من الدامور..

قصدت القافلة الكرك حيث العميد السوري موفّق. ثم انطلقت في طريق شقّتها القوات السورية... وتوقفت قرب بير هاشم اذ لم يعد بامكان الآليات التقدّم اكثر. انطلق الغصين ومعه بطرس شعيا سيراً على الاقدام.. ووصلا بعد ربع ساعة الى حيث جثة شلومو التي كانت مطمورة بنساف ثلج ولا يظهر إلاّ حذاؤه العسكري.

وضع الغصين وبطرس الجثة على حمّالة وسارا بها الى بير هاشم. وما أن وصلا، حتى تجمهر ضباط وجنود الجيش السوري وبدأوا يقلّبون جثة شلومو ويصورونها من مختلف الجهات... كان شلومو يرتدي بذلة اسرائيلية... ولم تتحلّل جثته لانها كانت في نساف ثلج..

نُقلت الجثة بعد انتهاء السوريين من التصوير الى دير مار الياس الطوق، ثم بعد أربعة ايام الى بيروت بسيارة اسعاف تابعة للدفاع المدني... أقيم لشلومو مأتم مهيب وزار الشيخ بشير الجميل بيت أهله في عين الرمانة معزّياً وأعطى سامي الغصين ساعته وخاتمه لأهله...

تلال حرقات

بدأ جحيم حرقات في اليوم الاول لحرب زحلة عندما حاول السوريون في ١ نيسان مهاجمتها وسط قصف عنيف من تلة البيضا. حصل اشتباك محدود لكن أحداً لم يصب.

فجر اليوم التالي ٢ نيسان، وفيما كان يتم تبديل المقاتلين (لم يكن بالإمكان تبديل العناصر في النهار لأن المنطقة كانت مكشوفة) في ظلّ قصف عنيف، سقطت قذيفة هاون بين مجموعة من شباب حي البربارة داخل خندق فاستشهد ٥ شباب هم: طوني حاكم وجوزيف ريا وايلي شمعون وبولس كرم وجورج أبو رجيلي وجُرح ستة آخرون.



الشهيد إيلي وديع شمعون

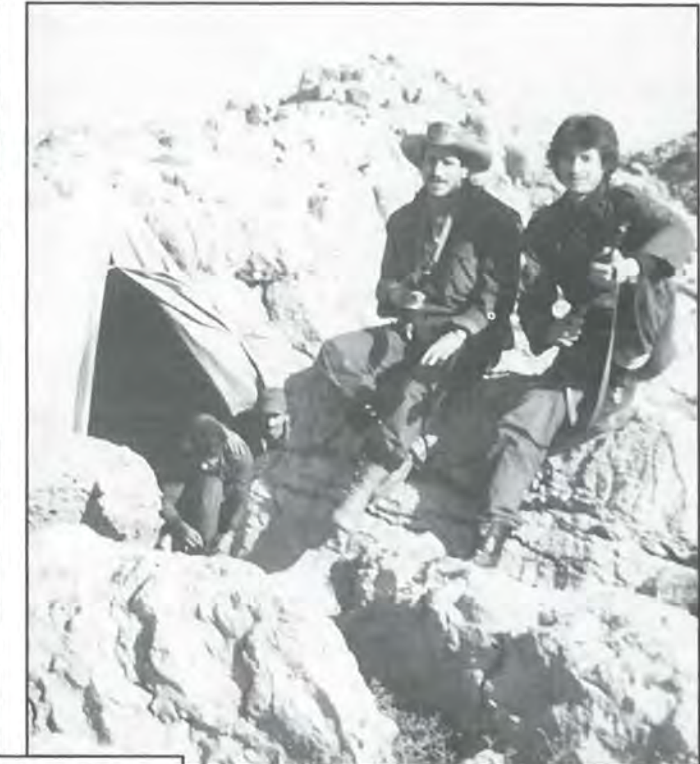

الشهيد بولس كرم


الشهيد طوني الياس حاكم

يروي فؤاد المختار: «تركنا القتلى حيث هم وبدأنا بإجلاء الجرحى بدءاً بالاكثر خطورة وهم ڤكتور وايلي طحطوح الذي كانت إصابته كبيرة، فيما تمكّن ثلاثة، إصاباتهم خفيفة من التعكيز على بعضهم والسير الى المستشفى...».

فجر اليوم التالي ٣ نيسان، نقل فؤاد الجثث الخمسة في جيب الى دير مار الياس الطوق، لكنّ الكاهن لم يتمكّن من الصلاة عليها في النهار بسبب القصف العنيف، ولم يتمكّنوا من وضعها في براد، فبقيت في الجيب طوال النهار. حتى تمكّنوا من دفنها


فؤاد «المختار»





مقاتلون من حيّ البربارة

ليلاً على عجل.

بعد ذلك، تولّى أحد مسؤولي منطقة البربارة تحصين موقع حرقات ومعه خليل كلاّب، ايلي نصير، ابراهيم بو عيد، سامي سابا، جان الشويري، عادل ريا، طوني ريا، جوزيف الرياشي... وآل طحطوح...

استبسال واستشهاد الرياشي

في آخر يومين من معارك التلال، تسلّل السوريون ليلاً وربضوا تحت متاريس مجموعة البربارة في تلّة حرقات.

عند بزوغ الفجر قصفت المرابض السورية التلّة بعنف، وهاجمت المجموعة المتسلّلة الموقع بشكل مفاجئ، فقتل أربعة شباب هم جورج سركيس، عادل ريا، جورج شديد وعادل غريّب... وتراجع الباقون، قسم بإتجاه زحلة وقسم آخر بإتجاه وادي العرايش.

أبلغ عادل ريّا رفاقه عبر الجهاز: «أنا مصاب وأنزف يمكن تلحّقوني ويمكن ما تلحّقوني...». وبدأ يزحف لملاقاة ملحم وفؤاد اللذين صعدا بجيب عسكري الى عين الدوق، ولم يتمكّنا من التقدّم أكثر بسبب القصف العنيف، أكمل ملحم طريقه سيراً على الأقدام ووصل الى عادل فوجده مضرجاً بالدماء وأحشاؤه ظاهرة ورجله مبتورة... حمله



الشهيد عادل ريّا



الشهيد جورج شديد



الشهيد عادل غريّب

الى الجيب لكنه فارق الحياة قبل وصوله الى زحلة.

في غضون ذلك، انطلق جوزيف الرياشي من حي قمر الدين لمساعدة رفاقه، وكان آخر من شاهده يحمل جعبته ورشاشه وجهاز اتصال بطرس ندره من وادي العرايش.

باغت جوزيف جنود الوحدات الخاصة بالقنابل اليدويّة وبوابل من الرصاص، فأوقع في صفوفهم عدداً من القتلى والجرحى... بعد نحو نصف ساعة، أبلغ جوزيف عبر جهازه فؤاد المختار أنه مطوّق ويشتبك مع السوريين من مسافة قريبة... ويتذكّر فؤاد أن صوت الرصاص وجلبة الجنود كانا يُسمعان عبر الجهاز أثناء تحدّث جوزيف معه... بعد دقائق، أصيب جوزيف برجله، ولكنّه تابع القتال ورمى كلّ القنابل اليدويّة التي كانت بحوزته قبل أن يُصاب مرة ثانية في يده... ثم أبلغ فؤاد أنه لن يستسلم ولن ينسحب... وأعلمه بعد دقائق بأن الاتصال سينقطع لأنه سيطلق رصاصة على الجهاز لكي لا يقع في أيدي السوريين... وسيطلق الرصاصة الأخيرة على نفسه لكي لا يقع في الأسر...



الشهيد جوزف الرياشي

قاتل جوزيف الرياشي(١) ببسالة لا توصف، وأوقع إصابات كثيرة في صفوف السوريين قبل أن يقتل ويقطعوا رأسه.


أوتيل الصحة يحترق

فرقة مار الياس

يروي فايز لطيف: «مع إزدياد الضغط على تلة حرقات، طلب جورج سماحة فرقة من مار الياس للمساعدة... صعدنا ١٤ شاباً، لكنّ السوريين كشفونا، فتعرّضنا، عند مدخل وادي العرايش، لقذائف دبّاباتهم المتمركزة في محيط تمثال العذراء فأصيب أوتيل الصحة وأتت عليه النيران...


الشهيد ميشال أبو غانم

سلكنا مجرى النهر وأكملنا، وسط انهمار القذائف، الى مركز الوادي.. توقّفنا نحو ساعتين حتى هدوء القصف ثمّ تابعنا. عند وصولنا الى مشارف تلة حرقات، إنهالت علينا نيران القذائف من المواقع السورية في الكرك وحزرتا ومن التلال المحيطة».

يضيف لطيف: «كان المشهد هوليودياً: رتل دبابات سورية يتوجّه من جرد نيحا الى حرقات، وإنزال من المروحيات وقصف عنيف... أصيب ميشال أبو غانم بشظايا قذيفة هاون انفجرت قربه واستشهد في الحال... كما أصيب طوني عماد وفقد عينه، وعبدو العتل وأنا. قام رفاقنا بنقلنا الى المستشفى، فيما بقيت جثة أبو غانم في أرض المعركة، قبل أن ينقلها شباب وحدات أدونيس الى مستوصف وادي العرايش».

(١) **سحب جثة الرياشي وغضب الديب:**

يروي سامي الغصين: «في اليوم التالي لسحب جثة شلومو، أي في ٣ تشرين الأول ١٩٨١، انطلقنا بسيارة جيب نرتدي ثياب الأمن الداخلي أنا والدركي حنا القزح... وواكبتنا آليات سورية فيها الضباط برجيس وسالم ووفيق وعدد من الجنود وسيارة اسعاف من الدفاع المدني. التقينا بضابطين سوريين كبيرين هما عدنان ديب وقصي ديب. أدى لهما الضباط التحية وسألوهما: «سيدنا: «اين هو جوزيف الرياشي؟». فأجابهم أحدهما: «هيدا الخنزير؟» فقال له الغصين: «سيدنا، نحنا جايين ناخذ الجثة». فردّ الضابط: «انت عارف هيدا الكلب كم قتل عسكري من الوحدات الخاصة بيناتن تلات ضباط... هيدا الكلب هونيك خدوه».

تقدّم الغصين وسحب جثة الرياشي التي كانت مقطوعة الرأس وقال للضابط: «بعد في الراس سيدنا» فأجاب «راس الخنزير هونيك روح خدو».

وضع الغصين الجثة في سيارة الدفاع المدني وأوصلوها الى دير مار الياس الطوق في زحلة حيث أقيم له مأتم حاشد، ثمّ دفن في وادي العرايش.

... في اليوم الثالث، طلب الففالي من الغصين وحنا القزح إحضار جثة ثالثة ما زالت على التلال هي جثة السرياني وهو من المدينة الصناعية... كانت جثته مقيّدة اليدين خلف ظهره، وهو اعتقل واعدم في ساحة المعركة. أوصلوه أيضاً الى دير الطوق ودفن هناك.

ويتابع لطيف: «قبل ذلك، حصل سباق بيننا وبين السوريين للسيطرة على منزل يتمتّع بموقع استراتيجي على تلّة حرقات. تفاجأت مجموعة من زحلة على تخوم المنزل بجنود الجيش السوري الذين بادروا الى إطلاق النار، فأصيب شاب يلقّب بـ«الجربوع» كان في المقدّمة ويحمل قاذفة ب٧... تراجع شباب زحلة ونفّذوا خط انتشار، وبدأت مواجهة عنيفة لم يتمكّنوا خلالها من سحب «الجربوع» ولم يعرفوا مدى خطورة إصابته.



راجمة سورية أثناء القصف

بعد نحو ساعة من الإشتباك، وبعد توقّف الرصاص، تفاجأ الشباب من جديد بدويّ قذيفة ب٧ على الموقع الذي تحصّن فيه جنود الوحدات الخاصة. كان مطلق القذيفة «الجربوع» الذي كانت إصابته طفيفة، لكنّه تظاهر بالموت لأنه كان في موقع سيعرّضه للرصاص المباشر اذا حاول الحراك. احتدمت المعركة من جديد، وتمكّن مقاتلو زحلة من احتلال الموقع وغنموا أسلحة، فيما تراجع السوريون تاركين وراءهم عدداً من القتلى. وجراء هذه العملية، تعرّضت المدينة لقصف عنيف مدمّر طيلة ساعات».

الاستيلاء على السلاح والجرافات

بالتزامن مع معركة حرقات، وقبل بزوغ الفجر، انطلق طوني التنّ بسيارة جيب مع خمسة شباب في محاولة لسحب الجرافات والأسلحة قبل سيطرة السوريين عليها.

بدأت الدبابات السورية بقصفهم من ضهور زحلة ومجدل زفتا لكنهم لم يُصَبوا بأذى.

وصلوا الى الجرافة الأولى وحاولوا تشغيل محركها، لكنّه لم يعمل بسبب الثلج والصقيع... نزعوا بطارية الجيب لتقوية الدفع الكهربائي لكن محاولتهم باءت بالفشل... كما فشلوا أيضاً في تشغيل محرّك الجرافة الثانية.

يروي طوني التن: «كان الضباب كثيفاً وأحسّ الجيش السوري بحركتنا، فقامت طوافتان بإنزال جنود على التلال لتطويقنا. هربنا بسرعة، فيما السوريون يطلقون النار من بعيد على صوت الجيب، وتعقبتنا طائرة هيليكوبتر الى المغارة[١] التي كان فيها رشاش ٨٠٠ ملم على جيب فورد. أطلقتُ منه رشقين بإتّجاه المروحية، فردّت بصاروخين، فطرت عن الجيب لكن نجوت بأعجوبة. ثم تفرّقنا وهربنا بسرعة، واستولى الجيش السوري على المغارة، وعلى العتاد والسلاح الذي كان في داخلها..».[٢]



المغارة تحوّلت اليوم زريبة للماعز

ساهم الضباب الكثيف في عملية الإنسحاب، ولكنّه ساعد السوريين في عمليات الإنزال وفي الوصول الى مواقع المقاتلين من دون كشفهم.

استمرت الانزالات السورية والقصف والاشتباكات على كلّ التلال والطرقات المؤدّية الى الجرد حتى حلول الظلام، حيث لم يعد بالإمكان البقاء خارج زحلة، فإنسحب جميع المقاتلين الى داخل المدينة وسقطت تلال حرقات والمغر وعفيفة وعرمتا ... وأقفلت طريق الجرد نهائياً.

---

(١) المغارة هي جوف صخري في منطقة النقيرات على تلة عروس، مساحتها نحو ٤٠٠م٢ وارتفاعها نحو ستة امتار. كان الدخول اليها يتمّ سيراً على الاقدام، ولكن طوني التن شقّ طريقاً بإتجاه بابها ووسّعه بالجرافة، فأصبح ممكناً الدخول اليها بالآليات، وصُبّت أرضها بالباطون، وهي كانت نقطة استراحة للمقاتلين ومستودعاً على طريق الجرد...

(٢) كان يوجد أمام المغارة مدفعي ١٢٠ ملم يشغلّهما غارو وسماحة (الركن) ومطاوع... وكان هذا المربض يغطّي المنطقة لكي يتمكّن الشباب من الإنسحاب. واستولى السوريون أيضاً على الجرافات.

يروي آلان مينارغ في كتابه «أسرار حرب لبنان »:« فَجْر العاشر من أبريل- نيسان، وفيما كانت عملية قصف تُشعل خط التماس الذي يشطر بيروت الى شطرين، كان مظليّو القوات السورية الخاصة ينزلون من المروحيات على التلال المحيطة بزحلة. وسقطت مرتفعات قلعة عرمتا ودير شرفة بسرعة. عملياً كان المدافعون عن زحلة محاصرين، إذ أنّ الدروب الأخيرة التي كانت تسمح بتموين المدينة على ظهر الرجال قد صارت تحت نار السوريين المباشرة. لم يكن قد بقي أمامهم سوى الإستيلاء على بلدة قاع الريم، على طريق تلال الزعرور، لإغلاق المنافذ كلياً».

سمير جعجع في زحلة


حنا سابيوس خليل

قبل إقفال طريق الجرد بيوم واحد، توجّهت قوّة من الشمال بقيادة سمير جعجع الى زحلة ومعهم عباس من عمليات المجلس. كانوا يحملون ذخائر كثيرة (قذائف ٨٢ وقذائف ب٧ وقنابل يدوية ورصاص...) لإيصالها الى المدينة.

يتذكر حنا سابيوس خليل: «سار مع سمير جعجع ٢٠٢ رجلاً، وقبل أن ننطلق من عيون السيمان... سأل نبيل رحمة (استشهد على الشير الأحمر) «من سيوصلنا؟»، فدلّوه عليّ. فنظر الى قدماي وقال لرفاقه بلهجته البشراوية: «ما بنقدر عليه، نمرة رجله ٤٦ وتفيده كثيراً في السير على الثلج...»».

ويروي يوسف حنا: «نقلنا قسماً من القوّة التي كانت مع الدكتور جعجع بواسطة الراتراكات، والقسم الباقي، وهو الأكبر، إنطلق سيراً على الأقدام، وكنّا نلاقيهم في الطريق وننقل ما نستطيع على مراحل».

ويروي حنا سابيوس: «بعد نحو ساعة من السير... وجد سمير جعجع قاذفة آر بي جي مرمية جانباً... (تركها أحد الشباب بعدما تعب من حملها)، فحملها وسار الى الأمام وسأل: «لمن هذه القاذفة؟». فدلّوه على صاحبها، فأمره بالعودة فوراً الى عيون السيمان...» .

يضيف حنا: «عندما أطلّينا على الشير، كان البرد قارساً، لكنّ الإنقشاع كان جيداً. وأصرّ الدكتور جعجع على السير في هذا الجو قبل حلول الظلام، ليكسب بعض الوقت...».


يوسف حنا عام ٢٠١٠

سارت القافلة في الثلوج مشكّلة، وسط البياض الناصع، خطاً أخضر شاهده السوريون الذين كانوا يراقبون كلّ حركة في الجرد. بعد دقائق من نزول الشير الأحمر والإنطلاق باتجاه زحلة اطلقت راجمات BM21 السورية من رياق وابلاً من الصواريخ أصابت وسط القافلة، فوقع قتلى وجرحى وانقسم الرجال الى قسمين، الأول أكمل مع الدكتور جعجع وعبّاس بإتجاه زحلة، والثاني عاد الى قمة

الشير الأحمر فيما بقي المصابون مضرّجين بدمائهم في أسفل الشير.

يروي أحد المقاتلين الذين كانوا في عداد القافلة: «بعدما نزلنا الشير الأحمر، كَشَفَنا السوريون وانهمرت علينا القذائف والصواريخ بغزارة، فكانت حصيلة القصف شهيدين و٨ جرحى، وفقدان بعض الشباب. طُلب منّا الاحتماء والتفرّق، وطُلب من المجموعة المتأخرة التراجع والعودة الى عيون السيمان لأنّ السوريين بدأوا بالالتفاف على تلال زحلة.

تجمّعنا على سفح إحدى التلال المغمورة بالثلج وانتظرنا هناك... وفي هذا الوقت، كان الاتصال مع قائد المجموعات (الدكتور جعجع) مفقوداً، لكنّه ظهر بعد نحو ساعتين وتحدّث مع أسعد سعيد مستعلماً عن المصابين. فأجابه أسعد: «أكملوا أنتم طريقكم الى زحلة ونحن سنهتم بهم»... تابعنا سيرنا ليلاً وكان الطقس بارداً جداً...».



سمير جعجع

يتذكر حنا العتيق: «كنت في منطقة باحينا فوق زحلة عندما وصل الدكتور سمير جعجع ومعه عباس ومجموعة من الرجال، فوضعتهم في صورة ما يجري حول زحلة وأعلمتهم أنّ الطوافات السورية كانت تنفّذ إنزالات كثيفة... ثم أكملوا طريقهم الى المدينة».

بعد حلول الظلام، قامت مجموعة مؤلفة من أسعد سعيد وحنا سابيوس خليل وطوني سلوان ويوسف حنا.. بسحب ثمانية جرحى، أحدهم لم يكن مصاباً بشظايا، ولكنه أصيب بكسر في رجله بعد وقوعه من علو شاهق.

خلال الليل، كان السوريون يطلقون كلّ ساعتين وابلاً من الصواريخ لمنع إجلاء الجرحى والقتلى.

يتذكر حنا سابيوس خليل: «عندما بدأنا بتجميع الشباب، وجدت شاباً ينحني على جثة نجا خوري ويبكي... فنهرته ليمشي وقلت له: «انهض أو ابقَ لتموت الى جانبه». فقام وسار أمامي... واخبروني في ما بعد أنّه شقيق نجا، فتأثرت كثيراً...».

لم يتمكّن الشباب من سحب جثّتي الشهيدين نجا خوري ونبيل رحمة إلا بعد يومين.. الأوّل كان مصاباً بشظية في



أسعد سعيد



الشهيدان نبيل رحمة ونجا خوري

رقبته، والثاني بشظايا عدة في مختلف أنحاء جسمه.

لعب نعوم خليفة دوراً بارزاً في سحب جثّتي خوري ورحمة بواسطة الحبال، فهو متسلّق محترف ويهوى اكتشاف المغاور ... استعمل تقنيات ومعدّات مخصّصة لذلك (حبال وبكرة...)، وساعده يوسف حنا وأسعد سعيد...

في اليوم التالي، عادت مجموعة الدكتور جعجع من زحلة قبل إقفال طريق الجرد بساعات...

ويروي حنا: «عندما عادوا من زحلة... وبعد إجراء التعداد، اكتشفوا فقدان ثلاثة شباب... أخبرني الدكتور جعجع أنّهم كانوا معه في عريض مطيوحان... وقال لي: «يا حنّا ما في غيرك بيردن، هودي الشباب برقبتنا...».

انطلقتُ الساعة 11 ليلاً للبحث عنهم ومعي إبنَي عمي جورج وحنا خليل، وقد أعطونا كلمة السرّ التي يعرفها الشباب الضائعين الذين ساروا باتجاه اليمونة بعدما شاهدوا ضوءاً هناك بدلاً من أن يتّجهوا ناحية شير الورده... سرنا مسافة طويلة بإتّجاه الضوء... ثم أطلقت النار في الهواء، فردّوا بإطلاق النار بالطريقة نفسها... كان ضوء القمر يلمع على الثلج والرؤية واضحة، لكنّ الهواء كان يصفر بقوة، ولم نكن نسمع أصوات بعضنا. تقدّمنا نحوهم، وأبلغتهم بكلمة السرّ، فردّوا علي... فاطمأنيت... تابعنا التقدّم حتى ظهروا علينا، وتبيّن لي أنهم أربعة أشخاص. تحفّزنا وخفنا لأن الدكتور جعجع أبلغني أن العدد هو ثلاثة... صرخت بهم، «من منكم من جماعة الحكيم؟» فأجابني ثلاثة... سألتهم عن الرابع... فردّ: «أنا جورج خليل»... كان جورج يحمل رشاشين انتزع احدهما من جندي سوري، ثم تاه في الجرد ليومين... وكان من دون طعام... ولما حاولنا إطعامه كاد يختنق، فنقلناه الى المستشفى الميداني...».

ومع بدء تحرّك السوريين على جبهات المنطقة الشرقية وخصوصاً في الشمال والعاقوره، طلبت قيادة القوات في بيروت من مجموعة من كسروان بقيادة جوزيف الزايك كانت متّجهةً الى زحلة، العودة، وهذا ما حصل أيضاً مع مجموعة الشمال بقيادة سمير جعجع.

نداء بشير

ليل ١٠-١١ نيسان، خاطب قائد القوات اللبنانية بشير الجميل المقاتلين في زحلة مفوّضاً إياهم الصلاحيات لإتّخاذ القرار المناسب في استمرار المقاومة أو مغادرة المدينة، قائلاً: «لأنّ الطريق لا تزال مفتوحة لبضع ساعات فقط، إذا غادرتم.. تحافظون على حياتكم ويصبح سقوط المدينة حقيقة أكيدة، وهذه تشكّل نهاية ملحمة المقاومة... وإذا بقيتم، ستجدون أنفسكم بلا ذخيرة، بلا دواء، بلا خبز وربما بلا ماء، وستكون مهمتكم تنظيم المقاومة الداخلية والدفاع عن هوية البقاع اللبنانية وهوية لبنان المسيحية فتعطون معنى لحربنا طوال ست سنوات..». وختم قائلاً: «إذا قرّرتم أن تبقوا، فإعلموا شيئاً واحداً، وهو أن الأبطال يموتون ولا يستسلمون». نظر جو إده الى الوجوه فجاء الجواب على الفور: «سنبقى».



بشير يخيّر المقاتلين في زحلة بين الإنسحاب أو البقاء

وهكذا انتهت معارك التلال بسيطرة القوات السورية عليها، وباتت الأنظار متّجهة الى مدينة زحلة، والأسئلة تطرح من القريبين والأبعدين. كمّ بإمكان زحلة الصمود؟ ومتى سيتعب المقاومون؟ وكمّ سيكلّف دخول القوات السورية اليها؟ وكيف السبيل الى حلّ الأزمة؟ ومتى تنتهي المحنة والمأساة؟



شامير: إسرائيل لن تظلّ مكتوفة الأيدي



بن أليعازر: الوضع ليس دراماتيكياً

الى القدس

أصبح حصار زحلة مطبقاً، وبات من المستحيل إدخال قطعة خبز إليها. أوفد بشير الجميل من يحذّر القدس من أن وضع زحلة أصبح على شفير الهاوية... قائلاً لهم: «عظّموا الوضع المأساوي! اصرخوا بالويل والثبور وعظائم الأمور! ضخّموا الوقائع والأرقام، افعلوا ما تشاؤون، لكن تصرّفوا على نحو يجعلهم يتحركون...».

لكن وزير الخارجية الإسرائيلية اسحق شامير كان قد قال بعد اجتماع حكومي خصّص للوضع اللبناني: «لن تظلّ إسرائيل مكتوفة اليدين أمام أحداث لبنان»، فيما كان بعض وزراء الحكومة يعتبرون أنّ بشير الجميّل افتعل حرب زحلة لجرّ إسرائيل الى صراع مع سورية. لكن رئيسها مناحيم بيغن لم يكن مقتنعاً، فقد كان متأثراً جداً بما كان يعيشه مسيحيو زحلة وقارن وضعهم، «معزولون وينتظرون الذبح»، بوضع مقاتلي المقاومة اليهودية الذين كانوا يأملون بلا طائل، عوناً من الحلفاء، إبّان انتفاضة غيتو فرصوفيا، سنة ١٩٤٣...

وكان بنيامين بن أليعازر استطلع الوضع وأدرك بسرعة أنه ليس جيداً، لكنه ما يزال بعيداً جداً من الدراماتيكية التي كانت رسائل القوات اللبنانية تتحدث عنها.

وفي ٩ نيسان أعلن رئيس شعبة لبنان في الموساد مناحيم نافوت بعد وصوله الى ادونيس[١] ولقائه بشير الجميل ومعاونيه الرئيسيين، «أنّ زحلة لا تبرّر حرباً بيننا وبين السوريين. لقد ضغطنا على الأميركيين حتى يتدخلوا بقوّة لدى السعوديين الذين لديهم الوسائل المالية للضغط على دمشق، نحن مستعدون لمساعدتكم دبلوماسياً ولمدّكم بالسلاح».[٢]

١- كان الاسرائيليون ينزلون في فيلا لشخص من آل مطر، في ادونيس قرب ثكنة وحدات الدفاع التي تولت حمايتها والفيلا كانت لسفارة السنغال، صادرتها القوات اللبنانية بعد رحيل السفير السنغالي من لبنان.

٢- الان مينارغ، «اسرار حرب لبنان».

رحلة مع السوريين

الأربعاء ١٥ نيسان ١٩٨١، نظّمت قوات الردع السورية رحلة للصحافيين اللبنانيين والأجانب الى التلال المحيطة بمدينة زحلة والتي استولت عليها على إثر الاشتباكات التي وقعت بينها وبين القوات اللبنانية.

انطلقت قافلة الصحافيين الساعة الثامنة والنصف صباحاً من مقرّ قيادة قوات الردع في رياق في شاحنتين عسكريتين سوريتين عبر تمنين التحتا، ثمّ تمنين الفوقا، ثمّ جرود نيحا وصولاً الى قلعة الحصن (هي حصن إثري يعود الى ايام الصليبيين) التي تبعد ٧ كيلومترات. فقال الضابط السوري المرافق للصحافيين إنّها «أوّل موقع للكتائب في تلك المنطقة». مضيفاً: «ان الاستيلاء عليها استغرق ثلاث ساعات، ساعتين مناوشات وساعة للاقتحام... وأنهم كانوا من هذه القلعة يقصفون تمنين الفوقا... وأن تخطيطهم اسرائيلي... ووُجدت في الموقع قذائف آر بي جي ومدفع هاون فجروه، إضافة الى رشاش ٥٠٠ محمول على سيارة ... وهذا الموقع كان يضمّ ما بين ١٥ و٢٠ عنصراً كتائبياً».



جولة الصحافة على التلال

من قلعة الحصن، انطلقت القافلة بالشاحنات في طريق وعرة وبصعوبة بالغة الى الموقع الثاني، واضطرّ الصحافيون الى تسلّق مسافات غير قصيرة سيراً على الأقدام للوصول الى تلة الديدبية او تلة القلعة، وهو الموقع الثاني الذي استولت عليه القوات السورية (مرتفع يعلو ١٥٤٢ متراً يشرف على زحلة ويظهر تمثال السيدة العذراء ومستشفى تل شيحا وبعض الاجزاء العليا المجاورة لهما).

وقال الضابط السوري: «وُجدت في تلّة القلعة سرية هاون (أي ٤ مدافع) ودشمة رشاش ٥٠٠ وآخر مضاد للدروع وبطانيات وخيم وأسلحة فردية م ١٦... والموقع محصّن على الطريقة الغربية ومعدّ للدفاع الدائري.... وفي ضهرة القسيسية المواجهة لتلّ الديدبية، عثر على رشاش ٥٠٠ ورشاش ماغ وأجهزة للإشارة وذخائر وأسلحة فردية، وعلى

قاذفتين مضادتين للدروع وآر بي جي وصواريخ، أما في مقلع بستا، فعُثر على جرافة لشقّ الطرق، وسيارتي جيب عليهما دوشكا ولاندروفر عليه مدفع ١٠٦. وفي وادي بستا أيضاً، وُجد مدفع هاون عيار ١٢٠ ملم محصّن بدشم من الاسمنت تمّ تدميره».

وأكّد الضابط السوري «أنّ كل التلال المحيطة بزحلة من نيحا حتى قاع الريم وحزرتا ومدخل وادي العرايش مشطّتها قوات الردع وأصبحت تحت سيطرتها، ولا منفذ الى زحلة سوى الطريق الرئيسية». وقال: «القوات الكتائبية التي انسحبت من هذه التلال هربت الى داخل زحلة أو عبر صنين الى كسروان. ووُجدت الذخائر في المغاور الموجودة في التلال وكان في الموقع نحو ٥٠ عنصراً. وأخلت الكتائب جثث أربعة قتلى، وهناك جثة خامسة لا تزال في ضهور القسيسة». لكنّ الضابط السوري أوضح للصحافيين أن مفاوضات أجريت مع الصليب الاحمر سلّمت على إثرها الجثة.

ونفى الضابط السوري ان تكون شاركت قوات غير المشاة في عملية التلال.

من تلة الديدبية، انطلقت القافلة الى تلة ضهر المغر المشرفة على وادي العرايش. الطريق طويلة وصعبة للغاية، وعلى جانبيها الأرض محفّرة ومخندقة بفعل قذائف كانت لا تزال بقاياها واضحة، كذلك آثارها التي حُفرت في التراب الأحمر.

قال الضابط السوري للصحافيين: «ضهرة المغر كانت موقع قيادة الكتائب في تلك المنطقة». ولاحظ الصحافيون ان مقرّ القيادة الذي أشار اليه الضابط السوري هو عبارة عن بيت صغير من ثلاث غرف، وآثار الحريق تبدو على جدرانه. والمنزل خالٍ إلاّ من سرير حديد لا فراش عليه وبعض أصابع الديناميت المفتّتة في الأرض ورصاص فارغ.

وأوضح الضابط السوري: «كان الموقع محصّناً جدّاً، وكان يحتوي على رشاش متوسط محمول على سيارة وبالقرب منه مدفع ١٠٦ ملم ورشاش ٥٠٠ لا تزال قاعدته موجودة... وحول الموقع قذائف هاون ١٢٠ بعضها لم ينفجر، وبعضها الآخر ترك آثاره في المحيط وعلى التلال».

وأثناء جولة الصحافيين، حلّقت طائرة هليكوبتر، فقال الضابط: «إنّها تحمل المؤن الى العسكريين في أعالي الجبال لصعوبة الطرق».

ودعا الضابط الصحافيين من أعلى ضهرة القسيسة لمشاهدة الطريق التي شقّتها القوات اللبنانية من وادي ضهرة القسيسة عبر صنين، لتصل المنطقة بكسروان... بعدها توجه الصحافيون الى تلة ضهور الديب الواقعة فوق وادي الديب في مرتفعات الكرك، وكان هناك موقع للسوريين معزّز بالآليات ويشرف على الحمّار.

وعند عودة الوفد الصحافي الى رياق، عرض السوريون عليه آليات صودرت من الكتائب في التلال. وهي عبارة عن جيب لاندروفر وشاحنتين، إحداهما تحمل مدفعاً عيار ٤٠ ملم، وأخرى فارغة، وشاحنة متوسّطة تحمل رشاش ٥٠٠، وأوضح الضابط المسؤول في رياق أنّها كلّها من صنع اميركي، وكانت تبدو عليها إصابات مباشرة في زجاجها وجوانبها.

قضم الجبل

بعد سقوط تلال زحلة ورسم خطوط المواجهة في المدينة، أسهمت خطوة متقدّمة قامت بها القوات السورية في تطوّر كبير للصراع إتّخذ بعداً اقليمياً ودولياً. فالهجوم على تلال صنين واحتلال الغرفة الفرنسية لم يكونا منتظرين أو متوقَّعين.

أحسّت القوات اللبنانية جرّاء هذا التطوّر الدراماتيكي بالخطر يتهدّد كل المناطق المسيحية، فقطع الإمدادات عن المحاصرين في زحلة يعجّل في سقوط المدينة، وسيطرة القوات السورية على تلال صنين- الزعرور خلق وضعاً ميدانياً جديداً وخطيراً، ومع ذلك لم تتحرّك اسرائيل ولا الولايات المتحدة...


مناحيم بيغن وألكسندر هيغ

في تلك الحقبة، أصبحت السيطرة على صنين أشبه بالسيطرة على الحركة في محيط البحر المتوسط، واعتبر الخبراء الاستراتيجيون العسكريون أنّ قمم صنين ومعظم قمم السلسلة الغربية للجبال اللبنانية تشكّل أهم مركز للمراقبة والتنصت، وبأن المواجهة الصاروخية المدعومة بشبكات من الصواريخ أرض - جوّ يمكنها أن تشكّل تحدّياً خطيراً لمصالح الغرب وأمنه... فتخطّت اللعبة الخطوط الحمر وتعدّت حدود المعركة بين الجيش السوري والقوات اللبنانية. وقال وزير الخارجية ألاميركية الكسندر هيغ: «إن سوريا أخلّت بميزان القوى ...»، بينما اعتبر رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن «ان الذي يسيطر على جبل صنين لا يسيطر على لبنان فحسب، بل على شمال اسرائيل». أما جريدة العمل الكتائبية، فتخطّت البعد الاقليمي وصولاً الى القارة العجوز عندما أوردت على صفحاتها «من يحكم صنين سيحكم المتوسط ومن يحكم المتوسط يتحكَّم بأوروبا».

وردة جاك عقيقي

يوم الجمعة ٢٤ نيسان ١٩٨١، أغارت المروحيات السورية على شير الوردة فسقط شاب من نخبة كوادر كسروان، هو جاك عقيقي... ثم استولت وحدات المظليين التي أنزلتها المروحيات على الموقع.

كان جاك عقيقي في غرفة شير الوردة [١] وحوله رفاقه يحاولون الاتّصال بالقيادة بواسطة جهاز لاسلكي علّهم يعرفون جديداً عن أخبار معركة زحلة التي كانوا يسمعون ويشاهدون ما تتعرّض له من قصف عنيف. كان الطقس جميلاً والإنقشاع جيداً والهواء الربيعي القارس يلفح الوجوه في جرد صنين بعد عواصف ثلجية دامت أياماً.

---

(١) غرفة شير الوردة هي كناية عن أربعة أعمدة وسقف من الباطون تحيط بها براميل كبيرة صُبّ فيها الباطون والرمل كتحصينات وهي بُنيت على إحدى أبرز تلال جبل صنين.

الساعة الحادية عشرة والنصف سُمع صوت طائرة هليكوبتر من جهة الشرق فوق سهل البقاع، فصرخ نزيه برفاقه: «إنها طائرة غازيل سورية! تفرّقوا وليَلزَم كل واحد متراسه المحصّن». كانت المروحية على بعد ثلاثة أو أربعة كيلومترات... وفي غضون لحظات وقفت في الجو للحظة ثم اقتربت قليلاً فوق إحدى التلال... وأطلقت صاروخين على تلّة الوردة.

شاهد الشباب الصاروخين متّجهين نحوهم، وأصابا متراس «قاموع الوردة» بشكل مباشر حيث جاك عقيقي، فشبّ حريق كبير وتهشّم جسد جاك واحترق بالكامل... فيما نجا رفيقه الذي كان نائماً وخرج من غرفة الوردة من دون أن يخدش... تضعضع باقي الشباب للوهلة الاولى بسبب قوة الانفجار وضغطه، ولمّا استعادوا تركيزهم وجدوا جسد جاك محترقاً ومشوّهاً... سحبوه، وأبلغوا القيادة بما حدث... بعد نصف ساعة وصلت آلية عسكرية نقلت الشهيد، فيما انتقلوا هم الى مواقع أخرى خوفاً من غارة ثانية.

الشهيد جاك عقيقي



مروحية غازيل

سقوط الغرفة الفرنسية

كان ليل ٢٤- ٢٥ نيسان هادئاً في الغرفة الفرنسية بعد إغارة المروحيات السورية صباحاً على شير الوردة، ولم يكن مقاتلو وحدات رشدان (نسبة الى اسم شهيد من هذه الوحدة) الـ١٥ المتمركزون هناك يعلمون أنّ وراء هذا الهدوء الملحوظ عاصفة ستخطف أرواح بعضهم وتصيب الآخرين بجروح ستبقى في أجسادهم كلّ العمر... اتّخذ الجيش السوري قراره الحاسم بالسيطرة على الغرفة الفرنسية، أفضل موقع استراتيجي في لبنان وربما في الشرق الأوسط، وهي بُنيت على أعلى قمة في صنين على إرتفاع ٢٥٤٨ متراً.

الساعة الرابعة فجراً، تدفّقت القذائف والصواريخ السورية بغزارة على الغرفة الفرنسية ومحيطها[1]، وخلال فترة وجيزة تلقّت بقعة قطرها نحو مئة متر عشرات القذائف وصواريخ المروحيات والراجمات... تمهيداً وتغطيةً لإنزال الطوافات السورية قرب قواميع العبد[2]، والتي حملت مجموعات من المظليين السوريين من الكتيبة ٨٣ من الفرقة



مجموعة من وحدات رشدان

(١) ورد في جريدة النهار بتاريخ ١٩٨١/٤/٢٥ ما يلي: - اشتعال جبهة تلال صنين واشتباكات عنيفة بالمدفعية والصواريخ والاسلحة الرشاشة وخصوصا في محيط الغرفة الفرنسية التي تُشرف على سهل البقاع شرقا وبسكنتا وساحل المتن غربا وكسروان شمالا ... والقصف شمل تلال الزعرور والمصاطب وتلال عيون السيمان وفاريا وقناة باكيش ...

- القوات السورية نفّذت انزالات مجوقلة على بعض تلال صنين.

- معارك عنيفة حول الغرفة الفرنسية استعملت فيها كافة انواع الاسلحة ورافقها عمليات تقدّم سورية باتجاه مواقع القوات اللبنانية استمرت حتى الليل.

- الحزب السوري القومي الاجتماعي اعلن ان مقاتليه تقدموا مسافة تتراوح بين ٥ و٦ كيلومترات من الزعرور والمصاطب في اتجاه الغرفة الفرنسية واغاروا على الدشم القائمة قبل الغرفة حيث اصطدموا بحشود كتائبية واشتبكوا معها ... واضاف الحزب ان عناصره شاركوا في تطويق الغرفة الفرنسية وسيطروا عليها بالنار.واعلن رئيس الحزب انعام رعد ان القوميين اقتحموا المواقع الكتائبية في قمم صنين ونشبت معارك ضارية ما زالت مستمرة.

- القوات اللبنانية ردت ببيان قالت فيه ان الخبر الذي نقلته بعض وكالات الانباء عن ان مجموعة من القوميين السوريين احتلت الغرفة الفرنسية عار من الصحة...وهذا النمط الاعلامي يهدف الى تغطية العدوان الذي يقوم به جيش الاحتلال السوري كتتمة لمحاولات السيطرة على التلال وقمم الجبل اللبناني. والشاهد الاكبر على ذلك هو نوعية الاسلحة المستعملة في هذا الهجوم من مدرعات وقوات مجوقلة محمولة جواً، وان الوحدات الخاصة السورية قامت بهجوم على كل محاور صنين وسط قصف عنيف بمختلف انواع الاسلحة وعمليات انزال بالمروحيات لتعزيز القوات المهاجمة في منطقة القواميع...

(٢) هي مجموعة من سلسلة أعمدة صخرية تمتدّ من جهة الغرب حتى الغرفة الفرنسية، وترتفع عن سطح البحر ٢٦٠١ متراً. وقواميع العبد أعلى من الغرفة الفرنسية ولكن الغرفة هي النقطة الاستراتيجية التي تكشف كل شيء.


الشهيد جان هيكل


الشهيد مفيد صعب

٤١ النخبوية، قدموا من حرستا في سورية، بقيادة اللواء علي عباس حيدر.

تقدّم المظلّيون نحو الغرفة تحت غطاء القصف المدمر والقذائف الفوسفورية الحارقة التي كانت تحوّل الثلج الأبيض الى اللون الأصفر وتبقيه مشتعلاً رغم الصقيع والبرد. (لأول مرة كان يُشاهد الجيش السوري بثياب مخصصة للثلوج (لباس أبيض كامل ومموّه) ومعهم قناصات دراغونوف الروسية الفعّالة...).

أطبق المظلّيون من جهة القواميع على الغرفة الفرنسية التي سقط كلّ من فيها بين قتيل وجريح... فاستشهد جان هيكل وريمون سعادة ومفيد صعب وسامي نعمة وجُرح الباقون وتمكّنوا من الإنسحاب، وتراجع الياس صدقة وموسى ابراهيم وهما يشتبكان مع القوات الخاصة وتدحرجا عبر شير البحصة حتى مقاهي صنين فتهشم جسدهما لكنهما نجيا من الموت...

لقد سقطت النقطة الاستراتيجية الأهمّ «الغرفة الفرنسية» في أقل من ساعتين، ولم يكن ممكناً دعمها بالرجال لأنّ أقرب نقطة اليها كانت تبعد نحو ساعة ونصف سيراً على الأقدام...


الشهيد ريمون سعاده


الشهيد سامي نعمة

عين الشير الاحمر

أكملت القوات السورية قضم قمم جبل صنين الواحدة تلو الأخرى، ففي اليوم التالي لسقوط الغرفة الفرنسية، كان موعد الشير الأحمر مع هجوم الطوافات السورية.

في هذا الموقع كانت تتمركز مجموعة من الوحدات المركزية بقيادة ايلي سعادة (مشكل) قبل أن تصعد ملالتان من وحدات الدفاع أدونيس للحلول مكانها.

يتذكر نصري راشد: «صعدنا ٢٠ رجلاً الى الشير الأحمر في ملالتين، الأولى عليها رشاش ٥٠٠ قادها طوني ملحمة، والثانية عليها مدفع ١٠٧ ملم قدتها أنا. كان القصف كثيفاً على منطقة الجرد بهدف قطع الإمدادات عن الموجودين على التلال...».

ويروي حنا سابيوس خليل مفوّض قسم حراجل الكتائبي ما دار في ذلك اليوم، وكيف أصيب وفقد إحدى عينيه:



حنا سابيوس ومجموعة من شباب حراجل

«نزلت ليلاً الى بيتي في حراجل لأرتاح قليلاً، وفجأة وقبل إنبلاج الفجر، وصل أحد شباب حراجل المعروف بـ«ألدو مورو» وأبلغني أنّ الغرفة الفرنسية سقطت. صعدنا الى عيون السيمان، وتابعنا بإتّجاه الشير الأحمر لأنّ شباب حراجل ومعهم مجموعة من شباب بطحا بينهم صليبا السقيّم ويوسف المير والشركسي... كانوا هناك. قبل وصولي الى الشير، شاهدت طائرة هيليكوبتر تحاول إنزال جنود القوات الخاصة السورية لتطويق الشباب الذين انسحبوا من متراسهم قبل أن تُطلق المروحية صاروخاً وتصيبه مباشرة... نفّذنا خطّ انتشار جديداً... وفي هذا الوقت، وصلت ملالتان لوحدات الدفاع – أدونيس فأطلقتا النيران بغزارة على المروحيات السورية وأفشلتا الإنزال...»

يضيف حنا سابيوس: «أُبلغ سلاح المدفعية أن الشير الاحمر سقط في أيدي السوريين، فبدأت المرابض قصفه بشكل عشوائي وكدنا نصاب قبل أن نطلب منهم إبعاد الرمايات التي استمرّت حتى حلول الظلام بإتّجاه أماكن الإنزال... قضينا ليلتنا هناك في ظلّ البرد القارس».

ويتابع سابيوس: «عند الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٦ نيسان، تسلّلت طائرة هليكوبتر من البقاع في مسار متعرّج، وأطلّت فجأة من وراء الجبل من جهة بعلبك، وأطلقت صاروخاً بإتّجاه ملالة وحدات أدونيس... كنت أقف أمام الملالة مباشرة عندما لمع وميض الصاروخ الذي انفجر على بعد ثلاثة أمتار مني... أحسست وكأنّ التيار الكهربائي صعقني وأن عيني اقتلعت من مكانها، وشممت رائحة البارود الممزوجة بالثلج والدم الذي سال من وجهي...


حنا سابيوس خليل فقد عينه

بعد لحظات، أطلقت المروحية صاروخاً ثانياً انفجر في برج الملالة ولكن الجميع كانوا قد قفزوا منها بعد الصاروخ الاول...

نقلوني الى ثكنة عيون السيمان مع سعاده سعادة الذي أصيب أيضاً... ضُمّدت جراحنا بشكل أوّلي ثم فقدت الوعي لأستفيق بعد عملية جراحية في مستشفى سيدة لبنان في جونية...»

الملالة الثانية كانت تقوم بنقل ايلي سعادة ومجموعته الى عيون السيمان، ولم يدري نصري راشد وهنري حاصباني ما حصل مع رفاقهما... ويتذكر نصري: «كان الثلج كثيفاً يُبهر العيون عندما شاهدت طائرة هليكوبتر من مسافة بعيدة.. وفي خلال لحظات، أطلقت صاروخاً باتّجاهنا، فأصاب نساف ثلج كبير يبعد عن الملالة ٣ أمتار، وأحسسنا أننا دخلنا في منجم للفحم لكثافة الدخان والغبار الأسود، وغطّى الثلج المحروق قسماً من الملالة. ظنّت المروحية أنها أصابتنا... وعندما انكفأت، أكملنا باتجاه رفاقنا لنكتشف ما حصل معهم...».

حاول الشباب استخدام صواريخ سام ٧ المضادة للطائرات والتي كانوا تسلّموها حديثاً من دون أن يتدرّبوا على استعمالها... جرّب سيرج (أحد المقاتلين) استهداف إحدى الطوافات، فأطلقت بطارية الصاروخ ذبذبات التقطت الهدف، ثم أطلقت زموراً ناعماً، وهذا ما أخافه، فاعتبر أنّ هناك شيئاً غير طبيعي أو أنّ هناك عطلاً ما في الصاروخ الذي انطلق في إتّجاه خاطىء من دون أن يصيب أحد.

أبلغ أحد المسؤولين في قطاع كسروان بشير الجميل بأنّ حنا سابيوس أُصيب وقال له: «واللّه حنا كان يشكّل ٨٠ في المئة من جبهة الجرد»، فأجابه بشير متهكّماً: «إذا ٨٠ في المئة من جبهة الجرد بتوقف على حنا، وحرب رح نربح».


نزار نجاريان ونصري راشد

وكان بشير يتردّد على مستشفى سيدة لبنان لعيادة حنا وأسماه موشى دايان الجرد بعدما فقد عينه.

مكث حنا في المستشفى ٢٢ يوماً، ثمّ طلب بشير نقله الى الخارج للعلاج حيث بقي ٢٦ يوماً وعاد ليكمل مهمته في الجرد.

دمشق أم تل أبيب

شكّل تمركز السوريين في «الغرفة الفرنسية» وعلى قمم صنين تطوّراً مهماً وخطيراً، الأمر الذي دفع بشير الجميل الى طرق كلّ الأبواب الممكنة... ويروي الوزير فؤاد بطرس في مذكّراته: «فجر الخامس والعشرين من نيسان، شنّ السوريون هجوماً على صنين والجبال المحيطة ببسكنتا، واحتلّوا نقطة استراتيجية تعرف بـ«الغرفة الفرنسية»، فاضطربت القوات اللبنانية جداً، وخاف الرأي العام المسيحي واعتبر هذا الهجوم مقدّمة للقضاء على المنطقة المسيحية. وسط هذه المعطيات الخطيرة، تردّدت في شأن قيامي بزيارة دمشق في اليوم التالي، وطلبت من جوني عبدو أن يتّصل ببشير الجميل لألتقي به قبل الزيارة، فلبّى قائد القوات اللبنانية وحضر إلى منزلي في اليوم نفسه، وقد بدا عليه الاضطراب. وقال لي بشير إنّ المعركة إلى نهاية لأنّ الكماشة السورية تطبق عليهم، وألحّ عليّ لأزور العاصمة السورية من دون تردّد طالباً مني ألا أضيع الوقت في البحث في مسائل أمنية أو عسكرية، بل أن أركّز على الناحية السياسية، وعلى أساس المشكلة حتى نرى إذا كان ثمة مجال لحلّها نهائياً، ولمست يومئذ لدى بشير مزيجاً غريباً من التصلّب والخوف، وأيقنت أن القضية أكبر منه وأنه ضائع إلى حد كبير».


فؤاد بطرس

من جهته، أورد جوزيف أبو خليل في كتابه «قصّة الموارنة في الحرب»: «تمّ الاتفاق على القيام بخطوتين متلازمتين: واحدة في اتجاه سوريا، وأخرى في اتجاه إسرائيل. إذ فيما كان الشيخ بشير يجتمع مطوّلاً بالعقيد السوري محمد الخولي في قصر بعبدا، وبمسعى من القصر، كنت أنا وجان ناضر (وكان معهما أنطوان نجم) نركب زورقاً للقوات اللبنانية ونتوجّه الى إسرائيل».

كان يرافقهم أليكس، رئيس هوائيّ الموساد في أدونيس، وبعد خمس ساعات من ركوبهم الزورق في الكسليك، رسوا عصراً في حيفا.

ويتابع أبو خليل: «لما سُئلت كيف نتصوّر التدخل الإسرائيلي في القتال الدائر حول زحلة؟»، قلت: «إن ما حملنا على القدوم بهذه السرعة هو تدخّل سلاح الجو السوري في المعارك. إنّ المقاومة على الأرض متيسّرة، لكن بماذا نقاوم سلاح الجو السوري وقد بدأ يفتك بمواقعنا. وحسب علمي أن تحليق الطيران الحربي السوري في الأجواء اللبنانية، أياً كان نوعه، يعتبر في نظركم وبموجب ما هو متّفق عليه ضمناً تجاوزاً للخطوط الحمر وإعلان حرب (CASUS BELLI). فهل هذا صحيح أم لا؟». أما جان ناضر فقال: «لم نعد قادرين على الصمود. نعتقد أننا خسرنا الحرب. فسورية تتمتّع بحرية حركة كبيرة. وجيشها يستعمل المروحيّات. وضعنا يتدهور من ساعة الى أخرى، قادتنا العسكريون منهارو المعنويات».

وتدخّل أبو خليل من جديد: «نحن لم نأت للتباكي، إننا هنا فقط لشكركم على كلّ ما فعلتم لأجلنا. والآن ليس أمامنا خيار آخر سوى التنازل. فالآن جاء دور المسيحيين الذين يريدون التفاهم مع السوريين والفلسطينيين...».

وقال جوزيف أبو خليل لمحطة الجزيرة القطرية العام ٢٠٠٦: «رميت هذه الورقة وعدت ليلاً، يبدو أنها نجحت،


بشير أوفد جان ناضر وجوزف أبو خليل الى إسرائيل

فتدخّل الطيران الإسرائيلي، وأسقط الطوافات السورية... ردّت سوريا بإدخال صواريخ سام إلى الأراضي اللبنانية، الأمر الذي يعني مشروع حرب في المنطقة، فسارع الأميركيون إلى التدخل، وبهذه الطريقة أمكن تحريك الأزمة».

على خطٍّ آخر، التقى بشير الجميل في قصر بعبدا بمسعى من الرئيس الياس سركيس، محمد الخولي رئيس جهاز مخابرات سلاح الجو السوري الذي قال لبشير بوجه مكتئب: «نأسف لما يحدث، ويجب التمكّن من طيّ الصفحة. سنة ١٩٧٦، جئنا لإنقاذكم، خصوصاً أنتم المسيحيين؛ لكنّ الوضع بيننا تدهور لاحقاً».

- «فعلتم كلَّ شيء لضربنا». كان ردَّ بشير عليه... «لن تستطيعوا الاستيلاء على زحلة بغير القوّة، غير أنكم ستخسرون الكثير من الرجال والعتاد. إني أرفض سماع الكلام عن وقف لإطلاق النار، فلتتواصل المعارك!... لا يمكن للاتفاق إلا أن يكون كاملاً وشاملاً. أريد دولة وليس بيت دعارة. أنا عندي هذه الدولة. أريد حليفاً في المنطقة. ليكن السوري، ليكن الإسرائيلي، ليكن الأميركي، ليكن السوفياتي، لكنّي لن أقبل بأقل من معاملة ندّية. في هذه الظروف نستطيع التفاوض. أريد الشمال، وزحلة والشوف. وقف إطلاق النار والطحين لزحلة، لا أهمية لهما أبداً».

- الخولي: «عملياً، كيف يمكن لهذا أن يتمّ؟»

- بشير: «نحن هنا وألفتكم الى أن القصف المدفعي الذي تسمعونه، يتساقط على بيروت».

- الخولي: «إنهم المرابطون!» (ميليشيا سنيّة).

- بشير: «هيّا إذاً! أنا أراقب كل شيء في منطقتي. يمكنكم إسكات هذه المدافع إذا شئتم. إذا كنتم غير مؤهلين للتفاوض بإسم المسلمين، فنحن قادرون على ذلك!»[١].

كانت المقابلة قصيرة، لكنّها كانت أوليّة بنظر بشير، فهذه هي المرّة الأولى التي كانت فيها دمشق تخاطبه مباشرة. لم يكن أحدهما يريد التنازل، إذ كان السوريون يعتقدون أن من شأن خسارة القوات للقمم أن تحبط معنوياتها.

كانت عدوانية بشير الجميّل اللفظية في مواجهة محمد الخولي تكشف الصدمة المعنوية والنفسية التي كانت القوات اللبنانية قد مُنيت بها. كان السوريون قد ربحوا ميدانياً، فمن المواقع المفتوحة، كان يمكنهم القصف المكشوف على معظم المنطقة المسيحية.

(١) آلان مينارغ «أسرار حرب لبنان».

إنزلاق إسرائيل

صباح ٢٨ نيسان، طلب هوائي الموساد في أدونيس، بشكل طارئ جداً، إحداثيات المواقع السورية حول زحلة. لم تكن تل أبيب قد طلبت أبداً مثل هذا الطلب...

بدأ بشير يأمل... وعلى الفور، طلب إرسال البرقيّة الى جو إدّه، وحرص على أن تكون الإحداثيات قد أرسلت الى تل أبيب...

...اقترح رئيس أركان الجيش الإسرائيلي رفائيل إيتان شنّ هجوم جويّ على جبل صنين،فأعرب يهوشع ساغي، مدير الآمان، عن «تحفظات صارمة». وكرّر تحذيراته، مذكّراً بالاحتمال الكبير أن يكون المسيحيون نصبوا فخاً لتوريط إسرائيل في النزاع اللبناني. شدّد ساغي على خطر الردود العسكرية السورية الممكن تصورها، ومنها نشر صواريخ جوية مضادة في لبنان، من شأنها الحدّ من القدرات الاسرائيلية للإستطلاعات الجوية. حسم مناحيم بيغن الأمر: «لن نسمح لهم بتكرار مذبحة في لبنان» وعلى الفور، أمر إيتان بالتدخّل وأعلم بشير بالأمر.

مقاتلات ف-١٥ إسرائيلية قصفت المروحيات السورية فوق صنين

عند الحادية عشرة صباحاً... أسقطت طائرات الـ إف ١٥، مروحية سورية من طراز M.18، وهي ناقلة عملاقة من صنع سوفياتي تحمل تموينا للوحدات المرابطة على جبل صنّين، وذلك بعد وقت قليل على إقلاعها من قاعدة رياق. في الدقائق التالية، شنّت المقاتلات الإسرائيلية هجوماً على مواقع قوّات الردع العربية المتمركزة على تلال الفرزل ومنحدرات صنين والمرتفعات المحيطة بالغرفة الفرنسية. وقبل حلول الظلام، أسقطت مروحية سورية ثانية، من طراز «آلويت» صنع فرنسا.

مساء اليوم ذاته، آكّد نائب وزير الدفاع الإسرائيلي، موردخاي تزيبوري، في مداخلة تلفزيونية أنّ «تعهد إسرائيل تجاه المسيحيين اللبنانيين ما كان يتعلّق بغير «الجيب الحدودي»، وحين استعمل السوريون المروحيات، أضافوا بُعداً آخر في حربهم ضد المسيحيين، بحيث أن هؤلاء لم يعودوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم (...) ولقد تكبّدوا خسائر كبيرة (...). بعد اليوم، لن يكون هناك نشاط جوّي سوري في المجال الجوّي اللبناني»[١].

وفي اليوم نفسه، أعلن مناحيم بيغن: «أن إسرائيل لن تسمح لسوريا بالسيطرة على لبنان والقضاء على المسيحيين

---

(١) آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان.

فيه بسبب التزامها حيالهم، ولأنّ لها مصلحة قومية في ذلك». وأضاف: «أن هناك أساساً للإفتراض أن إسرائيل لن تكتفي بالعملية الجوّية التي أدّت الى إسقاط طائرتي هليكوبتر سوريّتين»، معرباً عن أمله «في أن تؤدّي العملية الإسرائيلية الى تهدئة الموقف لا الى تصعيده».

فردّ السوريون في اليوم التالي بنصب صواريخ أرض جو، من طراز سام ٦ وسام ٢، في وادي البقاع.

هاجس الإطباق على المنطقة المسيحية

بعد سقوط الغرفة الفرنسية وتلال صنين عاشت المنطقة الشرقية لبيروت هاجس إمكان إطباق الجيش السوري عليها، وكانت المخاوف جدّية من هذا الاحتمال. ولكنّ صمود زحلة جعل السوريين يترددون... يتذكّر فؤاد أبو ناضر: «كانت تردنا تقارير ومعلومات استخباراتية موثوقة عن نية الجيش السوري اجتياح المنطقة الشرقية. وكانت كلّ التحركات تُنبىء بذلك، فالقوات السورية حشدت كمّاً هائلاً من الأسلحة والمدرّعات على جبهة الشمال وفي العاقورة، كذلك في منطقة بعبدا وفي أعالي المتن في النعص والدوار. كنّا نعيش خوفاً حقيقياً ومتواصلاً من دخولهم الى المنطقة، وكان الإسرائيليون لامبالين...».



التحضيرات على جبهتي الشمال والعاقورة، ويبدو من اليمين الى اليسار: بول عنداري، نادر سكر، جيمي تامر، جورج أنطون، غسان منسّى، ....، نصري راشد، فرنسوا معزاوي وأدولف سكّر

وُضعت خطة دفاعية وخصوصاً في منطقة الشمال لأنها منطقة مفتوحة وواسعة. كان سمير جعجع قائداً لهذه الجبهة التي تمتدّ عشرات الكيلومترات من منطقة البربارة على البحر حيث نصب حاجز على الطريق الساحلي، حتى جرد العاقورة. وقضت الخطة بأن يُستدرج السوريون الى الداخل، ومن ثم تتمّ مواجهتهم في الشوارع والقرى حيث لا يمكنهم القتال كما في الأرض المفتوحة. وبدأت الاستعدادات على جبهة الشمال وفي مرتفعات العاقورة كما لو أنّ الإجتياح حاصل...

وقامت عمليات المجلس الحربي بتعزيز جبهة بكفيا بمجموعات مركزية، ودرّبت مجموعات من المتن لمواجهة أي اختراق سوري. كما حصلت تحضيرات للمواجهة ناحية بعبدا ومستديرة الصياد، كذلك في الأسواق التجارية.



التحضيرات على جبهة المتن، ويبدو د. فؤاد أبو ناضر ومجموعة من المغاوير

ولكنّ صمود زحلة أخّر هذه العملية وبدّلها في ما بعد، خصوصاً بعدما بدأت الحرب تأخذ منحىً دولياً كبيراً وأصبحت موضع اهتمام كبير.

وعن التدخّل الاسرائيلي، يؤكّد أبو ناضر: «أنّ الاسرائيليين كانوا يلوموننا في البداية، ويتّهموننا بأننا نحاول جرّ الجيش الاسرائيلي الى معركة لا يريدها، وكانوا يقولون نحن ليس لدينا مشكلة مع السوريين، ويتّهمون بشير بوضعهم في مأزق ولم يكونوا مرتاحين الى قراراته».

أزمة صواريخ وطائرات

أخذت الأحداث في لبنان وحرب زحلة مداها الأوسع اقليمياً ودولياً بعدما تدخّل الطيران الحربي الأسرائيلي وأسقط في ٢٨ نيسان طائرتين سوريتين فوق زحلة، فردّت سوريا بإدخال صواريخ سام ٦ السوڤياتية الى سهل البقاع، الأمر الذي جعل الجيش الاسرائيلي يعيش في أول أيار ١٩٨١ حال استنفار قصوى إثر إصدار رئيس الحكومة مناحيم بيغن أوامر للجنرال موردخاي غور بضرب صواريخ سام في البقاع. وقبل تنفيذ العملية بساعتين، وصلت طبقة كثيفة من الغيوم الى المنطقة حالت دون تنفيذ الهجوم، فالإغارة على علو منخفض لم تعد مضمونة النتائج، لذلك تمّ تأجيل الضربة لمدة ٢٤ ساعة.

تدخّلت الولايات المتحدة الأميركية لتبريد الأجواء مستبقة العملية العسكرية الإسرائيلية ضدّ الصواريخ السورية، وأبلغ الرئيس الاميركي رونالد ريغن رئيس الحكومة الاسرائيلية مساءً أنه سيرسل المبعوث الأميركي الخاص فيليب حبيب، الى العاصمة السورية.

أتى فيليب حبيب في السابع من أيار حاملاً رسالة من الرئيس رونالد ريغان إلى الرئيس إلياس سركيس مفادها أن مهمته هي العمل بسرعة لوقف تدهور الوضع ولتجميد المواجهة بين إسرائيل وسورية، لأن الإدارة الأميركية كانت تظنّ أن مواجهة بينهما قد تجرّ إلى مواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوڤياتي.



صواريخ سام ٦ سورية في البقاع اللبناني

اجتمع الموفد الأميركي ليلة وصوله بوزير الخارجية اللبنانية فؤاد بطرس بحضور موريس درايبر والسفير الأميركي جون غونتر دين ومدير المخابرات جوني عبدو. وعرض حبيب فحوى مهمته المحصورة بإزالة التوتر بين سورية وإسرائيل. وفي اليوم التالي، اجتمع حبيب ودرايبر ودين بالرئيس سركيس بحضور فؤاد بطرس، وشدّد حبيب خلال الاجتماع على ضرورة الحؤول دون وقوع حرب، والعودة إلى الستاتيكو الذي كان قائماً قبل الثاني من نيسان ١٩٨١، معتبراً أنّ مهمته تنحصر في ذلك، رافضاً البحث في أي موضوع متعلّق بالأزمة اللبنانية عموماً[١].



ريقن أوفد حبيب لسحب فتيل الحرب

اطمأنت القوات اللبنانية الى أن اسرائيل لن تتراجع بعد إسقاط المروحيتين السوريتين طالما لم يصدر أي تعليق من واشنطن حول الهجوم الجوّي في جبل صنّين، كما اقتنعت القوات ان تل ابيب لن ترضى بوجود صواريخ سام في البقاع أو على قمم صنين.

في غضون ذلك، وبعد نصب الصواريخ، نقلت القوات السورية قيادة منطقة البقاع من شتورا الى عنجر.

في ٤ أيار، التقى بشير الجميل يرافقه زاهي البستاني[٢] بمحمد الخولي رئيس جهاز مخابرات سلاح الجو السوري في منزل جوني عبدو. وطلب بشير إحلال الجيش اللبناني محلّ القوات المسلحة الموجودة في زحلة وعلى قمم جبل صنّين وعلى خطوط التماس في العاصمة.

فسأله الخولي: «هل تعتقد أن الطرف الآخر يثق بالجيش؟»

أجاب بشير: «ماذا يريدون إذن؟ من المفترض أنكم تعرفون ما يجري في بيروت الغربية! ما عاد المسلمون والدروز يريدونكم ... على سورية أن تجسّد الأمر الواقع الجديد بقبولها الخيارات السياسية لمسيحيي لبنان... ويجب إعفاء لبنان من كلّ مسؤولية عسكرية تجاه القضية الفلسطينية. لا بدّ من منع الوجود الفلسطيني المسلّح في العاصمة وضواحيها، وفي المدن والأماكن المأهولة. كذلك سيتوجّب إتّخاذ كل التدابير اللازمة للحؤول دون أن تكون الأراضي اللبنانية مصدر خطر على سورية». وختم بشير مطالباً بإقامة تمثيل دبلوماسي متبادل بين سورية ولبنان.

فسأله الخولي:« كم سيقع من القتلى لتنفيذ هذا المشروع؟»

- أجابه بشير: «أتعرفون كم سيقع من القتلى إذا أردتم إجتياح جونيه؟»

(كانت القوات اللبنانية متخوّفة جداً من عملية اجتياح سورية للمناطق الشرقية لبيروت، وأراد بشير من خلال سؤاله الاستعلام عن هذا الأمر وإيصال تحذير الى السوريين بأن أي محاولة دخول الى المنطقة المسيحية ستكون مكلفة جداً).

---

(١) مذكّرات فؤاد بطرس.

(٢) كان مديرا للامن العام اللبناني واصبح من ابرز مستشاري بشير الجميل ومساعديه.

فردّ الخولي: «:ماذا تقترحون عليَّ في المقابل؟»
اغتاظ بشير ورد بحدّة: «قولوا لنا أنتم ماذا تريدون؟ أرضاً؟ معاهدة؟ تمثالاً؟ لو طلبتم مني أن أحملكم على ظهري الى دمشق، فسأفعل ذلك! قولوا لي إنكم تريدون لبنان حراً، سيداً ومستقلاً وأخرجوا من لبنان. مسألة إسرائيل ثانوية». فأجاب الخولي بهدوء: «سأعود الى دمشق لأناقش الأمر مع سيادة الرئيس الأسد...».
فقال بشير: «أنا لا أفاوض على وقف إطلاق النار. لا أفاوض على التلال أو على الطحين لزحلة. أنا أعرض قضيّتي في العمق. والآن، إذا أردتم أن تناقشوا وقف إطلاق النار أو الطحين، فإنّي أنسحب. سترسل لكم الكتائب شخصاً ما. نحن نلعب لعبة الكلّ لأجل الكلّ...».


زاهي البستاني وبشير الجميل

بعد لقاء محمد الخولي، أدلى بشير بحديث لإذاعة «صوت لبنان» قال فيه: «لم نعد نقبل بأن تقع في كل شهر أو شهرين مجزرة نتوصّل في نتيجتها الى وقف إطلاق نار، وإعادة تطبيع الوضع على الأرض، ثمّ في المستقبل، ولأي سبب تافه، كما حصل في المرة الأخيرة، تقصف بيروت بالشكل الوحشي الذي حدث، وتعود زحلة للتعرض لما تعرّضت له، ونعود في ما بعد الى مفاوضات، والى وقف إطلاق نار من دون الوصول الى أي حل».
«بالنسبة إلينا، عندما نصل الى اتفاق يجب أن يكون تاماً، لذلك لسنا مستعدين لأي إتفاق، ولا أي وقف إطلاق نار على رغم أنّ المعركة فرضت علينا فرضاً في زحلة. لا نريد الإستعطاء من الدول الغربية، أو من أي دولة كانت لتساعدنا في وقف إطلاق النار. نريد إنقاذ زحلة... إن أمننا العسكري مهم جداً، ولذلك نقبل بوقف إطلاق النار، لكنه لم يعد كافياً، لأننا نريد أيضاً الأمن السياسي. وهذا ما نعمل له في ضوء الإنتصارات والبطولات في زحلة، وفي ضوء زحلة الصامدة التي لا تزال قلعة لبنانية، قلعة مقاومة، وقلعة لبنان الحر في قلب البقاع لنتمكن من الإنطلاق للحفاظ على كل لبنان موحداً».


الصواريخ السورية أسقطت خمس طائرات استطلاع اسرائيلية من دون طيار من طراز درون

وأضاف بشير: «اسرائيل تقصفنا لأنها تعتبرنا قاعدة فلسطينية، الفلسطينيون يضربوننا لأننا في رأيهم قاعدة اسرائيلية، سوريا تضربنا لأننا في رأيها قاعدة استعمارية، والغرب تخلّى عنّا لأنه اعتبر اننا سقطنا في أحضان الشيوعية. كلّ العالم يتصارع فوق أرضنا، ونحن اليوم محتارون: من هو الصديق الحقيقي، ومن هو العدو الحقيقي؟ ليس من المعقول أن تتضارب كل القوى على أرض لبنان، وكل واحد يحسبنا لغيره».

«ما نريده، بعد القدرة العسكرية والصمود الشعبي والعسكري والسياسي والمادي، الذي عبّرنا عنه في زحلة، أن نطرح أنفسنا كلبنانيين: لبنان لنا، وأرضنا لنا. ونحن لأول مرة بعد ست سنوات حرب، لم نعد نهتم بوقف إطلاق النار، ولم نعد نفتش عن أيّ حل أياً كان مصدره. نحن نحاول أن نطرح قضيتنا ومشكلتنا لإيجاد الحل، لأن ست سنوات من الحرب باتت تكفي... ما نريده هو أن نكون لبنانيين، وأسياد بلدنا، في ظل نظام سياسي لبناني بكلّ معنى الكلمة. ان هويتنا لبنانية، وعلى العالم أن يتعاطى معنا من هذا المنطلق. لقد آن الوقت لطرح الأمر في العمق».

في هذه الأثناء، بدأت الأمور تأخذ منحى دراماتيكيّاً. ففي ١٤ أيار، أسقطت الصواريخ السورية طائرة استطلاع بلا طيار من نوع «درون» فوق البقاع. بعد خمسة أيام أصيبت طائرة أخرى، لكن هذه المرّة، فوق سورية، قرب اللاذقية. وفي ٢٢ أيار، انفجرت في الجو طائرتا «درون»، بعدما أصابتهما الصواريخ في سماء البقاع. في ٢٥ أيار ايضاً، أصيبت طائرة خامسة في الجو وتحطّمت أيضاً في مكان غير بعيد عن الزبداني داخل سورية. لقد بات التوتر بين دمشق وتل أبيب على حافة إعلان الحرب الشاملة، فضاعفت واشنطن دعوات ضبط النّفس معتبرة أن خطر الحرب يتعاظم يوماً بعد يوم وربطت قضية صواريخ سام[1] بحصار مدينة زحلة.

---

(١) في العام ١٩٨٢، قصفت اسرائيل صواريخ الدفاع الجوي السورية من طراز سام-٦ بطريقة اعتمدت فيها عملية خداع إلكتروني متعدّد الزوايا، ويعود النجاح في هذه العملية إلى استخدام إسرائيل يومها نوعيات متقدّمة من الأسلحة والمعدات الفنية، وأساليب متطوّرة في التعامل مع هذه الصواريخ، معتمدة على المعلومات الدقيقة والشاملة عنها، وقد عملت على تحديث هذه المعلومات أولاً بأول، منذ دخول تلك الصواريخ منطقة سهل البقاع ١٩٨١، ومنفّذة الدروس المستفادة من حرب ١٩٧٣، وخاصة في التعامل مع وسائل الدفاع الجوي، ومع القوات الجوية معاً، وقد أجريت العملية على النحو التالي:

أ. **قبل العملية** بوقت طويل، جمعت إسرائيل كافة البيانات والمعلومات عن هذه الصواريخ بواسطة الطائرات الموجّهة من دون طيار بشكل رئيسي، وكذلك وسائل الاستطلاع الأخرى، محدّدة مراكز الصواريخ الرئيسة والاحتياطية، ومواقعها وتردّداتها، وفترات العمل وأسلوب رفع أوضاع الاستعداد لهذه الصواريخ.

ب. **أطلقت** إسرائيل عدداً من الطائرات الموجّهة من دون طيار مزوّدة بعواكس ركنية، لتظهر كطائرات القتال على شاشات الرادار السورية. وفي الوقت نفسه، كانت تحلّق في الجو طائرة الإنذار والتوجيه (٢)، وطائرة الإعاقة «البوينغ ٧٠٧».

ج. **كان لا بدّ** للدفاعات السورية، عند كشفها لطائرات ستستهدفها، أن تشغل محطات الرادار لتشتبك مع هذه الطائرات.

هنا التقطت الطائرة (٢) تردّدات الرادارات، وزوّدت بها طائرة «البوينغ ٧٠٧» لأغراض الإعاقة، والطائرات المقاتلة، وكذلك صواريخ أرض/ أرض الإسرائيلية الصنع من نوع «زئيف» المزودة بالشعاع والتي استعملتها للمرة الأولى، عملياً، لأغراض تدمير وسائل الكشف، لمنظومة الدفاع الجوي السورية.

وتحت ستار الإعاقة الإلكترونية، تمّت العملية القتالية التالية في تزامن منظم:

- قصفت مدفعية الميدان بشكل مركز مواقع الصواريخ.
- رمايات صواريخ «زئيف» الشعاعية من مسافة أكثر من ٣٥ كم.

د. **هجمات** جوية بقوة من طائرتين الى أربع طائرات لكلّ بطارية، وذلك لإستكمال تدميرها سواء بصواريخ «شرايك» الشعاعية، أو بالأسلحة التقليدية.

مع بداية العملية، كانت الطائرات الموجّهة من دون طيار تنفّذ عمليات الاستطلاع الجوي، وترسل صورة تليفزيونية فورية للقيادة الإسرائيلية للتأكّد من دقّة الإصابات، وإخراج الصواريخ من الخدمة، كما نفّذت هذه الطائرات مهام تحديد مواقع الأهداف المطلوب تدميرها لقنابل «الكوبرهيد» الليزرية.

كان من أبرز سمات العملية: الاستخدام المتجانس والواسع النطاق لمعدات الحرب الإلكترونية، وخصوصاً الاستطلاع الإلكتروني، والتليفزيوني، الذي نفذته الطائرات الموجّهة من دون طيار قبل العملية بوقت طويل، حدّدت خلالها جميع الإمكانات الفنية، والتكتيكية، وأماكن التمركز، والتوقيت وأوضاع الاستعداد، ما سهّل عملية تدمير هذه الصواريخ.

قاع الريم

هي البلدة الصغيرة التي ترتفع ١٤٠٠ متراً عن سطح البحر، الواقعة على كتف نبع البردوني والمتميّزة بذكاء أهلها وكرمهم ونبل أخلاقهم.

قاع الريم كانت سنداً مهمّاً لزحلة وكانت في صلب المأساة، وعلى صمودها توقّف صمود المدينة...

عندما اندلعت معركة الميلاد العام ١٩٨٠ في زحلة، كان الإشتباك الأوّل بين السوريين وأهالي قاع الريم. يومها كان للجيش السوري مركزاً في أول حزرتا، وفجأة تقدّمت منه بإتّجاه قاع الريم شاحنات محمّلة بالجنود والعتاد... فلاقاهم غسان تنوري واشتبك معهم، وسانده شباب القرية من على أسطح المنازل. فأجبروا الشاحنات على التوقّف في أول حزّرتا بعدما أُصيب الضابط السوري المسؤول عنها في قدمه.

قامت الشيخة زوجة يوسف التنوري (إحدى سيّدات البلدة النافذات) بزيارة مركز السوريين لتهدئة الوضع... فهدّدوها بتدمير قاع الريم على من فيها وتحويلها الى ملعب. فأجابتهم: «نحن لن نعتدي على أحد ولا نريد أن يعتدي أحد علينا، وممنوع الدخول بالقوّة الى قاع الريم..» . ثم عادت متمنّية على الشباب عدم الظهور بالسلاح. توالت التحديات والاستفزازات بين الطرفين، فأقام شباب البلدة متاريس بمواجهة المراكز السورية...

مع انطلاق حرب زحلة في نيسان ١٩٨١، أصبح الوضع حذراً جدّاً، واستنفر أهالي قاع الريم تحسّباً، فهم كانوا متأكّدين أن الجبهة في محيط بلدتهم ستُفتح عاجلاً أم آجلاً.

شائعة السقوط والنزوح

فور انتهاء معارك التلال حول زحلة، بدأت معركة قاع الريم عندما أطلق غسان التنوري النار على الدبابات السورية في حزرتا لإلهائها عن قصف تلّة عفيفة التي كانت تشهد معركة ضارية.

يقول غسان: «كنت أشاهد كثافة النيران الرهيبة على تلة عفيفة، فبادرت بإطلاق النار من رشاش دوشكا على الدبابات، فاستدارت عن تلة عفيفة وبدأت بقصف قاع الريم. ثم تقدّم السوريون بإتّجاهنا من جهة الشرق، فحصلت مواجهات، وسيطروا على الحارة الفوقا من البلدة، وطوّقوا مجموعة من الشباب في منزل إميل تنوري».

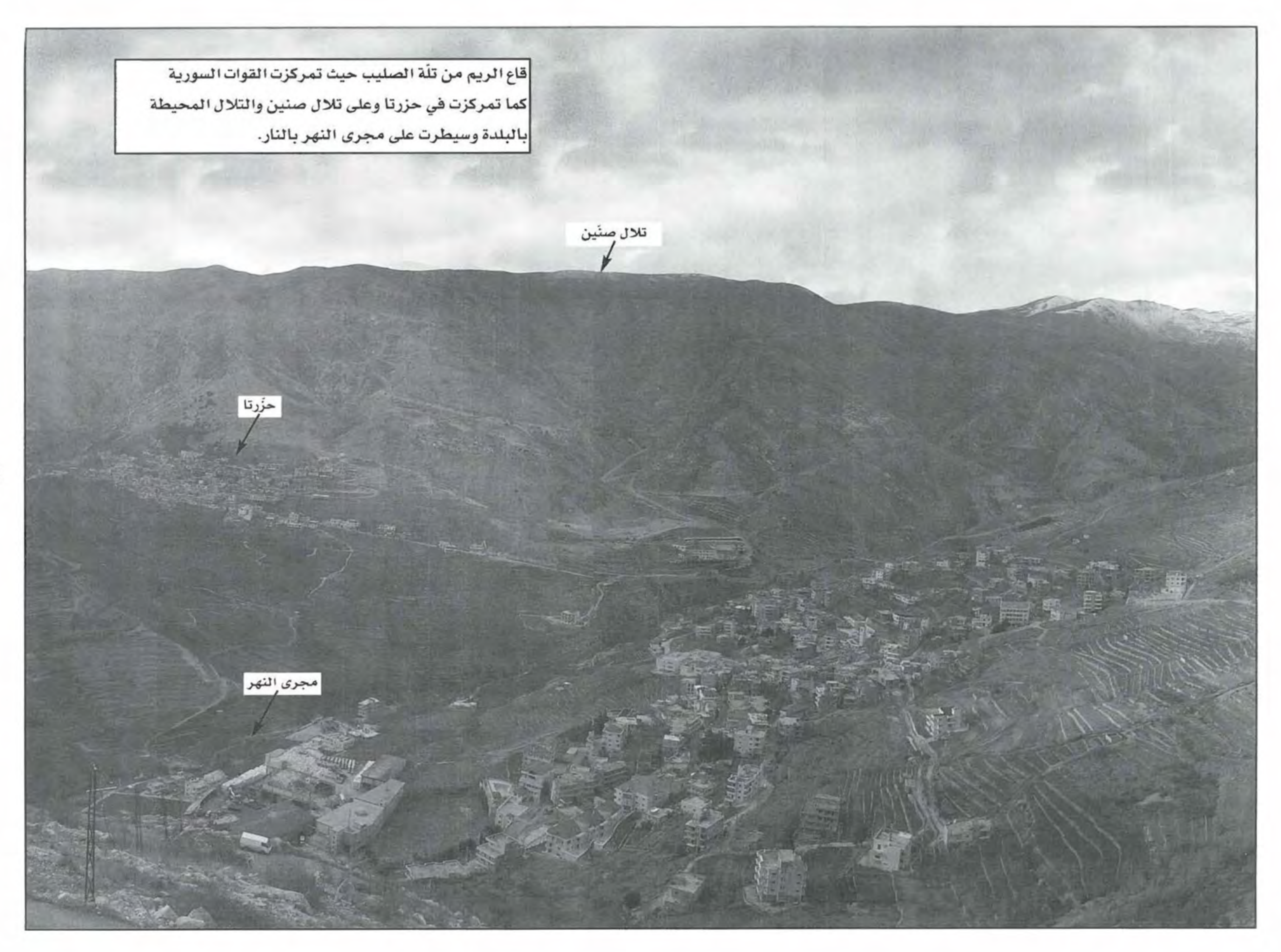
مساء ١٠ نيسان ١٩٨١، تبلّغت غرفة عمليات زحلة نبأ سقوط البلدة، ونزح قسم من أهلها الى وادي العرايش، ثمّ الى مركز القيادة في زحلة.

سَرَت شائعة سقوط قاع الريم في أيدي السوريين كالنار في الهشيم.

يتذكّر غسان ما حصل ذلك اليوم: «كنّا نتموضع في مراكزنا نراقب التحركات السورية بعد توقّف الدبابات عن دكّ البلدة. وفيما نحن في الساحة في مكان غير مكشوف، شاهدنا نحو ١٥ جندياً سورياً يتقدّمون من الجهة الشمالية... لاقيتهم مع رياض التنوري وأطلقنا النار بإتّجاههم فتراجعوا... بقينا نحو ساعتين شمال البلدة، عندما عدنا، كانت قاع الريم فرغت تماماً من الناس، وسمعنا أن القيادة أعطت أمراً بالإنسحاب، ولكن جو إده لم يكن على علم بذلك، وكان الهدف إسقاط البلدة بأقلّ كلفة ممكنة ومن دون عناء».

يتابع غسان: «بقي فقط الماريشال في مركز دولسي ومعه نحو ١٥ شاباً، وأبلغته أنه عليه أن يؤمّن ليس مركزه فقط، بل أي مكان يمكن حمايته، وفي كلّ الإتجاهات، بعدما توغّل السوريون وسيطروا على الحي العالي...».

ويتذكر جورج قزي: «أبلغني جو إده ليلاً أنّ قاع الريم سقطت. قصدت القيادة ومعي مانويل الجميل، فوجدت عدداً من أهالي البلدة هناك يطرحون القضية على جو الذي كان أمام مشكلة تهجير داخلية. فكيف ستتمكّن زحلة من استقبال المهجّرين؟ وكيف سنؤمّن مساكن لهذه العائلات ومعظم أهالي زحلة في الملاجىء وبيوتهم غير آمنة؟».



قاع الريم من تلّة الصليب حيث تمركزت القوات السورية كما تمركزت في حزرتا وعلى تلال صنين والتلال المحيطة بالبلدة وسيطرت على مجرى النهر بالنار.

ويتابع فزي: «طلب مني جو التأكّد ممّا حصل. صعدت أنا ومانويل الجميل الى وادي العرايش ومنها الى قاع الريم. لم نكن نعرف أحداً ولا الى أين سنتوجّه، وفي أوّل البلدة لم يُجب أحد على صراخنا، فأقفلنا عائدين الى الوادي».

ويروي أحد مقاتلي قاع الريم: «بعدما فتحت المعركة، تفاجأنا في أوّل القرية بهجوم قوي نفّذته الوحدات الخاصة من ثلاث جهات، من حزرتا ونبع البردوني ومنطقة الساقية... حصل اشتباك عنيف، وكانت أعداد السوريين كبيرة، وتمكّنوا من التقدّم والسيطرة على الحارة الفوقا بسرعة، وتمركزوا في منزل أمين التنوري حيث حوصرت مجموعة من شباب البلدة بعد قتال ضار... فيعقوب التنوري صعد الى سطح منزله واشتبك معهم ببسالة وأصيب في عينه فضغط عليها بيده وأكمل اطلاق النار حتى امتلأت بندقيته بالدماء فتوقّفت عن العمل ووقع هو أرضاً... سحبه جريس التنوري تحت الرصاص وتمكّن من نقله الى زحلة حيث أجريت له عملية جراحية ونجا، لكنه توفي بعد سنوات نتيجة تفاقم وضعه الصحي».


مجموعة من شباب قاع الريم

تحرير البلدة

يقول جورج سماحة: «لم يكن الشباب قد ارتاحوا من معركة تلّة عفيفة بعد عندما توجّهوا نحو الساعة التاسعة مساء الى قاع الريم إثر ورود أنباء عن دخول السوريين الى الحارة الفوقا وتطويقهم مجموعة من شباب البلدة».

ويروي ابراهيم حداد: «جاءت سيارة مسرعة من قاع الريم يقودها جريس التنوري (أبو بيار) ينقل جريحاً أصيب

في عينه هو يعقوب التنوري وبدأ يصرخ: «السوريون دخلوا الى قاع الريم وسيطروا على الحارة الفوقا»... توجّهت الى قاع الريم، أنا والحنون وسبعة شباب من وحدات أدونيس هم: جوزيف ناصيف (الجعفر) وبوب عواد ومتري الحاج وحنا ابراهيم وعدنان سيف الدين (أبو مارون) وجان خوري (البوي)... أُطلقت على السيارة التي كنّا نستقلها قذيفة ب٧ من قرب ساقية المياه لكنّها لم تصبها. اشتبكنا مع عناصر الكمين الذين هربوا بإتّجاه حزرتا، ثم اكملنا نحو البلدة وسألنا عن غسان التنوري فقال لنا شقيقه طانيوس انه في الحارة الفوقا حيث طوّق السوريون بعض شباب البلدة».

ويروي الحنون: «دلنّا غسان على المواقع التي تقدّم اليها السوريون. كان الليل دامساً، ولم يحصل الاشتباك مباشرة لاننا تخوّفنا من ان يكون هناك عناصر صديقة من مجموعة ملكو المفقودة والتي تاهت في الجرد.. حاولنا مناداة البعض بأسمائهم، لكنَّ النار أُطلقت باتجاهنا، وتبعها قنابل يدوية، وقذيفة ب٧، عندها تأكدنا انهم سوريون لان شباب ملكو عندما غادروا زحلة تُركت معهم فقط اسلحتهم الخفيفة.. تحدّث غسان تنوري مع شقيقه واولاد عمه المطوّقين في منزل امين تنوري طالباً منهم البقاء في الداخل وعدم التحرّك...».



وحدات أدونيس

وُضعت خطة لإقتحام المنزل قضت بأن يلتفّ حنا العتيق وغسان التنوري من الجهة اليسرى حيث ممرّ الجنود السوريين، ويلتفّ بوب عواد ومتري من اليمين، ويُطلق الجعفر وأبو مارون قذيفتي لانشر قبل أن يقتحم بوب حداد وحنا ابراهيم المكان وهما يرميان القنابل اليدوية.

نُفّذت الخطة بحذافيرها، وحصلت اشتباكات عنيفة داخل غرف المنزل وفي محيطه على بعد أمتار قليلة، وتمّ تحرير المنزل من دون وقوع أي اصابة.

نتيجة لذلك، تحرّر ستة شباب من قاع الريم كانوا في الطابق السفلي، فأصبحت المجموعة مؤلفة من ١٤ عنصراً بدأوا بمطاردة الجنود السوريين في أزقّة وبيوت الحي العالي. وبعد نحو خمس ساعات من القتال العنيف، ومع حلول الساعة الثانية فجراً، كانت كلّ منازل القرية قد حُرّرت.

ارتاح المقاتلون لساعتين، ثم قاموا عند الساعة الرابعة فجراً بعملية تمشيط ثانية لمنطقة الاشتباكات للتأكّد من خلوّها من عناصر الوحدات الخاصة ووصلوا الى خزان المياه في أعلى القرية...

ترك السوريون وراءهم عدداً كبيراً من القتلى كانوا وصلوا حديثاً الى لبنان، وقد عُثر مع أحد الجنود على ورقة يانصيب تمّ شراؤها من سوريا قبل يومين.

اتّصل الشباب بالياس الزايك وأبلغوه بما حصل، فتوجّه صباحاً مع جورج سماحة ومجموعة من المقاتلين الى قاع الريم حيث شاهدوا جثث جنود الوحدات الخاصة في أرض المعركة وتفقّدوا المواقع.

كانت غنائم المعركة كبيرة: رشاشات تيغاريف وقاذفات ب ٧ وعدد كبير من بنادق الكلاشينكوف مع ذخائرها...

نزل غسان تنوري الى وادي العرايش وأخبر اهالي قاع الريم أن البلدة حرّرت واستعيدت كل منازلها، وطلب من كلّ من بإمكانه حمل السلاح العودة الى البلدة، فعاد معه نحو مئة رجل، ثم أُقفلت الطريق بإتّجاه قاع الريم.

يقول حنا العتيق: «كان الانسحاب من بلدة قاع الريم ينطوي على خطورة كبيرة جداً، لم يكن أحد يعرف قيمتها الاستراتيجية، فلو سيطر السوريون على البلدة، لكان أصبح البقاء في وادي العرايش مستحيلاً، وبالتالي يصبح دخول الجيش السوري بآلياته ودباباته الى زحلة من جهة الوادي في غاية السهولة... كما أنّ قاع الريم هي التي تزوّد زحلة بالمياه، وقطع المياه عن زحلة يشكّل مأساة حقيقية. إضافة الى أنّها كانت تضمّ عدداً كبيراً من معامل الأجبان والألبان والشوكولا وبعض المواد الغذائية والمزارع التي نُقل قسم منها الى زحلة أثناء الحصار».

أسلحة وتحصين

اعتبرت قاع الريم المنفذ الأهمّ الذي يُمكن أن يدخل منه الجيش السوري الى زحلة (منافذ زحلة هي الكرك - المعلّقة، حوش الأمراء والمدينة الصناعية، قاع الريم - وادي العرايش)، وكان سقوطها سيؤدّي بسرعة الى سقوط المدينة، لذلك أُوكلت مهمّة صمودها وقيادتها وتحصينها الى وحدات أدونيس.


حنا ابراهيم وغسان التنوري

يقول أحد المقاتلين في البلدة: «لم يكن بالإمكان إيجاد ملاجىء محصّنة في قاع الريم، فكلّ منازلها قروية وأكبرها يتألّف من طبقتين، وهي عملياً ساقطة عسكرياً إذ لم يكن الوصول اليها ممكناً إلاّ ليلاً وتسلّلاً عبر النهر، حيث كانت تُنصب الكمائن. فالجريح في قاع الريم كان قتيلاً لأن إمكانية إجلائه صعبة جداً ويجب حمله ليلاً في طريق محفوف بالمخاطر، حتى أنّه كان يتمّ في بعض الأوقات دحرجة صخور على مجرى النهر من تلّة الصليب فوق البلدة. وعلى هذه التلة أنزلت المروحيات السورية قوات خاصة قنّصت جورج صليبا برصاصة في ظهره قبل ان نكتشف ان السوريين سيطروا عليها...».

بعد إحكام الطوق على قاع الريم من الجهات الاربع وإقفال كل منافذها، توقّف التحرّك نهاراً ووضع حنا العتيق خطة متكاملة لتحصينها بشكل دائري، فأقيم مركز تحت تلّة

الصليب بقيادة أبو ناجي، يؤازره موقع يبعد عنه نحو ٢٠٠ متر شرقاً. وأقيمت نقطة مدعّمة في حارة آل التنوري بقيادة غسان حيث حصلت معركة استعادة البلدة، وتمّ تحصين موقع «ڤيلا المهندس» ومنزل أمين تنوري، وتولّى جان خوري (البوي) قيادة أخطر المواقع على الجبهة الشرقية - فحفر شباب البلدة الخنادق وزُرعت الألغام والأفخاخ حتى بات مستحيلاً التقدّم من هذه الناحية.



جان خوري (البوي)

أقيم موقع قرب معمل ريم للمياه، ومركز في معمل الشوكولا في محاذاة معمل ريم، وهذا المركز كان يتعرّض دائماً للقصف والرمايات ويتلقّى يومياً نحو ٤٠ قذيفة ب٧.

حُصّن مركز آل الديك قرب النهر، وأقيمت نقطة في معمل ميموزا بقيادة الياس المر أوقفت عمليات تسلّل عدة.

أما مركز قيادة الجبهة، فكان في وسط البلدة بقيادة الحنون ووحدات أدونيس الذين زرعوا عدداً كبيراً من الألغام والتفخيخات في الأماكن الخطرة، ومنها «ڤيلا المهندس» التي كانت تتعرّض دائماً لعمليات تسلّل، كما كانوا يتدخّلون عند حصول أيّ خرق في المواقع الأخرى.

حُفرت الخنادق حول البلدة بشكل دائري وبسرعة قياسية، وكان بعضها بطول مئة متر وبإرتفاع نحو مترين يسير فيها المقاتل بسهولة حاملاً سلاحه وجعبته... وكانت عمليات تبديل العناصر في كلّ المواقع تتمّ ليلاً لأنّ الحركة في النهار مستحيلة.

استعادة السلاح

عند بدء حرب زحلة، خبأ شباب قاع الريم، الذين اضطروا الى الانسحاب من الجرد، أسلحة متوسّطة وذخائر في الحقول المحيطة بالقرية، وتقرّر بعد حصار البلدة استعادتها لحاجتها في عملية الدفاع.

تسلّل غسان وعقل التنوري مع عدد من الشباب ليلاً الى الكروم حيث خبئت الأسلحة تحت دوالي العنب، وبينها رشاش دوشكا ومدفع هاون مع ٣٠ قذيفة ومضاد ١٤،٥ والكثير من الذخائر... حملوها ليلاً الى أقرب نقطة ممكنة من البلدة ثم خبّأوها من جديد، وانسحبوا بسرعة قبل انبلاج الفجر كي لا يُكشف أمرهم.

في الليلة التالية، كرّروا العملية وأحضروا الأسلحة والذخائر كلها.

نُصب المضاد في خندق حفره غسان بإتّجاه مواقع السوريين في حزرتا بحيث لا تتمكّن الدبابات من إصابته، فيما قام عقل بنصب مدفع الهاون في مكان آمن ووجّهه نحو تلة الصليب حيث يتمركز السوريون. وبذلك اكتمل تحصين مراكز قاع الريم ومتاريسها التي حماها نحو ١٠٠ رجل من البلدة. كما أصبح الطريق الوحيد لتقدّم الدبابات السورية عبر حزرتا مقطوعاً بالنار، أما هجمات المشاة فكان يَسهل صدّها ولم تكن تجدي نفعاً بعدما زنّرت البلدة بالألغام والخنادق.

طريق قاع الريم

سيطر السوريون على الطريق من والى قاع الريم بالنار، وكان المقاتلون يسلكونه ليلاً سيراً على الأقدام في مجرى النهر حتى وادي العرايش (طول الطريق بين الوادي وقاع الريم ٤ كلم)، وكانوا يتعرّضون في أوقات كثيرة لرشقات الرصاص وللقنابل اليدوية والقذائف عندما يحسّ السوريون بأي حركة على ضفّتي النهر.

ولحماية جزء من الطريق من الكمائن، قام سامي الغصيّن ومارون أبو زيد في خلال ثلاثة أيام ببناء وتحصين متراس فوق مراح العلم على الطريق بين قاع الريم والوادي، وأمّن ابراهيم حداد مجموعة عسكرية أقامت نقطة ثابتة هناك سُمّيت متراس أبو زيد، فزال نصف الخطر تقريباً، وكان يتمّ تبديل وحدات أدونيس كل ٤٨ ساعة، بعدما انقسموا الى مجموعتين، الأولى في قاع الريم والثانية في زحلة.

يقول روبير عواد: «عندما كنّا مضطرين للتبديل في ضوء القمر، كنا نسير في قلب النهر لأن السوريين كانوا يسيطرون على التلال المحيطة بالطريق ويتحكّمون بها بالنار.. كان همنا الأول ألا يصاب أحد منّا لأنّه علينا إنتظار حلول الليل لنتمكن من نقله وبصعوبة الى وادي العرايش ومن ثم الى زحلة. وقام عناصر الوحدات الخاصة السورية بنصب كمين بعدما تسلّلوا من حزّرتا في طريق قدم عبر بساتين الكرز، وكمنوا بين قاع الريم ووادي العرايش. إثر ذلك، نزلنا أنا والحنون وجان خوري وحنا ابراهيم ليلاً الى حيث كانوا يكمنون وفخّخنا الطريق المؤدّي إلى نقطة الكمين. وفي اليوم التالي، انفجرت بعض الألغام بهم ولم يعد بإمكانهم النزول، ثم وضعت نقطة ثابتة بين قاع الريم ووادي العرايش لحماية الطريق».

وشبّه الحنون ظروف وواقع معركة قاع الريم بمعركة بلدة قنات في قضاء بشري شمال لبنان (معركة قنات بتفاصيلها ووقائعها في الجزء الأول من معارك سوريا في لبنان)، وقال: «كانت قنات أصعب كثيراً، لكنّ مدة المعركة كانت أقصر وسقطت البلدة في نهايتها، والطريق بين قنات ونيحا شبيهة بالطريق بين قاع الريم ووادي العرايش».

المياه

قبل بدء الحرب بيومين، شاهد فرحات التنوري ضباطاً سوريين يتفقّدون نبع المياه الذي يغذّي زحلة والقسطل الذي يمتدّ الى المدينة (نبع طبيعي يضخّ ١٢ انشاً من المياه الى زحلة). فالسوريون كانوا يدركون أهمية المياه التي تغذّي زحلة وتأثيرها على صمود المدينة. استنفر شباب قاع الريم ووضعوا، بعد رحيل الضباط السوريين، نقطة ثابتة ومحصّنة في معمل دولسي القريب من النبع، بينما تمركز الجيش السوري في معمل مياه الريم المواجه والذي كان قيد الانشاء...

ويروي الحنون: «قام السوريون، بعد فشل سيطرتهم على قاع الريم بنحو شهرٍ تقريباً، بتفجير قسطل المياه[1] الذي يغذّي زحلة بين قاع الريم ووادي العرايش، فانقطعت المياه عن المدينة ليومين، قبل أن يبلّغنا أحد موظفي المياه بأن هناك قسطلاً احتياطياً بديلاً من الشبكة القديمة، وأنّه بامكانه اعادة تحويل المياه عبره الى زحلة. رافقنا الموظف ليلاً الى المحوّل، فأعاد تحويل المياه الى المدينة، ثم قمت بتفخيخ محيط القسطل والمحوّل، وتركت طريقاً اليه لا يعرفه سوى الموظف، وقد انفجرت بالفعل بعض الألغام عندما حاول السوريون التقدّم الى تلك المنطقة».

(١) ورد في صحيفة «النهار» - الاحد ١٧ ايار ١٩٨١: «اعلنت وسائل الإعلام والصحف أن المياه قُطعت عن مدينة زحلة نهائياً منذ ثلاثة ايام بسبب إصابة القسطل الذي يغذّي خزانات مصلحة المياه، وذلك بسبب القصف أو تفجير حصل في بلدة قاع الريم. ولا يمكن لفنّيو مصلحة المياه الوصول الى مكان العطل بسبب رصاص القنص والقصف، ويهدّد استمرار انقطاع المياه عن زحلة بكارثة جماعية والتسبب في تفاقم انتشار الامراض الوبائية في المدينة.

في ١٧ أيار أيضاً، نظّم أهالي قاع الريم في بيروت مسيرة سيّارة الى القصر الجمهوري في بعبدا وقابل وفد منهم الرئيس الياس سركيس في حضور وزير الإعلام ميشال اده وطالبوا بانقاذ بلدتهم وفك الحصار عنها.

قرب معمل ريم للمياه في البلدة، يقع منزل اندريه عبدالله التنوري، وهو نقطة خطرة يحيطها مركز سوري متقدّم، ما اضطرّه وأهله الى ترك المنزل على عجل بعد تقدّم السوريين في الأيام الأولى للحرب، تاركين فيه حلى ومجوهرات..

تخوّف اندريه من دخول السوريين الى البيت وأخذ المجوهرات منه، فقام في إحدى الليالي الظلماء، ومن دون إعلام أحد، بالتسلّل الى المنزل... وبدأ بالتفتيش عن مراده من دون أن يلاحظ ان الجنود السوريين القريبين تنبّهوا لوجوده بعدما أصدر أصواتاً استنفرتهم... وما هي الا دقائق، حتى أمطروا المنزل بالرصاص، فأصيب اندريه في صدره وبدأ يصرخ وينادي رفاقه لانقاذه... كان الليل قد انتصف عندما طلب شباب قاع الريم من حنا العتيق نجدتهم لإنقاذ اندريه المصاب والمحاصر لأن السوريين يسيطرون على منزله بالنار...

كانت إصابة اندريه خطيرة واحتاج سحبه الى عملية عسكرية أكثر خطورة.

تقدّم الحنون مع مجموعة من ستة مقاتلين دخلوا زحفاً وبحذر شديد، من دون إثارة إنتباه السوريين، الى منزل اندريه الذي فقد وعيه، ووضعوه على محمل للجرحى أحضروه معهم، وطلب الحنون من أربعة شباب الركض به بأقصى سرعة لمسافة نحو مئة متر ليصلوا الى مكان آمن، وذلك بالتزامن مع فتحه وحنا ابراهيم النيران على السوريين من مكان محاذٍ لإلهائهم.

ردّ السوريون على مصدر إطلاق الرصاص البعيد نسبياً عن خطّ سير الشباب الذين تمكّنوا من اجتياز المسافة المطلوبة من دون أن يصابوا، ثم بدأ القصف العنيف على البلدة بعدما ظنّ السوريون ان هناك عملية تسلّل باتجاه مواقعهم.

نقل غسان التنوري نسيبه اندريه بواسطة سيارة بويك أميركية قديمة مصفّحة للحالات الطارئة[1]، فوصل الجريح الى مستوصف الصليب الأحمر في زحلة شبه ميت وضغطه صفر.

تولّى إجراء العملية الجراحية الدكتور انطوان أبو سليمان الذي طلب دماً فتأمّن، ثم طلب إحضار أوكسيجين بصورة عاجلة لإنقاذ اندريه...

كان الأوكسيجين متوفّراً فقط في مستشفى تلّ شيحا، لكنّ الطريق الى هناك كانت مقطوعة بالنار وعرضة لرمايات متواصلة وقصف... اتّصل غسان التنوري بالمستشفى طالباً تجهيز عبوتي أوكسيجين، فقال له الدكتور أبو سليمان: «يا غسان، لا يمكنك الوصول الى تل شيحا، لا نستطيع ان ننقذ شخصاً ونقتل في المقابل شخصاً آخر..».

لكنّ غسان انطلق بسيارة مرسيدس مسابقاً الرصاص المنهمر على طريقه... مرّ تحت تمثال السيدة العذراء حيث يتمركز السوريون من دون أن يصاب... ووصل الى تلّ شيحا وعاد بعبوتي أوكسيجين بالطريقة نفسها مخاطراً بحياته وسط ذهول الجميع.

أجريت لاندريه التنوري عملية جراحية صعبة، وتمّ إنقاذ حياته وهو اليوم يتمتّع بصحة جيدة.

أكّد الدكتور أبو سليمان في حديث لمجلة «وطني» العام ١٩٨١ ان العملية التي أجريت لاندريه التنوري هي عجيبة إلهية وقال: «أجريت عملية لمصاب من قاع الريم جيء به على أساس أنه مصاب في الرئة اليسرى. وبعد إجراء الإسعافات الأولية، باشرت بالعملية، ففوجئت بأن الإصابة كانت في الرئة والقلب معاً إذ أصابت الرصاصة ثلثي العضل الأيسر من القلب، وكاد ان ينقطع الشريان التاجي الأيسر الذي يغذّي عضل القلب... في غضون ساعتين ونصف كنت قد انتهيت من العملية. وبعد ترك مقاتلي القوات اللبنانية زحلة، قرأت في «الريفي دي ليبان» (مجلة تصدر في لبنان باللغة الفرنسية) مقالاً عن هذه العملية الخطيرة... المصاب ما زال حياً وبحالة طبيعية ويمكنني القول أنها المرّة الأولى في لبنان والعالم كلّه، يقطّب القلب وتنجح العملية في ظروف غير طبيعية وفي مستشفى غير مجهز، أستطيع القول ان نجاح العملية كان معجزة، كان أعجوبة إلهية».

(١) تمّ تصفيحها في معمل ميموزا بألواح حديد ٤ ملم، وخُصّصت لنقل الجرحى في الحالات الطارئة جداً.

بقيت لكم الكرامة

بعد نحو شهر ونصف على بدء المعارك، تداعى بعض وجهاء قاع الريم الذين كانوا يساعدون الشباب في حراسة المتاريس الى اجتماع ليلي في منزل مختار البلدة وطلبوا من طنوس التنوري ابلاغ حنا العتيق بأنّهم يريدون التحدث اليه كونه المسؤول العسكري عن البلدة.

علم العتيق انهم سيطرحون عليه إمكانية تسليم البلدة لأنّه لم يعد بامكانهم الصمود في ظلّ الدمار والحصار، ولأن كل المنازل أصيبت، ومعظمها لم يعد صالحاً للسكن، كما أن البلدة لا يشملها وقف اطلاق النار الذي يحصل في زحلة والحركة فيها أصبحت مستحيلة نهاراً.

ردّ الحنون على طنوس التنوري بإستياء وغضب، وأبلغه أنّ تسليم البلدة مستحيل، وهذا يعني أنّ هناك من يتّصل بالسوريين لهذه الغاية قائلاً له انه سيلحق به الى حيث الاجتماع.

يتذكّر الحنون: «اعتبرت من هذه اللحظات أنّ كلّ ما قمنا به سيذهب أدراج الرياح، إذ لا يمكن أن ينتهي صمود البلدة لشهر ونصف بالتسليم والهزيمة، كما أنّ على صمودنا في قاع الريم يتوقّف صمود مدينة زحلة... حملت سلاحي وانطلقت الى الاجتماع ومعي وليم بدر.

وفور دخولي، سألت بلهجة حاسمة: «ما الأمر لماذا تريدون الاجتماع بنا؟». ساد صمت خرقه صوت رجل كبير السن يناديه الشباب العمّ عيد وقال: «يا عمي، نحنا طلبناكم لكي نعرف رأي القيادة في زحلة وفي بيروت بقاع الريم. فنحن أصبحنا هنا لوحدنا مقطوعين عن العالم لا يهتمّ بنا أحد، ونحن يعتبروننا من قطاع الجرد، لا يدخل الينا أي مساعدات غذائية أو طبية، ولا يشملنا أيّ حلّ يحصل في زحلة، والبلدة تهدّمت بالكامل، وإمكانية الدفاع عنها صعبة ومستحيلة. لذلك نريد أن نعرف ما هو رأي القيادة بما يجري»».

أجاب الحنون بحزم: «رأيي هو رأي القيادة، فأنا أمثّل القيادة في البلدة... كم شهيد وجريح من البلدة سقطوا حتى الآن؟» (لم يكن سقط من أبناء البلدة سوى شهيد واحد وعدد من الجرحى).

ولمّا لم يجبه أحد، تابع الحنون: «ان نسبة الخسائر في الأرواح حتى الساعة لا تُذكر مقارنة مع ما شهدته البلدة، أمّا بالنسبة الى الدمار، فصحيح البلدة تهدّمت بالكامل ولم يعد بالإمكان إنقاذ أي منزل، ولا يمكن إعادة بنائها الآن».



حنا العتيق

ثم سألت المجتمعين: «ماذا بقي لكم».
أجابوا: «لا شيء».
فردّيت بصوت عال: «لا، بل بقيت لكم كرامتكم. فإما تحافظون عليها، أو تسلمونها، وهذا القرار يعود لكم وليس لنا. ولكن نحن سنبقى هنا واذا شاهدتموني أو شاهدتم أحداً من رفاقي يغادر البلدة أطلقوا النار عليه في ظهره، وهذا أمر منّي، لأنّ من يتخلى منّا عن المهمّة التي جاء من أجلها هو خائن. فأنا لست ابن قاع الريم، ولكنّي جئت الى هنا لكي أبقى، وسأبقى هنا ولو لوحدي حتى أموت. ومن يريد البقاء بكرامته، فليصعد الى متراسه والى موقعه في الجبهة، ومن يريد المغادرة الى زحلة، فليرحل الآن من دون التفكير بالعودة الى البلدة. القرار لكم، فإما نراكم في المتاريس، أو نراكم بعد نهاية الحرب، اذا بقينا على قيد الحياة. ويعطيكم العافية».

خرج الحنون من الاجتماع، فلحقه نحو ثلاثين شخصاً وساروا مباشرة الى المراكز حول البلدة واستمرّوا يحرسون بكلّ التزام وبسالة حتى نهاية الحرب، ولم يعد أحد من رجال أو شباب قاع الريم يتأفّف أو يتذمّر أو يطلب الراحة أو حتى إجازة لزيارة عائلته وأهله في وادي العرايش أو في زحلة.

يؤكد أحد المسؤولين العسكريين في حرب زحلة أنّ قاع الريم شكّلت قمّة البطولة في الحرب، وصمد رجالها حتى اليوم الأخير، وسطّروا بطولات على متاريسها، و كانوا متضامنين متآزرين، كما كانوا بمثابة أهل للمقاتلين الذين جاؤوا لمساعدتهم.

ويعتبر أحد مقاتلي البلدة أن قوة رهيبة تملكّتهم لتنظيم أنفسهم، فكانت قدراتهم عجيبة علماً أنّ معظم الأسلحة كانت بدائية، والتزم شباب ورجال القرية بالأوامر والتعليمات بحذافيرها فلم يكن أحد يخاطر بالتنقّل في الأماكن المكشوفة نهاراً، ولم يصب أي شاب بسبب الاستهتار أو التهوّر، رغم أن عدداً منهم أُصيب في المواجهات وكانت إصابات البعض خطيرة...

حاول السوريون كثيراً التسلّل والتقدّم نحو البلدة، لكنّ الشباب كانوا يصدّونهم، فأيقنوا بعد مدّة أنّ التوغّل داخل قاع الريم مستحيل بسبب التحصينات والألغام والتفخيخات التي زنّرت البلدة، فكانوا يلجأون الى القصف المدمّر. ومع نهاية الحرب، كان المنزل الأقل ضرراً مصاباً بأكثر من عشر قذائف.

السوريون في تلّة الصليب تحكّموا بكلّ أحياء قاع الريم

الميلان والمضاد والدبابات

كانت قذائف الدبابات المتمركزة على ضهور حزرتا مؤذية جداً لمعظم مواقع وبيوت قاع الريم، ولم تكن البلدة تستفيد كما زحلة من مدافع الميدان في جرود كسروان والمتن، اذ لم يكن باستطاعتها إصابة نقاط تواجد السوريين في محيط البلدة. تباحث الحنون مع جو اده والقيادة في زحلة لمساعدته في حلّ هذه المشكلة، ثم نزل غسان التنوري والتقى حلمي الشرتوني شارحاً له وضع الدبابات على مطلّ حزّرتا، فأكّد له حلمي أنّ بإمكانه معالجتها، ولكن سيترتب على ذلك عواقب، فالمنطقة ستتعرّض للتدمير... صعد حلمي ليلاً، ورُكّز الميلان في منزل عقد قديم كان زريبة للحيوانات، وبعيداً نسبياً عن البلدة ولم يكن قد تعرّض بعد للقصف والقنص.

تمركز حلمي هناك، وانتظر ظهور الدبابات، وما أن أطلّت إحداها عند الفجر، حتى رماها بصاروخ أصابها مباشرة، فتفجرّت بمن فيها، ثم انهمرت القذائف على قاع الريم بشكل لا يوصف، واستمرّ القصف طوال النهار... ولكنّ منذ ذلك الوقت، خفّت حركة الدبابات بشكل كبير ولم تعد تتنقّل بشكل مريح.

وعلى مطلّ حزرتا، نصب السوريون أيضاً مضاداً كان يستهدف كلّ مراكز ومنازل قاع الريم، ويسجّل إصابات دقيقة، مانعاً أيّ تحرّك في البلدة. طلب روبير عواد وحنا ابراهيم من الحنون أن يسمح لهما بالصعود لضربه بمدفع كارل غوستاف، فانطلقا ركضاً من قاع الريم بإتّجاه نبع المياه الى مركز «أبو طافش» تحت زخّات القنص التي كانت تستهدفهما من تلّة الصليب، ووصلا الى أسفل الكنيسة حيث يظهر المضاد بوضوح، فرماه روبير بقذيفة واحدة كانت كافية لتدميره وإصابة الرامي معه فزال خطره نهائياً.

محطات من قاع الريم

- لم تشهد قاع الريم أي هدنة خلال الحرب، ولم تكن مشمولة بوقف إطلاق النار الذي يتّفق عليه في مدينة زحلة، بحجة انّها بحسب الخرائط القديمة، تابعة لجبل لبنان وليس للبقاع... كما اعتبرها السوريون تابعة لقطاع الجرد، وبالتالي كان اتفاق وقف النار يسري فقط على زحلة. وقد حوصرت قاع الريم لوحدها، وحوصرت أيضاً مع زحلة.

- صادر شباب قاع الريم وحوش الأمراء السيارة المصفّحة للوزير جوزيف سكاف، وكانوا ينقلون الجرحى والأكل فيها من قاع الريم الى وادي العرايش وبالعكس. وقد تدخّل الشيخ بيار الجميل لإعادتها، لكنّ بشير الجميل طلب من الحنون إبقاء السيارة بحوزتهم حتى إنتهاء الحرب... وقد أنقذت السيارة حياة الكثيرين ممن أصيبوا وكانوا بحاجة لتلقي العلاج.

- كانت قاع الريم تضمّ عدداً كبيراً من المصانع منها معملي الشوكولا cavalier و soir du liban ، ومعامل ألبان وأجبان ومزارع دجاج... شكّلت غذاءً للمقاتلين ولقسم من أهالي وادي العرايش وزحلة.

كما أن موسم الكرز كان جيداً... ويتذكّر المقاتلون وجبات البيض المقلي مع الثوم الاخضر التي كان يعدّها لهم عقل التنوري...

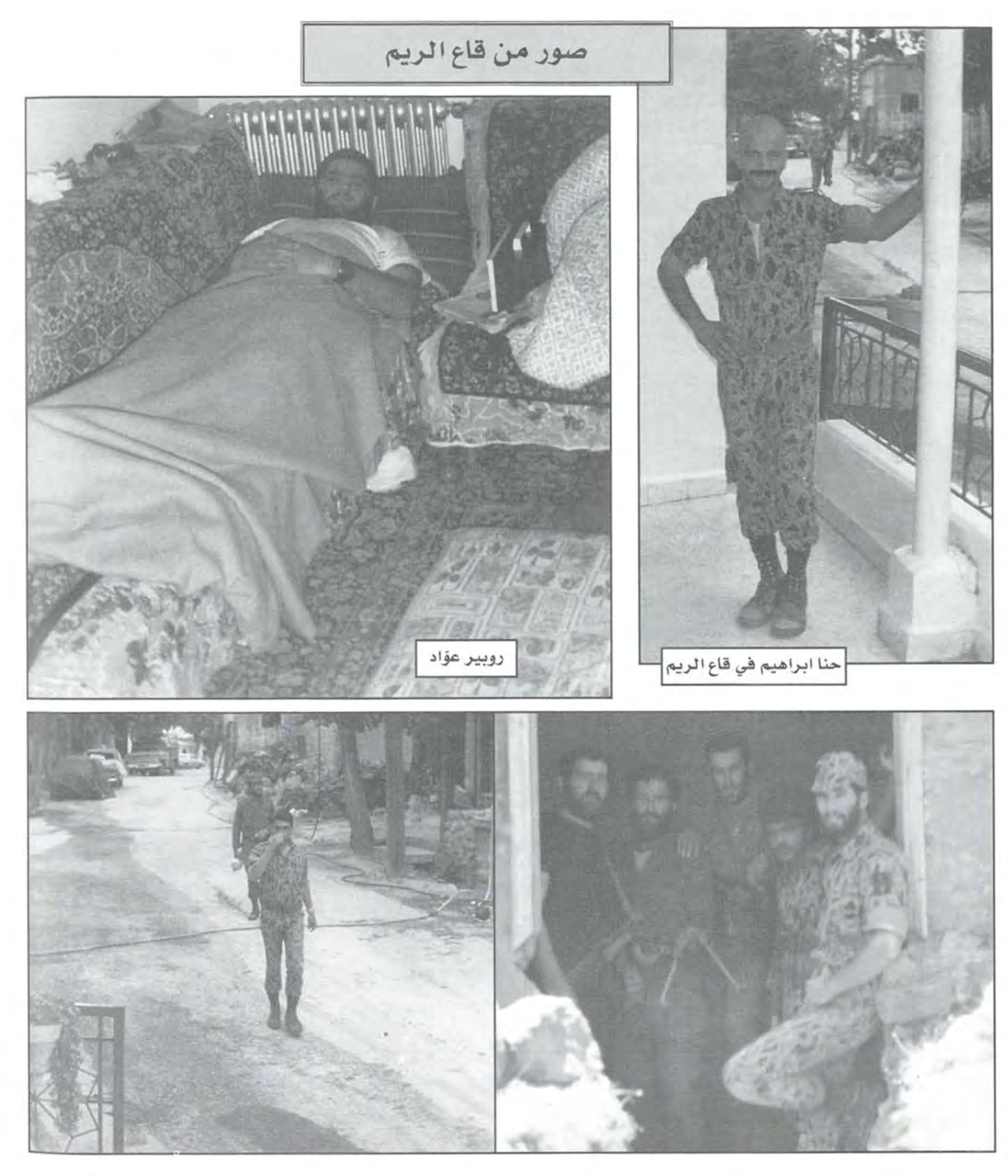
- لم يترك أصحاب معمل ميموزا مصنعهم طيلة المعارك، وقد أخمدوا النيران التي اندلعت فيه جراء القذائف أكثر من مرة، ولو لم يكونوا داخل المعمل لأتت النيران على كلّ محتوياته. وكان الشباب يتردّدون على أصحاب المعمل، ويساعدونهم ويؤمّنون لهم ما يحتاجون.

- دمّر في خلال الحرب قسم من مصانع قاع الريم، وتعرّض مصنع «دولسي» المخصّص للأجبان والألبان وللشوكولا، والذي أنشئ العام ١٩٧٣ باسم الياس التنوري، لنحو ٤٠٠ قذيفة آر بي جي ودبابة.

- توحّدت كلّ الأحزاب (حراس الأرز، أحرار، كتائب) للدفاع عن قاع الريم، وبرز من المقاتلين الياس المر وغسان ويعقوب وعبدو وطانيوس وموسى التنوري، وراجي عنتر، وفرحات، وآل العلم وآل الرياشي وجريس صليبا...، وكان

غسان التنوري المسؤول الميداني عن شباب قاع الريم...

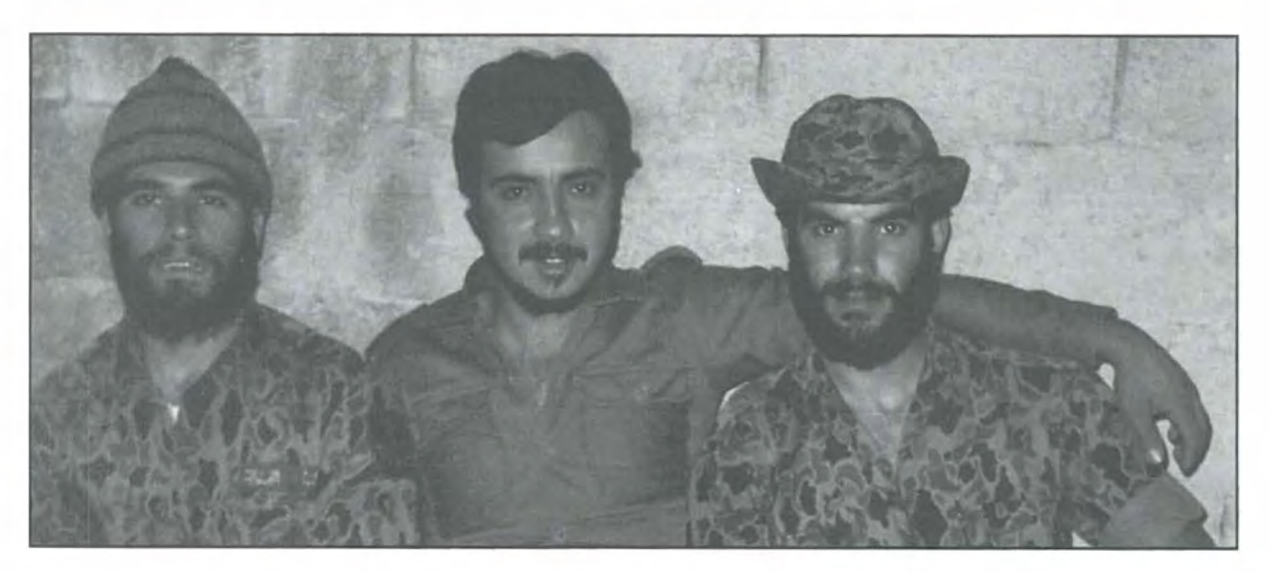
- أُصيب عدد من رجال البلدة أكثر من مرة خلال الحرب، وكانوا يعودون الى القتال بعد المعالجة... فيما فقد الياس الكفوري بصره بعد إصابته بقذيفة... وأعطبت يد جريس صليبا وأصيب وديع التنوري وتوفي بعد فترة... كما قتلت فتاة من قاع الريم برصاص القنص.



صور من قاع الريم

روبير عوّاد

حنا ابراهيم في قاع الريم



صور
من
قاع
الريم

الدفاع عن الدار

بعد فشل إسقاط المدينة، فشلت أيضاً كلّ المحاولات الرامية لإحلال قوات من الجيش اللبناني وقوى الأمن الداخلي مكان القوات السورية، بعدما وضع عبد الحليم خدام جملة شروط لإنهاء الإشكالات الأمنية الحاصلة مع القوات اللبنانية وهي: أن تكون وحدات الجيش اللبناني من ثكنة أبلح، وأن تعمل تحت أمرة القوات السورية، وأن يكون لسوريا حق «الفيتو» على كل عنصر من عناصرها، وكذلك حقّ الاطلاع على نقل أي عنصر في مراحل لاحقة... وأن تسيطر القوات السورية على كلّ التلال المحيطة بالمدينة، وأن تظلّ تشرف على الحدود المطلّة على البقاع، وأن تتسلّم الطرق الدولية... وأن يخرج مسلّحو الكتائب من زحلة مع الإمتناع الكلّي عن تخزين أي سلاح فيها.

... وفوق هذا كلّه اشترطت دمشق أن يصدر حزب الكتائب بياناً ينفي صفة الإحتلال عن القوات السورية وعدم المطالبة بأي إنسحاب سوري، واعتبار الخط الممتد من جزين الى شتورة ومدخل زحلة وبعلبك والهرمل خطاً أحمر سورياً!

رفضت القوات اللبنانية الشروط السورية بشدّة، ولم يكن سهلاً على حزب الكتائب القبول بهذه الشروط، ولا إصدار بيان يعتبر فيه ان القوات السورية شرعية وليست محتلة. ثمّ قام وزير الخارجية اللبنانية فؤاد بطرس، بمسعى لدى سفير الاتحاد السوفياتي ألكسندر سولداتوف من دون التوصل الى نتيجة. بعد ذلك، حاول النائب والوزير الياس الهرواي محاولة أخيرة لدى دمشق لوقف إطلاق النّار، فعاد منها بإصرار سوري على أن تتسلّم وحدة الجيش في أبلح[1] الأمن في زحلة، وان تُوضع تحت قيادة دمشق مباشرة.

اعتبر بشير الجميل الشروط السورية تعجيزية ورفضها بشدة وتخوّف كثيراً من هجوم وشيك وحاسم على زحلة. وبدأت القوات اللبنانية تستعد لهذا الاحتمال. وعمل المدافعون على سد كل الثغرات وإعادة تحصين محاور القتال بعد تجارب الأيام الأولى، فنُظّمت الصفوف من جديد، وجُمعت كلّ الطاقات، ووُضعت خطة دفاعية تلحظ فقط المحافظة على المواقع ومنع تقدّم السوريين على أي محور.



عبد الحليم خدام والشروط التعجيزية



بشير الجميّل يرفض ويتخوّف من الإجتياح

(١) وحدة أبلح كتيبة إستطلاع كانت تُدعى «جيش الطلائع» وهي موالية تماماً للسوريين.

تحصين الجسر- المعلّقة

شكّلت الدبابات التي أُعطبت في اليومين الأولين للحرب حاجزاً أمام أي تقدّم سوري... ولكن عند سحب الآليات المعطوبة[1]، عاد الخطر يرتسم من جديد على طريق الجسر- المعلقة.

كان يفصل السوريين عن وسط زحلة نحو ٤٠٠ متر فقط، لذلك كان محور المعلّقة مهماً جداً، ويشكّل الخطر الأكبر على المدينة.

استعان شباب المعلّقة بخبرات وحدات الدفاع الذين كان قسم منهم يتواجد في زحلة بعدما انقسموا مجموعتين الأولى في قاع الريم والثانية في كازينو عرابي ...

وضع شباب الوحدات ليلاً ألغاماً على طريق الجسر لمنع تقدّم الدبّابات من جديد، ولكن مع الفجر، نفّذ السوريون رمايات بقذائف الـ«ب ٧» والأسلحة الرشاشة على هذه الألغام، ففجّروا معظمها وعاد الخطر ليرتسم من جديد.


شباب المعلّقة

يروي أحد المسؤولين العسكريين في المعلقة: «طلب منّا حنا العتيق تجميع أكبر عدد من إطارات السيارات المطاطية من مختلف أحياء زحلة.. وفي الليلة التالية، كان الشباب جمعوا نحو ٢٠٠ إطار تمّ وضعها ليلاً وسط الطريق حيث فجّر السوريون الألغام. ثم قام الحنون بوضع نحو ٢٠ لغماً للآليات داخل بعض الإطارات... حاول السوريون قصف الدواليب لظنّهم أنها مليئة بالألغام، ففجّروا لغمين فقط. وباتت الطريق مقفلة ومحصنة بالألغام...».

(١) طالب السوريون في ١٣ نيسان بوقف إطلاق نار لمدّة ٢٤ ساعة لسحب عشر دبابات معطوبة من منطقة الجسر مقابل إدخال مؤن ومواد غذائية وطبّية الى المدينة. سحبت الدبابات ونقلت على شاحنات إلى سوريا وكتبوا عليها «القوات اللبنانية» لكي يبيّنوا لمواطنيهم أنّ هذه الدبابات أعطبت للقوات في زحلة، فيما بقيت الدبابات التي أعطبت في المعلّقة في أرض المعركة لفترة طويلة.

ويضيف بول الحاج: «ساعدنا الحنون وجان خوري على تفخيخ بناية تشكّل خطراً تحت الطريق الرئيسي، وكانت التفخيخات كهربائية وبواسطة الأسلاك... ولكن واجهتنا مشكلة في تفخيخ الأزقّة المصبوبة بالباطون، الى أن طلب منّا الحنون إحضار عدد كبير من الألواح المعدنية (توتيا)... وقام بوضع الألغام تحتها ووزّعها على الطرقات في الأحياء التي يمكن التسلّل عبرها .. وأصبح من شأن أي دوس على هذه الألواح أن يفجّر الألغام... كما أنّ الصوت والجلبة التي كانت تصدرها، شكّلت جرس إنذار لنا... لكن الهررة والفئران كانت تسير عليها في أوقات كثيرة فنستنفر ظنّاً ان هناك تسلّل».

يتذكّر أحد مسؤولي المعلّقة «أنّ السوريين تمركزوا في بناية «شيبان» وهي نقطة مهمة، فأبلغنا القيادة بأننا مستعدون لمهاجمتها واستعادتها، وقد وضعنا خطة لتنفيذ هذه العملية. فكان الجواب ببرقية واضحة وحازمة: «أبقوا في مواقعكم وحافظوا عليها فقط وامنعوهم من التقدم...»».

ويقول جورج قزي: «التعليمات في حرب زحلة كانت واضحة، وهي التشديد على أن تكون كلّ امكاناتنا دفاعية فقط من دون هدر أي مجهود في أي عملية تقدّم أو هجوم على المواقع السورية مع أنه كان بإمكاننا أذيتهم في بعض الأحيان... ولكن قدراتهم كانت تسمح لهم بالهجوم، وقدراتنا لم تكن تسمح الا بعملية دفاع. فكان الهدف تقنين استعمال الذخيرة وتقنين الإصابات وعدم هدر أي طاقة من دون فائدة...».

قطاع العقرب


سليمان الحاج موسى

تولى هذا القطاع سليمان الحاج موسى من وحدات المغاوير، وامتدت جبهته من تمثال العذراء حتى حزرتا. كان وضع هذه المنطقة صعباً لأنّ المقاتل كان مضطراً للمواجهة بعيداً عن منزله.

كانت قيادة قطاع العقرب[1] في دير مار الياس الطّوق، وهي نقطة مهمة قريبة من كل المتاريس.

ويروي سليمان الحاج موسى محاولة السوريين احتلال تلة العقرب الذي كان يعني سقوطها دخول السوريين الى قطاع واسع من المدينة: «تعرّضت التلّة لقصف عنيف، وأبلغوني أنّ السوريين هاجموها وسقطت في أيديهم... ركضت (ومعي حبيب الأبري) تحت القصف والرصاص من دير مار الياس الطوق الى أعلى التلة... كان الوضع خطيراً جداً، وكنت ركّزت رشاش دوشكا قرب بيت جريجيري بإمكانه اطلاق النار على مواقع السوريين، كما كان لدينا مدفع «ب ١٠» صفّرناه على نقطة قد تتقدّم منها الآليات.

تولّى حبيب الابري إطلاق النار من الدوشكا على أماكن تقدّم السوريين، وأطلق مدفع الـ«ب١٠» قذائف عدّة، فيما صعدت أنا الى التلة مع بعض الشباب... أجبرنا على إطلاق قذائف الـ«ب ٧» من دون تأمين التراجع الضروري وهو أقلّه ١٥ متراً لأنّ شهب القذيفة يصبح مؤذياً... وصلنا الى غرفة المراقبة تحت الرصاص لنجد الشابين منير جورج الابري وميشال خليل برّاك مضرجين بالدماء بعدما أصابتهما قذيفة هاون مباشرة ...».

ويتابع الحاج موسى: «لم يكن مسموحاً سقوط تلّة العقرب لأنها استراتيجية، وقد تمّ تحصينها وأُقيم فيها أكثر من خط دفاع، ولم يكن باستطاعة السوريين دخولها الا اذا انسحبنا نحن منها...

---

(١) سمّى سليمان الحاج موسى منطقته قطاع وتلّة العقرب لأنه هو من برج العقرب. ولم يكن أحد يعلم أنّ هذا هو سبب تسميتها... وما زالت تعرف بهذا الاسم حتى اليوم...

بعد تراجع الهجوم، أقمنا حقل ألغام واسع، وفخّخت كل المنطقة التي يمكن أن يسلكها المهاجمون... وأصيب معنا شاب من آل الكفوري في الراسية الفوقا، ولم نستطع سحبه طوال النهار فنزف حتى الموت...».

سور المنزل

كان على كلّ رجل الدفاع عن حياض بيته وحيّه وتحصين جبهته، وهذا الأمر ولّد قدرة مضاعفة على المقاومة. فأبناء المعلّقة والميدان والحمّار وبيت البعيني والماردينيين والسريان في المدينة الصناعية... كانوا يقاتلون لكي لا يدخل الجيش السوري الى منازلهم... وأبناء حوش الأمراء كانوا مجبرين على الصمود على طريق الشام الدولية دفاعاً عن بيوتهم، لذلك استمرّت عملية حفر الخنادق بوسائل بدائية وامتدت مثلاً بين الحوش والمدينة الصناعية لآلاف الأمتار وساعد في ذلك طبيعة الأرض الترابية.

حفر شباب الميدان خندقاً كبيراً من حي الميدان حتى تلّة جحا، حيث كان التنقّل يتمّ ليلاً لأنّ من يصاب نهاراً، كان يستحيل نقله، فالمنطقة مكشوفة من التلال ومن تمثال العذراء. وتولّى شباب الميدان والبربارة (أبو عيد... آل سيف ... آل طحطوح ...) حماية الخطّ من تلة الحمّار حتى عين الدوق.

في حوش الأمراء والمعلّقة، كان هناك كثافة مقاتلين لأن المنطقة كانت تكتظّ بالسكان، وكانت مجموعات وحدات أدونيس والمغاوير تتدخّل في الأماكن التي تشهد ضغطاً وهجمات.

تسلّم شباب سيدة النجاة والراسية الخطّ من المعلّقة حتى حارة الراسية الشرقية، فيما تولّى شباب حارة مار مخايل محور التمثال وشباب مار الياس وسيدة النجاة خط «المصفاية - العقرب» حتى تل شيحا، وتولّوا مركزي البيادر والمقابر من بناية الإنكليز حتى مقابر آل المعلوف التي استخدموها كمتاريس لأن المنطقة كانت مكشوفة تماماً على السوريين.

وتسلّم قسم من شباب مار الياس جبهة الخرنوبة في البربارة قرب الإنجيليين. لم يكن يحصل هجمات على حي مار الياس لأنّ طبيعة المنطقة لا تسمح بدخول الآليات والدبابات، لكنّ القنص والقصف كانا متواصلين، واعتُمدت أقصى درجات الحيطة والحذر، إذ كانت تطلق النيران فقط عندما يحاول السوريون التقدّم، ولم يكن يُسمح بإطلاق الرصاص في منطقة حي الميدان - حوش الزراعنة مثلاً لأنّ إطلاق النار كان يدفع السوريين إلى إغراق هذه المنطقة بالرصاص والقذائف ومن مختلف الأعيرة.

كان الشباب يتقدّمون ليلاً الى حي الفلفلة على بعد عشرين متراً من مراكز السوريين، وكانوا يستمعون اليهم وهم يتحدثون ويشربون الشاي في الكروم، ثمّ ينسحبون مع الفجر في قنوات الري ويعودون الى مراكزهم بين المنازل. كانت البساتين والطرق التي قد يسلكها السوريون مزروعة بالأفخاخ والألغام ضد الأشخاص... وقد قام سليم عاصي (اغتيل في زحلة العام ٢٠٠٧ مع نصري ماروني) ومعه بعض الشباب بتفخيخها (الجرذان قطعت بعض الأسلاك فانفجرت بعض الأفخاخ الأمر الذي كان يؤدّي الى الاستنفار).

صنع شباب زحلة قنابل ضد الآليات بواسطة البنزين والنيترات والسكر ومواد تستعمل كأسمدة زراعية (كيماوي)، مع صاعق يوصَل بأسلاك الى بطاريات السيارات، وكانت تفجّر هذه العبوات عندما تتقدّم الدبابات.

في منطقة البربارة، شحّت الألغام ضدّ الأفراد، فلجأ الشباب الى استعمال القنابل اليدوية للتفخيخ في البساتين، فكانوا يربطون القنابل على جذع شجرة بإرتفاع ٢٠ سنتيمتراً عن الأرض بعدما يتمّ سحب ثلاثة أرباع حلقة الأمان، ويربطونها بشريط لاصق، ثمّ بخيط شفّاف الى جذع الشجرة الثانية. وهكذا دواليك. وقد نجحت هذه العملية في الحدّ كثيراً من عمليات التسلّل.

كما استنبط المدافعون وسائل عدة لتقليص مسافة تحرّك وتوغّل الآليات السورية، فكانت الصهاريج تُفرّغ ليلاً كميات كبيرة من المياه تُغرق البساتين والمزروعات، ما يجعل تقدم الآليات السورية متعذّراً في الأرض الموحلة،

فتُجبر على سلوك ممرّات محدّدة والزامية، فتسهل مواجهتها.

أثناء الحرب، نقل مقرّ قيادة زحلة الى مبنى «فرنسبنك»، وكان يتعرّض للقصف العشوائي بشكل دائم، وكذلك مستشفى خوري الذي تحوّلت طبقاته السفلية الى غرف للعمليات الجراحية. ولحماية هذين الموقعين، قام طوني التن تحت جنح الظلام ولليال عدّة بالحفر قرب العدلية بواسطة جرافة لوزارة الأشغال، ونقل التراب بشاحنة رغم القنص والقصف، وأقام سواتر لحماية مركز القيادة ومستشفى خوري. كما أقام سواتر قرب الحلبي تبعد عن السوريين نحو ٥٠ متراً، فكان يرجع بشاحنة الى الوراء ويرمي التراب مشكّلاً ساتراً ضخماً في وجه المهاجمين.

كان السوريون يتمركزون على البولفار في بنايتي الرهبان وغرّة العاليتين اللتين تتحكّمان بالكثير من المواقع. وهاتان البنايتان كانتا مطوقتين من جهة حوش الأمراء ومن البولفار - جهة العدلية، لكنّ الجيش السوري بقي هناك لأن الموقع استراتيجي.

تحوّلت طبقات المدارس السفلية الى ملاجىء وأقيمت الدشم حولها... وفُتحت كلّ المخازن والمستودعات، ووزّع الطعام مجاناً على كلّ البيوت، حيث كانت النسوة تطبخن للمقاتلين في الأحياء وعلى الجبهات...

العجوز الشهيد

طلب ابراهيم حداد من رجال وادي العرايش حفر خندق ليلاً تحت الطريق الذي كان يتعرّض لرمايات قنص من قبل السوريين لكي يتمكّن المقاتلون من التنقّل دون التعرّض للخطر. حفر الرجال في الليلة الأولى مسافة ثمانية أمتار بارتفاع ستة أمتار بعرض متر ونصف. ويروي سامي الغصين: «في الليلة الثانية، كنت مع سبعة رجال من كبار السنّ نعمل عندما تعرضّنا للنيران وأطلقوا علينا ثماني قذائف «ب٧» من تلّة حرقات المقابلة...

كان القمر مشعّاً والرؤية واضحة عندما حاول عيد القاصوف وعمره ٨٥ سنة استطلاع ما يجري فأطلقوا عليه رشق من رشاش تيغاريف فأصيب بست رصاصات.. وبقي على قيد الحياة وأخذ يشتم سوريا والرئيس الأسد... سحبته الى الخندق ثم نقلناه الى مستوصف وادي العرايش لكنه فارق الحياة.

كان هناك مسافة نحو عشرة أمتار يتطلب لإجتيازها إما الزحف وإما الركض بسرعة. اجتزناها زحفاً، وأكملنا حفر الخندق فتأمن المرور من دون خطر».


الشهيد وجدي ديب

وقف نارٍ دامٍ

اطمأنّ شباب حوش الأمراء لوقف إطلاق نار أعلن عنه منتصف حزيران، رافقته أخبار عن مبادرة لحلّ الازمة وإنهاء الحرب، فقرّر وجدي ديب وطوني البش وجوزيف حداد (أبو الحزم) وجان سلامة (رينغو) تفقّد رفاقهم على طريق عام حوش الأمراء، وانطلقوا باطمئنان نحو الطريق العام. لكنّ دبابة سورية رصدتهم لجهة السهل وفاجأتهم بقذيفة انفجرت بمحاذاتهم في حائط منزل صادر، وأصابتهم شظاياها.

ويتذكر رينغو تلك اللحظات الرهيبة: «كان واحدنا يبعد عن الآخر ٣ أمتار. وفجأة، وفي منتصف الطريق، إنفجرت في وجهنا قذيفة شاهدت وميضها ولمعانها. صرخ بنا جوزف كي ننبطح أرضاً. وعندما لامس جسمي الأرض، شعرت بأنني مصاب. صرخت لرفاقي بأنني أصبت وسألت إذا كان أحدهم قد أصيب. ردّ طوني البش من ورائي: «كلّنا أصبنا». تراجعت الى الوراء، لكنني لم

أشاهد أحداً. كان الدخان يلفّ المكان. إصطدمت بطوني فوقعنا أرضاً. حاولت حمله ولكن قواي لم تسعفني، فتركته وتابعت سيري الى المركز لإخبار الرفاق هناك.

نُقلت الى المستوصف، وأجرى لي الدكتور زناتي الإسعافات الاولية. ونظراً لخطورة الإصابة، تمّ نقلي الى المستشفى الميداني الوحيد في زحلة لإجراء عملية جراحية كانت صعبة واستمرّت ٧ ساعات. وفي اليوم التالي، حصل لي نزيف، فاضطر الأطباء لإجراء عملية جديدة استمرّت ٣ ساعات.

احتجت الى ١٣ ليترٍ من الدم وكان المتبرعون يتهافتون للمساعدة. الإصابة كانت في شريان الكبد الرئيسي، وأجرى لي الجراحة في الرئة والطحال الدكتوران شاهو وجبور.

لم تكن الراحة متوفرة في المستشفى الميداني، فالضجيج والروائح وآنين المرضى والجرحى كانت كلّها في مكان واحد...



جان سلامة «رينغو»

أمضيت أسبوعين في المستشفى، كان الرفاق يأتون خلالها لعيادتي، وكنت ألمح في عيونهم حزناً عميقاً لم أعرف سببه قبل أن أعلم أن وجدي ديب وجوزيف حداد وطوني البش استشهدوا بالقذيفة التي أصابتني».

جحيم جحا

حاول الجيش السوري السيطرة على تلّة جحا وهي نقطة استراتيجية في ٢٥ حزيران، أي قبل أربعة أيام من انتهاء الحرب وتنفيذ الحلّ المتّفق عليه، وذلك ليحصّن مواقعه ويصبح في وضع ميداني قوي يساعده في الضغط على المدينة. مركز تلة جحا كان كناية عن خندق بطول نحو ٧٠ متراً حفر بجرافة، ونصبت فيه خيمة وعلى جانبيه موقعين محصّنين بالدشم، وفي وسطه نفق أشبه بوكر حُفر باليد يتمّ سلوكه زحفاً، ويصل الى قمّة التلة حيث يوجد متراس محصّن كان يحمي كلّ المنازل من القصف المباشر ومن قذائف الـ«ب٧».

يروي منير أحد مسؤولي منطقة الميدان: «فتح السوريون نيران أسلحتهم على تلة جحا - الزيتونات، وبدأوا التقدّم بأعدادٍ كبيرة، فاشتبكوا مع شبابنا... وأبلغني ص. اسطمبولي بأنّ هناك إصابات في صفوفنا. حملت رشاش ماغ وبندقيتي، واتّجهت الى التلة فوجدت فؤاد الخوري وإيلي حبوبة مصابين والشباب يتراجعون، ومنهم مانويل أسود، فادي عيسى، فادي الشقيّة، جورج الشقيّة، جاك سلمان، جوزيف شويري، عمر معلوف، جوزيف المصروعة، نعوم دنو، عيسى سليمان...

أبلغت جو اده والياس الزايك بما حصل، وطلبنا دعماً لأنّ السوريين تقدّموا واحتلوا رأس التلة».

ويروي جورج سماحة: «كنّا مجتمعين في القيادة - مبنى «فرنسبنك» مع جو اده والياس الزايك ومانويل الجميّل وجورج عواضة (أبو الهول)، نتحدّث عن حلّ وشيك للأزمة وعن توزيع المهام بعد خروج المقاتلين الى بيروت... أبلغنا من الميدان بحصول هجوم سوري على تلّة جحا الاستراتيجية وخرق للمواقع. اتصل الياس الزايك بالحنون الذي حضر بسرعة مع مجموعة من وحدات أدونيس كانوا في كازينو عرابي».

طلب جو اده من الحنون معالجة الوضع بسرعة ودرس إمكانية وضع خط دفاع ثان، بعدما أبلغهم منير أن الشباب

مانويل الجميل

انسحبوا كلياً من التلة ودخل السوريون واحتلوها...

توجّه الحنون الساعة الواحدة بعد منتصف الليل مع مجموعة من وحدات أدونيس تضمّ جان خوري ومتري الحاج ووليم بدر وحنا ابراهيم وشارل حبيقة والجعفر ومنير المسؤول عن الموقع ومانويل الجميل[1] الذي أصرّ على مرافقته.

تسلّلت المجموعة الى سفح التلة التي سيطر على قمّتها السوريون، فوجدت انه يتعذّر إقامة خط دفاع ثان وأن السوريين بإمكانهم تدمير كل البيوت المواجهة في الصباح.

سلك المقاتلون التسعة سبيلاً يوصلهم الى الخندق في سفح التلّة، كان شباب المنطقة أخلوه، ولم يتأكّدوا ما إذا كان السوريون وصلوا الى الخندق وسيطروا عليه أم لا.

سار منير أمامهم لأنّه يعرف المنطقة، وتقدّموا في وضع قتالي «وثبة وانتظار - تقدّم ومراقبة»، ودخلوا الخندق الذي كان فارغاً، وتنبّه متري الحاج الى مجموعة سورية على يمين الخندق تبعد عنهم نحو ثلاثين متراً وكان عناصرها يحفرون التراب ويجمعون حجارة لإقامة متراس في النقطة التي تقدّموا اليها بهدف الإلتفاف لتطويق الخندق قبل دخوله.

كان منحدر التلّة فارغاً من الجنود لجهة اليسار، فهو صعب ومكشوف ولا مجال للتمركز فيه.

تولى الحنون ومتري الحاج ووليم بدر مراقبة متراس اليمين، والجعفر وشارل حبيقة ومانويل الجميل...جهة اليسار، وثلاثة في الوسط جان خوري وحنا ابراهيم ومنير خميس.

يقول الحنون: «كانت الخلفية الضوئية لمصلحتنا، وكان العشب عالياً، فتقدّمت مع وليم ومتري زحفاً كالنمل من دون إثارة أيّ ضجة لتأمين الخندق... وطلبت من وليم أن يطلق قذيفة «ب٧» عندما يتجمّع الجنود الذين يقيمون المتراس قبل أن نطبق أنا ومتري عليهم بالنيران.

وحدات أدونيس

كان عدد الجنود سبعة، وما ان تجمّعوا وظهروا بوضوح على وليم، حتى دوّت قذيفة الـ«ب٧» في وسطهم، وفتحنا النار وراءها لنحو دقيقتين، ثمّ تراجعنا بسرعة الى داخل الخندق... بدأ السوريون بإطلاق النار بغزارة، وعرفنا من كثافة النيران مدى انتشارهم على التلة».

ويقول منير: «نشبت

---

(١) حاول الزايك ابقاء مانويل معه، لكنّ الأخير رفض فقال الزايك للحنون: «انتبه عليه، إنّه إبن ابنة الشيخ بيار الجميل». فأجابه الحنون: «اذا كان هو يريد الذهاب فليمشي».

تلّة جحا من جهة زحلة

تلّة جحا من جهة حرقات

معركة بالقنابل اليدوية والرصاص وقذائف الـ«ب ٧» استمرّت ثلاث ساعات أطلقت في خلالها نحو ٥٠٠ رصاصة ومثلي فعل الباقون... كان عدد السوريين كبيراً وبدأت ذخيرتنا تنفذ... طلب الحنون من طوني بريدي قائد سلاح المدفعية الذي كان في بسكنتا قصف تلّة جحا بمدافع الميدان، وذلك بعدما أرشدته إلى النفق الضيق الذي يوصل الى قمة التلة».

أبلغ طوني بريدي الحنون ان هناك ستة مدافع جاهزة للقصف، لكنه طلب منه تحديد المكان المستهدف بدقة. فكان جواب الحنون «أقصف كلّ تلة جحا»، فاستغرب بريدي ذلك وقال: «ان القذائف ليست قناصة لتصيب أهدافها بدقة وقد نصيبكم بالخطأ». فكرّر الحنون: «أعلم ذلك، اقصفوا كلّ تلة جحا...». أعاد بريدي السؤال، وأعاد الحنون التأكيد، ثم طلب من رفاقه في الخندق دخول النفق الذي يوصل الى التلّة فور سماع القذيفة الاولى.

بدأ انهمار القذائف بغزارة، وأطلقت المدافع الستة أكثر من ٣٠٠ قذيفة ميدان على التلة. كان صوت القذائف يصمّ الآذان ... عند الخامسة فجراً، طلب الحنون من بريدي إيقاف القصف، وانطلق المقاتلون التسعة من النفق بإتّجاه رأس التلة لتحريره. مشّطوا التلّة بأسلحتهم الفردية، وسيطروا عليها وكان هناك عدد كبير من جثث الجنود الذين أصيبوا في القصف.

اتّصل الحنون على موجة جو اده الذي صاح به غاضباً: «يا حنون، وينك الدني خربانة كل الليل عم ناديك وانت مختفي». أجابه الحنون: «أنا على تلة جحا». تفاجأ جو وسأله: «أين؟». فكرّر الحنون: «على تلة جحا لقد حرّرناها..». أجاب جو: «أخذتم التلة ممتاز ممتاز ممتاز...».

كان بعض شباب زحلة يستمعون الى المكالمة بين الحنون وجو، ولمّا عرفوا باستعادة التلة، بدأوا بإطلاق النار ابتهاجاً.

انسحب الشباب قبل انبلاج الفجر لكي لا يطالهم القنص من تمثال العذراء... وبعد نحو ساعة، انهمر القصف العنيف على زحلة بمختلف أنواع الأسلحة، وذلك بعدما أيقن السوريون حجم خسائرهم وفشلهم في إحتلال تلة جحا.

استمرّ جحيم القصف ١٦ ساعة متواصلة، فكان أفظع يوم عاشته المدينة طيلة أيام الحرب.

ويروي منير: «في الليلة التالية، قام الحنون وجان خوري بوضع الألغام والتفخيخات في المواقع التي قد يتقدّم منها جنود الوحدات الخاصة. وبعد انتهاء عملية التفخيخ، كدت أدوس على أحد الألغام لولم يسحبني وليم بدر ويصرخ: «انتبه، لغم، إياك ان تتحرك». فالتفتت لأرى الحنون والبوي استلقيا على ظهريهما للإحتماء من الانفجار. ثمّ سحبني الحنون بهدوء، ودلّني على الطريق بعيداً عن الألغام».

لم يعد بإستطاعة السوريين التقدّم بعدما حُصّنت المواقع بالألغام، وبقي شباب الميدان يحرسون المتاريس ليلاً، وينسحبون منها مع الفجر بعد انتهاء الحرب وحتى تسليم تلّة جحا لرجال الدرك اللبناني.



مدافع الـ١٥٥ في جرد كسروان لعبت دوراً أساسياً في استعادة تلّة «جحا»

جريدة النهار غداة معركة تلّة جحا

الجمعة ١٩٨١/٦/٢٦ "النهار" - "الاتحاد اللبناني"

١٥ ساعة من القصف العنيف على زحلة توقف ظهرًا بعد اتصال سركيس بالاسد

٦ قتلى و٥٠ جريحًا في الاحياء

زحلة - "النهار":

اكثر من ١٥ ساعة من دون توقف، عاشتها زحلة امس في ظل القصف والاشتباكات العنيفة التي لم تترك للزحليين فرصة لالتقاط انفاسهم.

وزحلة التي زارتها الحرب منذ ٨٥ يوما لم تعرف حتى الآن فترات [illegible] وصعبة كتلك التي شهدتها خلال مسلسل الرعب الاخير بعدما كانت تنتظر انحسارا تاما من اجتماع جدة وبعد نهار هادئ يوم الاربعاء لم تطلق فيه رصاصة واحدة، فاذا بها تفاجأ ابتداء من التاسعة الا عشر دقائق من ليل الاربعاء بحلقة جديدة من القصف والقنص استمرت حتى التاسعة عشرة والربع بعد ظهر امس.

ومسرح القصف هذه المرة كان احياء زحلة الداخلية والتلال المحيطة بها. وقد بدأ اطلاق النار في تلال البربارة وعين الغلغلة، ثم امتد الى حي مار الياس وتلة حمبص. وبدأ القصف العنيف براجمات الصواريخ والدبابات والهاونات ومدافع الميدان. واشتد عند منتصف الليل واستمر عنيفا حتى الصباح بمعدل ٤ قذائف في الدقيقة؛ وشمل كل احياء المدينة؛ ولاسيما منها الميدان وحوش الزراعة والبربارة ومار الياس والسوق التجارية.

ورافق القصف اشتباكات عنيفة على محور عين الغلغلة - تلة جحا ومحور المثال - السرايا القديمة. وانارت القنابل المضيئة سماء المدينة؛ وكذلك الحرائق الكثيرة التي شبت ولم تتمكن فرق الاطفاء من اخمادها لغزارة القصف والقنص.

واستمر القصف صباحا وتركز بالدبابات والراجمات على اعالي مار الياس والبربارة، وعنف في الحادية عشرة قبل الظهر وسجل سقوط اكثر من عشر قذائف في الدقيقة، وفي حوش الامراء سقطت

اساقفة زحلة اجروا اتصالات بالقصر الجمهوري وبوزير الدفاع السيد جوزف سكاف طالبين العمل سريعا لوقف التدهور. واجروا اتصالات مماثلة بعد الظهر بخصوص الدم والاسعاف والنسخ وطالبوا بتأمين وصول المواد الغذائية التي تفتقر اليها الاسواق.

● في بيروت اعرب وزير الدفاع السيد جوزف سكاف عن ترحيبه بنتائج الاتصال الهاتفي بين الرئيسين سركيس والاسد. وتمنى ان يستمر وقف اطلاق النار ويستتب الهدوء "وهو المدخل لايجاد حل لمشكلة زحلة".

وكان الوزير سكاف اجتمع بالوزيرين جورج ابو خاطر والياس الهراوي والنائبين ميشال المعلولي وسليم المعلوف.

"القوات اللبنانية"

واوردت الشعبة الخامسة في "القوات اللبنانية المسلحة" معلومات عن الوضع الامني في زحلة امس جاء فيها:

"الساعة ٥.٣٠ صباحا: القصف العشوائي استمر على زحلة والحرائق زادت عن ١٥ حريقا، وبلغ عدد الجرحى ٣٠ جريحا، حال بعضهم خطرة.

- ٥.٤٠: هجوم عنيف في الليل استمر حتى الصباح على محوري عين الغلغلة ووادي صانو.
- ٦.٠: الزحليون مستمرون في المقاومة وصد كل محاولات التقدم.
- ٧.٠: استئناف القصف بغزارة اكبر، وتعرض حوش الامراء والحمار ومار الياس وقلب زحلة لقصف عشوائي حتى الصباح من التلة البيضاء وتلة حمبص بكل انواع الاسلحة.
- ١.٥٠: قصف متقطع على احياء مدينة زحلة وضواحيها ورصاص قنص.
- ١٠.١٥: عاد القصف ليتجدد على كل احياء مدينة زحلة وبشكل عشوائي.
- ١١.٤٥: القصف المجنون مستمر على كل احياء زحلة وسقوط ٦ قتلى و٤٠ جريحا.
- ١٢.٢٠: توقف القصف المجنون على احياء المدينة وضواحيها.
- ٦.١٠ مساء: قنص من تركات على المدينة الصناعية ومن الحي الغربي على حوش الامراء وسقوط قذائف هاون على الحوش وتحركات سورية في الحمار".

المعتصمون على طريق القصر بدأوا صياماً عن الطعام والشراب

المدفعية

لعب سلاح المدفعية دوراً أساسياً في حرب زحلة، وشكّل زنّار نار على أكثر من محور وموقع مانعاً الآليات والعناصر السورية من التقدم. وحسمت المدفعية مواقف عدّة محرجة كانت ستؤثّر سلباً على صمود المدينة.

أنطوان بريدي

يقول أنطوان بريدي، قائد سلاح المدفعية في تلك الأثناء: «يوم بدأت معركة زحلة، كان سلاح المدفعية جاهزاً وحاضراً، ولكن بعدد ضئيل من العناصر. اتّكالنا كان على المرابض الموجودة داخل زحلة، لأنّ مدافعنا كانت موزعة على كلّ الجبهات. وبعد أيّام عدّة على بدء المعركة، تضاعف عدد العاملين في المرابض بعد انضمام قسم من الشباب الذين كانوا متّجهين الى زحلة وسُدّت الطرق أمامهم.

تفاجأنا بكثافة القصف السوري على المدينة، ما عطّل فاعلية مرابضها التي كُشفت بسبب تمركز السوريين في مواقع مرتفعة وعلى كلّ التلال المحيطة بالمدينة. لذلك توقّف عمل قسم كبير من المدافع في الداخل، ما اضطرّنا لزيادة عدد مدافعنا خارج زحلة لتأمين الحماية والدعم الكافيين».

ويضيف: «ما حصل لم نخطط له مسبقاً، واضطررنا للتحرّك بسرعة على الرغم من رداءة الطقس والطرقات المقفلة والثلوج وطيران العدو الذي كان يكشف بعض مرابضنا عندما يكون الطقس صاحياً. تخطّينا هذه الصعوبات بإمكاناتنا الضئيلة، وبدأنا المعركة بمدفعي ميدان من عيار ١٣٠ ملم، ثم كثرت المرابض... ساعدتنا الإتّصالات مع القيادة في المدينة، على الرغم من صعوبتها، في تركيز أهدافنا والتزوّد بالمعلومات اللازمة، فقد ربطنا المنطقة بنار المدافع وخصوصاً المحاور الأساسية، واستمرّ القصف من ١ حتى ١٥ نيسان ومن ثم أصبح قصفاً متقطّعاً».

وبالنسبة للجدار الناري حول جسر زحلة يقول بريدي: «من المؤكّد بأنّ نيّة السوري كانت الدخول الى زحلة عبر الجسر وعبر بقية المحاور، ولم تكن قدراتنا حينها كافية، سواء لجهة التحصينات العسكرية، أو لجهة العتاد والذخائر. اتّفقنا مع القيادة على تكثيف القصف لمنع السوريّ من التقدّم بإتّجاه زحلة، وهذا ما أفسح المجال أمام أبناء المدينة لتعزيز مراكزهم، وإيجاد شبكة طرق عسكرية تجنّبهم النيران السورية. اعتمدنا أسلوباً يقضي بإقامة جدار ناري على محورين رئيسيين كانا عرضة لإختراق الجيش السوري... عملنا في شكل متواصل، على مدار الساعة، وفوجئنا بالنجاح، إذ لم يستطع السوري، بالرغم من محاولاته المتكرّرة خرق هذا الجدار الذي أقمناه على الطريق العام وجانبيها على مساحة ١٥٠ - ٢٠٠ متراً. وتمكّنا في النهاية من الحدّ من الهجمات السورية، علماً أن



بريدي وافرام وبشير يتفقدون المرابض

مربض في جرود كسروان خلال حرب زحلة

القصف كان يتعدّى الجدار الناري الى قصف أهداف سورية في مناطق بعيدة كشتورا وسعدنايل وسواها من المراكز السورية المهمة التي كانت تحرّك وتخطّط لحرب زحلة.

تفاجأ البعض كيف تمكّنا من متابعة التفاصيل في حرب زحلة. فبالنسبة لسلاح المدفعية، لم يكن الأمر سهلاً. كانت العواصف تضايقنا كثيراً لأنّ مرابضنا كانت موجودة في مناطق مرتفعة، وكان الشباب يستيقظون فجراً كلّ يوم لإزالة الثلوج عن القذائف، وصيانة المدافع المتجمدة لأنّ الجليد كان يغطّي المدفع من جديد إذا توقّف ٣ أو ٤ ساعات عن العمل. كما أثّرت الثلوج على سرعة التحرك خصوصاً عند من يحضّرون القذائف ويهتمّون بصيانة المدافع وتأمين الذخائر وفتح الطرقات، وكان يتمّ نقل بعض المدافع من مكان الى آخر خوفاً من أن يكشفها الطيران السوري. كما جرى العمل على تمويه المرابض والمراكز وقد ساهم الطقس الضبابي كثيراً في عدم كشفها.

لم نقم قبل معركة زحلة بمناورات متكاملة، وكنّا خائفين جداً من أن يفنّي كلّ واحد منّا على ليلاه... لكنّ الاتصالات وعلى مدار الساعة مع زحلة، ووجود قياديين من أركان القوات داخل المدينة وحسن تقديرهم لطبيعة العمل العسكري وظروفه، كلّها أمور ساعدتنا على تنفيذ مهامنا بدقة».

ويضيف بريدي: «شكّلت معركة زحلة الإنطلاقة الصحيحة لسلاح المدفعية. فمنذ اليوم الأوّل، طلبنا فصل نحو ١٥ عنصراً دائمين لمراقبة الأهداف البعيدة والمحاور التي يأتي منها الخطر، وهذا ما خلق تناغماً في ما بيننا. فالقصف لم يكن يحصل بشكل عشوائي، إنّما بناءً على طلب من القيادة الموجودة في زحلة، والتي كانت تحدّد نقاط تجمّع العدو، والمواقع التي تشكل خطراً على المدينة. كان التركيز كبيراً، وكنّا غالباً ما نضرب الوحدات السورية قبل أن تقوم بهجوم أو خرق على أي من المحاور[١].

ويتذكر أسعد سعيد أنّ «التعليمات من غرفة العمليات كانت تقضي بعدم إستعمال القذائف الموجودة في زحلة إلاّ عند الضرورة للمحافظة على مخزونها قدر الإمكان، وكان يفَضّل إطلاق ١٠٠ قذيفة من المرابض في الجرد على إطلاق قذيفة واحدة من مرابض زحلة».



الثلوج صعبت عمل المدفعية ولم توقفه

ويضيف سعيد: «توزّعت المرابض على جرود كسروان والمتن، فنُصبت مرابض مدافع ١٥٥ ملم في تلال العسل فوق جسر فقرا وتحت قمم عيون السيمان، ومرابض مدافع ١٢٠ملم في فقرا بقيادة ابو الشنب (ابراهيم العلم) وأخرى في قناة باكيش وامهز وميروبا وبسكنتا...».

(١) مجلّة المسيرة، العدد ٢٨، ٢ نيسان ١٩٨٤.

جولة بشير على المرابض

ويقول أحد مسؤولي سلاح المدفعية: «كانت تُحدّد الأهداف التي يجب قصفها بطرق عدة :

- الأهداف التي يراها المراقب بالعين المباشرة.

- الأهداف التي كانت تُشاهد من زحلة وتبلّغ بها غرفة العمليات من المدينة وتحدّد على الخرائط .

- الأهداف التي كان يعطيها رجال الاستخبارات لغرفة العمليات».

ويضيف: «كانت المدفعية تقصف التجمّعات والتحرّكات السورية وخصوصاً أثناء تنفيذ الهجومات، وكان للمهندس زوفيكيان دور بارز، فهو الذي طوّر، خلال معركة زحلة، الحسابات الدقيقة والمنظّمة التي حدّدت المناطق والأهداف في محيط المدينة وكانت تقصف بمنتهى الدقة».



مدافع زحلة

قبل بدء المعركة، رُسمت خرائط واضحة وُزّعت على مسؤولي المدفعية في زحلة تُظهر المحاور حيث يجب أن يتركّز القصف وهي: الحمّار، تلة جحا، تلة حميمص، الجسر، بنايتي غرة والرهبان حيث يتمركز السوريون على مدخل المدينة... كما حُدّدت نقاط تمركز الجيش السوري ونقاط تجمّع الدبابات والجهة التي يمكن دخول هذه الدبابات منها لقصفها عندما تتحرك.

يقول داوود أحد المسؤولين في مرابض زحلة: «تَشكّل فريق المدفعية من تجمّع الأحزاب (الكتائب وحراس الارز والأحرار وبعض شباب القوات). كان سماحة «الركن» مسؤولاً عن المدفعية ومعه وبالإضافة الى مارون روحانا، أبو ذقن وآخرين... وطوني قريطم الذي كان يؤمّن الإحداثيات ويحدّد المواقع المستهدفة...

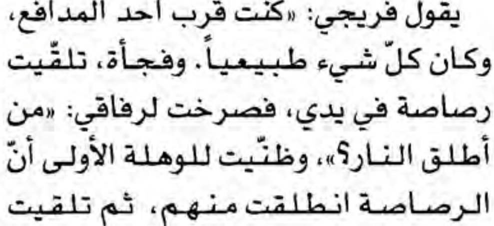
نُصب المربض الأساسي لمدفعية زحلة في كازينو الوادي وضمّ سبعة مدافع : اثنان عيار ١٢٠ ملم، واحد عيار ٧،٤ ملم، إثنان عيار ٨٢ ملم، وثلاثة عيار ٨١ ملم».

ويتذكّر داوود: «في الليلتين الأولتين من المعارك، كان الوضع رهيباً، وطلب من مربض وادي العرايش إطلاق قذيفة مضيئة[1]، لأنّ المدينة كانت من دون كهرباء، وكان هناك عمليات تسلّل تحت جنح الظلام. أطلقت القذيفة فوق المعلّقة، فأضاءت المنطقة وكشفت المهاجمين الذين توغّلوا بأعداد كبيرة على أكثر من محور.. فبدأت

(١) القذيفة المضيئة تهدف الى كشف الرؤية ليلاً وتطلق بحشوات عدّة لكي ترتفع قدر الإمكان.

المواجهات العنيفة، وقصفنا النقاط التي حدّدت لنا، وعلمنا أن دبابتين أصيبتا بين الكرك والمعلقة بقذائف المدفعية وليس بقذائف الـ«ب٧»».

ويضيف داوود: «عانينا كثيراً خلال الحرب، ففي اليوم الثالث، هطلت أمطار غزيرة وتساقط الثلج، وشهدت المنطقة موجة صقيع، فامتلأت الحفر التي ربضت فيها المدافع بالمياه، وكنّا مضطرّين للقصف نظراً لكثافة الهجمات. فكلّما قصفنا قذيفة، امتلأنا بالوحول والمياه، كما أن بعض القذائف التي قصفناها لم تنفجر بسبب تبلّلها. وقد قمنا في ما بعد بحفر سواقٍ لتصريف المياه من الحفر. كان هناك مربض فعّال أيضاً وراء سينما هيلتون، لكنّه كشف بسرعة واستُهدف لأنّ السوريين كانوا يشاهدون القذائف التي تُطلق منه من تمثال العذراء، على عكس مربض الوادي الذي لم يكن ممكناً كشفه».



اصابة في الكازينو

تسلّل السوريون من حزرتا الى وادي العرايش في محاولة لإسكات مربض كازينو الوادي، وأصابوا أحد عناصره ابراهيم فريجي قبل صدّهم، ثمّ نُقل المربض الى داخل المدينة.

يقول فريجي: «كنت قرب أحد المدافع، وكان كلّ شيء طبيعياً. وفجأة، تلقّيت رصاصة في يدي، فصرخت لرفاقي: «من أطلق النار؟»، وظنّيت للوهلة الأولى أنّ الرصاصة انطلقت منهم، ثم تلقيت رصاصة ثانية في ظهري وثالثة قرب الكلية ووقعت أرضاً، ثم بدأ رفاقي بإطلاق النار على المتسلّلين من أسلحة فردية قبل أن يبلّغوا شباب الوادي الذين آزرونا واستخدموا قذائف مدفع ١٠٦ ملم، فتراجع السوريون الى حرقات. نقلوني الى مدرسة الشرقية، ومن ثم الى الدكتور أبو سليمان الذي أجرى لي عملية جراحية».

ويقول داوود: «بعد سقوط الجرد وسيطرة السوريين على تلال زحلة، تسلّلت مجموعة من القوات الخاصة من تلال حزرتا الى ضهور زحلة وأطلقوا النار على ابراهيم فريجي في المربض، فنجا بأعجوبة وهو لم يستوعب للوهلة الأولى أنّه أصيب. لم يكن معنا سلاح كافٍ لصدّهم بإستثناء بعض الأسلحة الفردية، فاتّصلنا بالقيادة في زحلة التي أرسلت مجموعة الى تلة وادي العرايش اشتبكت مع السوريين وأجبرتهم على التراجع».

ويقول احد شباب المربض: «اثر هذه العملية، نقل مربض الوادي الى داخل زحلة قرب سينما دنيا، وتمّ تحصينه بالدشم وأكياس الرمل، فكنّا نخرج من الخنادق لنطلق القذائف ونعود بسرعة الى داخل التحصينات».

قصف شتورا

يروي أحد شباب مدفعية زحلة: «بعد نحو أسبوع على بدء الحرب، أطلق مربض كازينو الوادي قذيفة من نوع Betta[1] بإتّجاه مركز قيادة الجيش السوري في شتورا، أصابته بشكل مباشر، فلم يعرف السوريون مصدر هذه القذيفة، وتضعضع الوضع في قيادة شتورا فإتّخذوا قراراً بنقل قيادتهم الى عنجر».

(١) تزوّد بحشوة إضافية تنفجر عندما تنتهي الحشوة الأولى، فيتضاعف مدى القذيفة.

- بعد أسبوعين على بداية الحرب، زار بشير الجميل مرابض المدفعية في كسروان والتقى عناصرها مقدّراً ما يقومون به وقال: «كان باستطاعتنا أن نعطيهم جسر زحلة ونصل الى وقف اطلاق نار ونطوّل بالنا، وبعد فترة يعود كل شيء الى ما كان عليه.. ولذلك قلنا لهم لن نعطيكم جسر زحلة، واذا كنتم تريدون أخذه، فخذوه بالقوة. تريدون



أن تخرجوا دباباتكم عن الجسر، أخرجوها بالقوة. نحن لا نريد وقف إطلاق نار أو التفاهم معكم، وقوموا بما تستطيعون وافعلوا ما شئتم...».

وتابع بشير: «أما حصيلة هذه المعركة في هذين الأسبوعين من ٢ نيسان الى اليوم، حوالى ٥٠٠ قتيل وجريح لبناني في زحلة... ولا بدّ ان يكون لديهم حوالى ٣٠٠ قتيل من القوات الخاصة وهناك حوالى ٢٢ دبابة محترقة...».

- سقط الياس بصيبص، من سلاح المدفعية برصاصة قنّاص، بينما كان يذهب في خلال فترة راحته لمساعدة شباب المعلّقة. وما أن وصل الى متراسه، حتى اخترقت رصاصة قناص سوري كان يراقبه رأسه فقتل على الفور.

- في الأيام الاخيرة للحرب، واثر صدّ الهجوم على تلة جحا الاستراتيجية، تعرّضت المدينة للقصف المتواصل على مدى ١٥ساعة، وأفرغ مربض زحلة ما تبقى من القذائف مستهدفاً كلّ مواقع السوريين، وخصوصاً تلال جحا والحمّار والبيضا.



لقاء بشير مع قادة المدفعية



سلاح المدفعية لعب دوراً فاعلاً وحاسماً في محطاتٍ كثيرة خلال حرب زحلة

بعد إقفال طريق الجرد، تمَ التركيز بشكل أكبر على سلاح المدفعية، والتحق عدد من الشباب الذين كانوا يتوجَهون الى زحلة بالمرابض.

لجنة المتابعة العربية والحل

بدأت مساعي الحلّ تتبلور منذ منتصف شهر ايار، ولكن التدابير العسكرية كانت لها الاولوية وقد حاولت القوات السورية احداث خروقات على الجبهات والمحاور لفرض شروط اكثر صرامة ولأخذ زمام المبادرة وفرض الحل الذي يؤمن لها الانتصار الكامل. وأفادت الأنباء الواردة من دمشق في الأسبوع الأول من شهر حزيران، أن تفاهماً تمّ لحلّ قضية عروس البقاع، وساهم في تعزيز هذه الأجواء معلومات عن استعدادات اتخذتها المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي لإرسال وحدات الدرك المتّفق عليها الى البقاع تمهيداً لتسليمها مدينة زحلة وفقاً لما نصّ عليه الإتفاق.

وفي التاريخ نفسه عقد اجتماع في مبنى رئاسة اركان الجيش السوري في دمشق ضمَّ الى رئيس الأركان العماد حكمت الشهابي، وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام وسفيرا السعودية والكويت في لبنان الفريق علي الشاعر وعبد الحميد البعيجان ورئيس جهاز المخابرت في القوات السورية العاملة في «الردع» العقيد محمد غانم. وعاد السفيران الشاعر والبعيجان والعقيد غانم من دمشق الى بيروت، لتذليل بعض الصعوبات التي ما زالت تعترض تسوية وضع زحلة. وقد شملت هذه الإتصالات الوزير الياس الهراوي الذي أطلع الشيخ بشير الجميّل قائد «القوات اللبنانية» على نتائج إجتماع دمشق. واتصل الجميّل بعد ذلك بالرئيس الياس سركيس وتشاور معه في الموضوع، خصوصاً لجهة الضمانات لتنفيذ بنود الحل.

كذلك أجرى الجميّل إتصالات بالقيادات السياسية والروحية في زحلة، وأطلعها على أجواء الإتصالات، مشيراً الى أن حلّ الأزمة سيتحقق قريباً إذا سارت الأمور كما يجب.

صباح السابع من حزيران، عُقد في قصر بيت الدين اجتماع للجنة المتابعة العربية برئاسة رئيس الجمهورية اللبنانية الياس سركيس وضمّت وزراء الخارجية السعودي والكويتي والسوري واللبناني... وعمد رئيس الجمهورية إلى إثارة كلّ المشاكل، واحتدم النقاش خصوصاً عندما بحثت مسألة بقاء أو انسحاب قوات الردع العربية من لبنان تدريجياً، وكذلك عندما تمّ التطرّق إلى ضرورة «تطعيمها» بوحدات غير سورية، إذا بقيت في لبنان، وفي علاقات بعض اللبنانيين بإسرائيل، وفي القصف العشوائي إلى ما سوى ذلك من مواضيع خلافية بين اللبنانيين والسوريين.

كان عبد الحليم خدّام قاسياً جداً بحقّ بشير الجميل والكتائب والقوات اللبنانية، وقال: «تؤكد سورية تعاون فريق من اللبنانيين، الكتائب، مع العدو الإسرائيلي، وتمتلك من الوثائق والمحاضر ما يدلّ على مخطّطات رهيبة لتقسيم لبنان. وذلك من خلال ما عرضه بشير الجميل على العقيد محمد الخولي الذي عقد اجتماعات عدّة مع بشير من أجل مفاوضته وإقناعه بفكّ الارتباط مع إسرائيل»، وأبدى اقتناعه «بسوء نوايا بشير الجميل بصورة خاصة، وبالتالي



لجنة المتابعة العربية

صباح الصباح، سعود الفيصل، عبد الحليم خدّام، فواد بطرس

بما لدى حزب الكتائب من مخططات تعمل على سلخ هذه المجموعة من جسد الأمة العربية وجعلها معبّراً للشرور والاعتداءات الإسرائيلية». وهنا تدخّل وزير الخارجية الكويتية الشيخ صباح الأحمد الصباح قائلاً «إن التعاون بين الكتائب وإسرائيل يجب ألا يستمرّ مهما كانت الظروف، ونريد الآن أن نسمع من الرئاسة مدى إمكانية تحقيق هذا المطلب لأن هؤلاء الناس أصبحوا غير مرتبطين بلبنان كما هم مرتبطون بغيره. والمهمّ أن نقنع إخواننا الكتائبيين بأن يساعدونا ولا يضعونا غطاء لهم. نريد أن يظهر الكتائبيون روح التعاون بالإعلان عن فكّ ارتباطهم بالعدو وهذا من الأولويات ونحن لا نمانع في الاجتماع ببشير وبغيره ويمكن أن نوجد لهم مخارج».

وعندما سأل وزير الخارجية السعودية سعود الفيصل عن كيفية التحقّق من إقدام الكتائب على إعلان فك ارتباطها مع إسرائيل، أجابه رئيس الجمهورية: «عندما أعلنت مبادئ الوفاق، كان هناك بند أساسي يرفض أي تعامل مع إسرائيل. ووقّع كلّ الفرقاء على هذه المبادئ، من بينهم الشيخ بيار وبشير وكميل شمعون، فضلاً عن بقية الفرقاء المسيحيين. ما أريد قوله هو أن الخيار المسيحي لا يمكن أن يكون خياراً إسرائيلياً، صار هناك تعاط مع إسرائيل من قبل بعض الأفراد لتأمين السلاح. أنا شخصياً أتصور - مجرّد تصوّر شخصي - أنّه إذا أعطينا ضمانات لهذا الفريق المتخوّف الذي بدأ بشراء الأسلحة من إسرائيل للدفاع عن نفسه ينتهي الأمر».

حاول عبدالحليم خدام وقف أعمال اللجنة العربية إلى أن يقدّم قائد القوات اللبنانية بشير الجميل تعهّد فكّ الارتباط مع إسرائيل، وقد تقرّر أن تتابع اللّجنة مهمّتها من أجل الوصول إلى هذا التعهّد. وعهدت اللجنة إلى وزيري خارجية الكويت والسعودية الإتّصال بجميع الأطراف اللبنانية الأساسية بمن فيهم بشير الجميل. واتُّفق على أن تعقد لجنة المتابعة اجتماعاً تحضيرياً في السعودية في الثالث والعشرين من حزيران تعقبه جلسة للجنة في الرابع من تموز ١٩٨١، في قصر بيت الدين.

ويقول فؤاد بطرس[1]: «ترسّخ اعتقادي، بعد اجتماع لجنة المتابعة في بيت الدين، أنّ سورية لا تريد أن تسحب جيشها من لبنان حتى إشعار آخر. فهي تارة تتذرّع بخطر إسرائيل عليها، وطوراً بعدم أهلية الجيش اللبناني وعدم قدرته على تولي مهمات أمنية، بينما تحرص الحركة الوطنية على إتّخاذ مواقف تطعن في الجيش بشكل يدعم وجهة نظر سورية. وكان الرئيس الوزان حتى ذلك الوقت، على رغم مواقفه الشجاعة، يراعي إلى حدّ ما الحركة الوطنية في تهجمها على الجيش».

في الثالث والعشرين من حزيران، بدأت عند الخامسة عصراً في السعودية اجتماعات لجنة المتابعة العربية وحضرها وزراء الخارجية السعودي سعود الفيصل والكويتي صباح الأحمد الصباح، والسوري عبدالحليم خدام، واللبناني فؤاد بطرس، والأمين العام لجامعة الدول العربية الشاذلي القليبي وممثّله في بيروت محمود المعموري.

حاول وزير الخارجية السورية منذ اللحظة الأولى فرض إيقاعه على الاجتماع عندما قال: «إن سورية لن تقدّم أي تنازل إلا بعد أن يعلن حزب الكتائب في وثيقة رسمية تنديده بالتعامل مع إسرائيل». وبعد أخذ وردّ، وافق الوزراء على دراسة ورقة العمل اللبنانية، ولكنهم أكّدوا أنه لن ينفّذ منها شيءٌ قبل صدور الورقة الكتائبية المطلوبة.

في اليوم التالي، عقدت جلستان صباحية ومسائية، تميّزتا بالجدال الحادّ بين بطرس وخدام حول أمرين مهمّين هما: جدولة زمنية لإعادة تنظيم الجيش، وإقناع سورية بمبدأ «تطعيم» قوات الردع بوحدات عربية إلى جانب الوحدات السورية، إضافة إلى وضع برنامج لانتشار قوات الردع العربية في لبنان... بعد انتهاء اجتماع اللجنة العربية، أثمرت أخيراً الجهود العربية والدولية واللبنانية التي بذلت في سبيل إنهاء مأساة زحلة، وتمّ التوصل إلى إقناع السوريين بقبول انتشار ثلاثمئة وخمسين عنصراً من قوى الأمن الداخلي، وخروج مقاتلي القوات اللبنانية من المدينة بأسلحتهم الخفيفة في حافلات ركاب، في الثلاثين من حزيران (يونيو) بعد نحو ثلاثة أشهر على بدء المعارك والحصار».

---

(١) مذكرات فؤاد بطرس

الى بيروت

بعد ثلاثة أشهر من الدموع والدماء والدمار، تنفّست زحلة الصعداء. ففي صباح ٣٠ حزيران ١٩٨١، نُثر الأرز والزهور والعطور، ولوّحت الأعلام وعلت الزغاريد في استقبال عناصر كتيبة قوى الأمن الداخلي التي كانت مهمتها الإنتشار في مواقع المدافعين عن المدينة. وغصّت الحناجر، وترقرقت الدموع في المقل أثناء وداع المقاتلين.

شعور متناقض تماماً عبّر عنه أحد أبناء المدينة بقوله: «لم نكن نريد ترك الشباب الذين بذلوا دماً وعرقاً لتصمد زحلة، ولكن أيضاً لم يكن بإمكاننا رفض بشرى السلام واستقبال قوى الأمن... كنّا نستقبل رجال الشرعية اللبنانية، ونودّع المقاتلين بنفس الشعور والأحاسيس...».

كلّهم كانوا فرحين، ولكن بخوف وحذر. كان على المقاتلين سلوك طريق يحميها جنود كانوا في مواجهتهم لثلاثة أشهر. وكان أهالي زحلة قلقين من حصول خديعة يليها دخول السوريين الى المدينة والانتقام من رجالها الذين قاتلوا في الحرب. أمّا رجال الدرك، فكانوا يدخلون لتنفيذ مهمة جديدة مليئة بالمخاطر والأفخاخ.

سبق ذلك كلّه أسبوع من الإتصالات الحثيثة والتحرّكات المتصاعدة وجولات تفاوض بين غابي صايغ، رئيس فرع كتائب زحلة، وإبراهيم حويجي، العقيد السوري المسؤول عن جبل لبنان (ارتبط اسمه باغتيال كمال جنبلاط).

كان السوريون يطالبون بسحب المقاتلين المسيحيين غير الزحليين، مقابل سحب قوّات دمشق من التلال ومن الحيّ الصناعي، على أن تنتشر وحدة من الجيش أو من رجال قوى الأمن الداخلي في مواقعهم... في المقابل، ألحّ بشير الجميل على غابي الصايغ للحصول على انسحاب الجيش السوري من جبل صنّين، لكنه طلب منه إفهامهم جيداً أننا نفصل زحلة عن صنّين، وأردف أنه يجب خفض التوتّر حتى يُسمح للأهالي بأن يتنفّسوا.

لم يأت الإقتراح السوري على ذكر أي تعهد متعلّق بما سيحلّ بزحلة بعد رحيل المقاتلين المسيحيين. كان من الممكن أن يجتاحها السوريون، «للبحث فيها عن متّهمين»، ولإخضاعها لمشيئتهم أو لإرادة حزب لبناني يكون مقرّباً منهم. حول هذا الموضوع، لم يكن ممكناً إلاّ لسفراء لجنة الرقابة (الرعاية) وحدهم الحصول على ضمانات.

تخوّفت القوات اللبنانية كثيراً ممّا قد يحصل بعد عملية انسحاب المقاتلين، وقرّر المجلس الحربي إبقاء مجموعة من قوات النخبة في المدينة ...



لجنة التنسيق: المطران اسكندر، محمد غانم، الوزير الياس الهراوي



مجموعة من وحدات أدونيس بقيت في زحلة

اتصل بشير الجميل بحنا العتيق وسأله: «هل تريدون النزول الى بيروت مع الشباب؟». فأجابه الحنون: «الأمر لك باش، أنت ماذا تريد؟» فأجابه بشير: «يا حنون، أتمنّى عليك البقاء في زحلة لبعض الوقت لأننا لا نعرف ماذا سيحدث بعد تنفيذ الاتفاق».

كان الجواب: «متل ما بتريد قائد، كم من الوقت تريدنا ان نبقى؟». اجاب بشير: «شهر».

جمع الحنون ٢٧ شاباً من وحدات أدونيس وأبلغهم بما طلبه بشير وقال لهم : «أنا سأبقى هنا، وأنفّذ ما طلب منّي، ولكم الحرية في البقاء أو العودة الى بيروت؟» فكان الجواب بالإجماع: «كلّنا باقون معك».

بقي مع الحنون ٢٣ شاباً بعدما قرر هو إرسال ثلاثة الى بيروت (لهم أسبابهم الخاصة)، وهم: اندريه شاهين، اميل سلوم وطوني فتوح رافقهم شارل حبيقة.

بعد ذلك، اعلن بشير في ٢٩ حزيران أمام مجلس قيادة القوات اللبنانية الاتفاق على:

«- انسحاب جميع الوحدات الخاصة السورية المحيطة بزحلة.

- تسليم الدرك اللبناني طريق حوش الأمراء، المعلقة، منطقة الجسر، تمثال العذراء.

- خروج المقاتلين غير الزحليين من المدينة بواسطة أوتوبيسات قوى الأمن الداخلي».

يقول أحد المقاتلين: «كان هناك خوف لدى جميع المقاتلين العائدين الى بيروت من أن يكون هناك عملية مدبّرة أو كمين على الطريق لقتلنا جميعاً او اعتقالنا... رفضنا في بادىء الأمر النزول وترك المدينة، وقرّرنا البقاء في زحلة، لكنّ القيادة أقنعتنا أن العملية فيها ضمانات دولية وهي مدروسة بدقّة، وأن المملكة العربية السعودية والأميركيين وضعوا كلّ ثقلهم لإتمامها، وان السوريين أعطوا ضمانات للدول المعنية ولا يمكنهم نقض الاتفاق».

لم يكن كلّ المقاتلين الذين تقرّر خروجهم غرباء عن زحلة، بل كان ضمن القافلة مجموعة من أبناء المدينة صعدوا اليها عندما بدأت الحرب، وهم مقاتلون في صفوف القوات اللبنانية في بيروت. (مجموعة أبو حلقة نزلت بأكملها).

عشية ترك المدينة، جمع الياس الزايك كلّ المقاتلين وأجبرهم على إفراغ كلّ جعبهم من الرصاص والقنابل، وأبقى مع كلّ مقاتل بندقيته وممشّطين وقنبلتين يدويتين، تاركاً باقي الذخائر والأسلحة مع شباب زحلة... وهنا قال له جورج قزي متهكّماً: «أنا سأبقي معي رصاصتين فقط، لأنّني لن أتمكّن من إطلاق أكثر من ذلك قبل أن أموت على الطريق...».

ويقول قزي: «كان المطلوب ثلاثة أمور: أوّلاً: تسليم سلاحنا الى السوريين لدخول الدرك الى المدينة، وكان هناك رفض قاطع من الجميع، فتمّ ايجاد مخرج وهو تجميع سلاح غير صالح للإستعمال ليتمّ تصويره فقط...

ثانياً: أن ينزل المقاتلون من زحلة من دون أسلحتهم الفردية... فكان الرفض قاطعاً أيضاً، وتعقّدت الأمور من جديد... ثمّ سُمح بالنزول بالسلاح الفردي.

بعض الأسلحة التي سُلّمت للسوريين

ثالثاً: أن يصعد رجل مخابرات سورية الى كلّ حافلة لأخذ الأسماء. رفض هذا الأمر أيضاً بشدّة، فتدخّل الوزير الياس الهراوي، وسأل جورج قزّي: «ما الأمر؟». فأجابه: «لقد قرّرنا البقاء في زحلة، ولن نقبل بإعطاء أسماء الشباب للسوريين». فقال الهراوي: «يا أخي، لا تعطِهم اسمك، أعطهم الاسم الذي تريد».

صباح ٣٠ حزيران، حضرت باصات قوى الأمن الداخلي لنقل المقاتلين الذين تجمّعوا في حوش الأمراء بعدما أعطيت لهم تعليمات واضحة:

- ستتوقفون في كسارة، حيث سيتسلّم السوريون العتاد العسكري الذي وُضع في شاحنة (أسلحة قديمة وذخائر بآلية أشبه بالخردة، وهي فقط للتصوير وللإعلام، ليقول السوريون أنّهم تسلّموا أسلحة المقاتلين في زحلة).

- ممنوع الترجّل من الباصات والتحدث مع السوريين أو استفزازهم أو التفوّه بكلام ناب...

- سيصعد بعض عناصر المخابرات الى الحافلات لأخذ أسماء المقاتلين (على كلٍّ مقاتل ان يعطي الاسم الذي يريد وليس اسمه الحقيقي).

حمل كلّ رجل بندقيته مع ممشّطين وقنبلتين يدويتين، وصعدوا الى ثلاث باصات بعدما اتفقوا في ما بينهم على أنه في حال اطلاق أيّ رصاصة على أي حافلة في الطريق، يخرج الجميع بسرعة من الحافلات ويطلقون النار بشكل عشوائي على المحيط لتأمين الحماية، ويحاولون الإمساك بأكبر عدد من الرهائن، فيما كان سلاح مدفعية القوات اللبنانية مستنفراً تماماً لمواكبة العائدين على طول الطريق، متابعاً تحرّك الحافلات لحظة بلحظة، ومستعدّاً لقصف عنيف على أي نقطة قد يحصل فيها حادث ليؤمّن غطاءً نارياً للمقاتلين ليتصرّفوا... وكان جو إدّه المزوّد بجهاز- لاسلكي، يحدّد مواقع الناقلات لمرابض المدفعية.

صعد الياس الزايك ومانويل الجميل وسليمان الحاج موسى وكيروز بركات في الباص الأول، ومعهم شباب من زحلة كانوا مطلوبين لدى السوريين ...


الزايك أفرغ الذخائر من جعب المقاتلين

صعد شارل حبيقة وجوزيف الحاج (أبو حلقة) ومجموعته... في الباص الثاني.

صعد بوب حداد وجورج قزي والمغاوير... في الباص الثالث.

سارت أمام الباصات سيارة مدنية فيها الوزير الياس الهراوي والمطران جورج اسكندر والضابط السوري محمد الخولي، وقائد القوات في زحلة جو اده.

تقدّمت القافلة بحذر شديد يسبقها الشاحنة المحمّلة بالأسلحة حتى وصلت الى كسارة... وهناك أنزلت الأسلحة لتُسلَّم للسوريين ولتصوّرها الصحافة (لم تنطل خدعة الأسلحة القديمة على السوريين الذين كانوا متأكدين أنّه لا يمكن لزحلة أن تصمد ثلاثة أشهر بواسطة أسلحة بالية).

صعد رجل من المخابرات السورية الى الحافلة الأولى لأخذ الأسماء... فأعطيت له أسماء وهمية غير صحيحة... وعندما جاء دور الياس الزايك سأله: «ما اسمك؟» فأجابه: «الدكتور الياس الزايك». سجّل رجل المخابرات «الياس الزايك»... فأوقفه وقال له بلؤم: «الدكتور الياس الزايك».. فأجابه: «طيب بنسجلك دكتور»، فردّ الزايك: «هذه ليست من بيت أبيك». ثم سأل مانويل الجميل الى جانبه: «ما اسمك؟». فأجابه بنفس الطريقة: «الشيخ مانويل الجميل، سَجّل الشيخ مانويل الجميل..»


مانويل الجميّل

في الحافلة الثانية، أعطي رجل المخابرات أسماء مغلوطة... وفي الحافلة الثالثة، تفاجأ بأن كلّ المقاتلين أعطوه الاسم نفسه «جريس شلاويط ...». «شو كلّكن جريس شلاويط؟». أجاب الجميع: «كلنا جريس شلاويط».

باستثناء الزايك والجميل، لم يعطِ أي شاب اسمه الحقيقي، كما أن عناصر المخابرات ظنّوا أن بعض العناصر غير لبنانيين ولم يسألوهم عن أسمائهم.

بعد ساعة من التوقّف في كسارة، أكمل الموكب طريقه بإتّجاه تعنايل - سعدنايل...

في شتورا أمام مركز الحزب السوري القومي الاجتماعي، بدأ البعض ينشد «عالصخر بنحفر كتائب»، فطُلب منهم السكوت.

كان يزداد خفقان القلوب ويستبدّ شعور الانتصار بالمقاتلين كلّما اقترب الموكب من بيروت وأصبح حلم لقاء الأحبة والرفاق واقعاً...

انتشر الجيش السوري بكثافة على جانبي الطريق من زحلة حتى الجمهور... وضبط الوضع بشكل حازم وصارم خوفاً من حصول حادث يُفشل الإتّفاق.

بدأت أولى مظاهر الفرح في بلدة الكحالة، حيث وقف الأهالي على الشرفات وفي الشوارع ينثرون الورود والأرز

بشير ينتظر مع الرهبان والراهبات على طريق بعبدا

على الباصات ويطلقون الزغاريد...

في بعبدا، توقّف العائدون على مدخل القصر الجمهوري حيث استقبلهم الشيخ بشير الجميل والكهنة والراهبات المعتصمون...

دموع وعناق وقلوب ترقص وتهلّل... نشوة الانتصار تكبر وتتفاعل... ولكن ما هي الا لحظات حتى سمع دوي رصاصة انطلقت خطأ من بندقية بيار عيد أصابته، فسقط أرضاً وأسلم الروح... تحوّلت الفرحة الى غصة. فبيار نجا من كلّ الأخطار، لكنه سقط قبل اكتمال نشوة الانتصار...

استمرّ كل شيء طبيعياً، فاحتفال النصر قد أُعدّ.

في سن الفيل استقبال حاشد، أهازيج، نثر زهور وأرزّ، زغاريد وسيارات تطلق أبواقها بكثافة، القافلة في طريقها



جو إده وبشير والأباتي نعمان والمعتصمون
عند الوصول الى بعبدا

الى المجلس الحربي حيث الاحتفال الكبير...

«سيدي نُفّذ الأمر»: قالها جو اده لبشير الجميل لحظة الوصول الى باحة المجلس الحربي في الكرنتينا.

المطران جورج اسكندر تحدّث بإسم زحلة فقال: «أرفع صلاة شكر الى اللّه الذي بدأ يفتح أبواب الفرج بعد الإعتداءات الأخيرة على مدينة زحلة، وأشكر بإسمها جميع الذين دعموها وساعدوها من جميع الأطراف، وبكلّ الطرق التي استعملوها، وبنوع خاص الأبطال العائدين منها اليوم، هؤلاء الذين كانوا عنواناً للتضحية، والذين كتبوا مع زحلة صفحة مشرقة من تاريخ لبنان»

ثمّ اعتلى بشير الجميل المنصة وخطب بالعائدين: «بفضلكم، أخذت قضيّة المقاومة بعداً آخر، فقد صارت دولية بقدر ما هي لبنانية. في كلّ العالم، تشكّلت أركان أزمة، وتكاثرت الوفود، ونظّم الرهبان اعتصامات وصلّى البابا، ونشرت بطاريات صواريخ، واستنفرت أساطيل، ونحن ميّزنا الحلفاء من الأعداء. لولاكم لما تمكّنت الشرعية من دخول زحلة من الباب الواسع. تستطيعون الآن أن ترتاحوا الى ان زحلة بقيت لبنانية حرة...».



الوصول الى المجلس: ابراهيم حداد، شارل حبيقة، جو اده، أوغسطين تيغو، بشير والياس الزايك



الصحف غداة حلّ القضية والإنسحاب

الاربعاء ١ تموز ١٩٨١

وصل العائدون من زحلة في سيارات أوتوبيس لقوى الأمن الداخلي، وهم بلباسهم الميداني ومعهم أسلحتهم وذخائرهم بمواكبة وزير الأشغال العامة الياس الهراوي والمطران جورج اسكندر راعي الأبرشية المارونية في زحلة والعقيد محمد غانم رئيس جهاز المخابرات في القوات السورية العاملة في «الردع». وفي منطقة الجمهور انفصل عنهم العقيد غانم، وواكبتهم قوة من فرقة المكافحة حتى الحازمية حيث حضر لاستقبالهم عدد من أبناء المنطقة ونثروا عليهم الورود وقرعت أجراس الكنائس ترحيباً.

وفي محلّة «الجسر الواطي» في سن الفيل، كان وزير الإسكان والتعاونيات الدكتور سليم الجاهل والشيخ بشير الجميّل وأركان «القوات اللبنانية» وأعضاء في المكتب السياسي الكتائبي وحشد من الأهالي. وقد صافح الشيخ بشير العائدين فرداً فرداً وعانقهم باكياً. وكذلك فعل المستقبلون.وانتقل العائدون الى مكان إعتصام الرهبان والراهبات على طريق القصر. وألقى المطران اسكندر كلمة في المعتصمين ناقلاً إليهم تحيات مطارنة زحلة وكهنتها ورهبانها وأهاليها ومقاتليها وشكرهم لهم.

ثم تحدث الشيخ بشير الجميّل فقال: «هذا نهار أبيض آخر للمقاومة اللبنانية (...) إن التهديد الذي تعرّض له ٢٠٠ ألف مسيحي في منطقة معينة قد زال بفضل المقاومة الداخلية في زحلة وبفضل الصلاة والإعتصام والمقاومة الحضارية هنا، وبهذه الطريقة نتميّز عن غيرنا ونستطيع أن نربح وننتصر. ونأمل في أن يكون هذا اليوم طالع خير للمناطق الأخرى، على أمل أن يعود كل لبنان حراً».

في فرن الشبّاك، استقبلت العائدين تظاهرة شعبية، ومنها انتقلوا الى ثكنة الـ«اس ك اس» في الأشرفية حيث وافاهم رئيس حزب الكتائب الشيخ بيار الجميّل، وعانقهم فرداً فرداً، ثم توجه المقاتلون الى المستشفيات حيث يعالج جرحى زحلة واطمأنوا إليهم. وعند الظهر أقيمت مأدبة غداء على شرفهم.

حفلة تكريم

وفي الثالثة والنصف من بعد الظهر أقيم إحتفال لتكريم العائدين في «مجلس الأمن الكتائبي» حضره الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميّل والوزير الجاهل والنواب السادة الياس الخازن وأمين الجميّل وإدمون رزق والمطران اسكندر والأباتي بولس نعمان والأباتي مخايل أبو فاضل ونائب رئيس الكتائب الدكتور إيلي كرامه والأمين العام للحزب المحامي جوزف سعاده ورئيس الرابطة المارونية المحامي شاكر أبو سليمان وأعضاء المكتب السياسي الكتائبي و«القوات اللبنانية». وكان عريف الإحتفال فؤاد روكز.

بعد النشيد الوطني عرض الرئيس شمعون والشيخ بيار الجميّل ونجله بشير المشاركين في الإحتفال، وهم من فرق المغاوير والمدرعات والمشاة والإسعاف والمدفعية. ثم دخلت الفرقة العائدة من زحلة يتقدّمها الشيخ بشير الجميّل وقائدها المحامي جو اده ومعاونه الدكتور الياس الزايك، فصافحوا الشخصيات الموجودة. ثم تقدّم إده من المنصّة وخاطب الشيخ بشير قائلاً: «سيدي القائد، عملاً بتعليماتكم نفّذ الأمر». ثم قرعت الطبول وتقدّم شمعون والجميّل والشيخ بشير وجو اده وإيلي الزايك وغبريال صايغ رئيس أقاليم الكتائب في البقاع ومسعود الأشقر مفوض بيروت ووضعوا أكاليل على النصب التذكاري لـ«القوات اللبنانية». ثم مُنح العائدون ميداليات زحلة التذكارية.

تحدّث المطران اسكندر باسم زحلة، فرفع صلاة شكر الى الله «الذي بدأ يفتح أبواب الفرج على زحلة بعد محنتها القاسية» وشكر الذين دافعوا عنها وشاركوا في صمودها.

ندوة صحافية

وعقد اده والزايك ندوة صحافية أكدا فيها: «أنّ زحلة تحوّلت ثكنة لأن الزحليين يحملون السلاح من إبن ١٦ عاماً الى ابن ٤٥، وكانوا جميعاً يقاومون (...) كل الشعب في زحلة يقاوم». وذكر اده أن الأشهر الثلاثة الماضية كانت

قاسية «وكل يوم كان يحمل معه مغامرة، وفي كل لحظة كنا نتلقى معلومات تبدو من الناحية العسكرية كأن سوريا بكاملها احتلت زحلة، وعندما راح السوريون يقصفون المدينة بمدفعيتهم الثقيلة وقذائفهم الصاروخية ومصفّحاتهم، يمكنكم أن تتأكدوا أن معنوياتنا إرتفعت جداً لأنه، بعد سقوط أي واحد كان يحلّ محله فجأة والده أو شقيقه أو ابنه . وقد عزلت المدينة عن الجبل منذ اليوم العاشر لبدء الحوادث، وبدأ السوريون محاولات لدخولها واحتلال المحور الرئيسي على الأخص، لكنهم لم يفلحوا في ذلك وقد خسروا الكثير من الرجال والآليات».

وذكر الزايك أن «القوات اللبنانية» صدّت محاولتي تسلل الى قاع الريم و«حصلت التحامات خصوصاً على الطريق الدولية».

وركّز اده على أن الحرب في زحلة «كانت حرب مقاومة (...) والمعنويات كانت مرتفعة جداً والـ ٩٥ مقاتلاً الذين خرجوا من المدينة هم ليسوا إلاّ جزء، فجميع الزحليين يستمرّون في المقاومة وهناك كادرات زحلاوية ذات مستوى مهم جداً. وأشار الى أن عدد الضحايا من المواطنين فاق المئتين».

ورداً على سؤال قال: «وقّعت إتّفاقات ويجب أن تحترم، والحلّ يدل على أن زحلة للزحليين وهي لبنانية، وأنها حُرّرت فعلاً، ومعركة زحلة حققت نصراً للقوات اللبنانية منذ الأيام الثلاثة الأولى (...) إن إرادة الزحليين كانت وما تزال قوية، وعندما خرجنا كان الزحليين لا يريدون أن نخرج بل كانوا يريدون إستمرار النضال، حتى إنهم كانوا لا يريدون الإتفاق لأنهم لا يثقون بأي إتفاق مع السوريين، لكنهم سلّموا بالإتفاق لأنهم يثقون بقائد القوات اللبنانية ويعرفون أن هذا الإتفاق مكفول دولياً».

وأوضح اده أن «الزحليين اعتادوا التموّن لبضعة أشهر خلال الشتاء، ما أتاح لهم الصمود داخلياً، وقد افتقدوا بكلّ تأكيد الى مواد كثيرة، وعلى الرغم من ذلك صمدوا وفرضوا احترامهم».

الاربعاء ١ تموز ١٩٨١

نقلت وكالة «رويترز» من دمشق عن الوكالة العربية السورية للأنباء «سانا» قولها إنه: «تمّ إغلاق كل المكاتب الحزبية وتجميع الأسلحة التي خلفتها ميليشيات الكتائب في مدينة زحلة في لبنان». وأضافت: «أنّ قوة الردع حرّرت مدينة زحلة من عصابة الكتائب وإرهابها المسلّح ومحاولتها فرض التسلّط على أهالي زحلة (...) وقد تمّ ذلك نتيجة الإتصالات والمشاورات التي أجريت في الأيام الأخيرة بين سوريا والسلطة الشرعية اللبنانية وجهات عربية، وتم إخراج ٩٧ كتائبياً سلموا أسلحتهم الى قوات الردع العربية قبل أن يسفّروا الى خارج المدينة بإشراف قوى الأمن الداخلي».



الصفحة ٦ "النهار"

في تكريم مقاتلي "القوات اللبنانية" الـ ٩٥ العائدين من زحلة

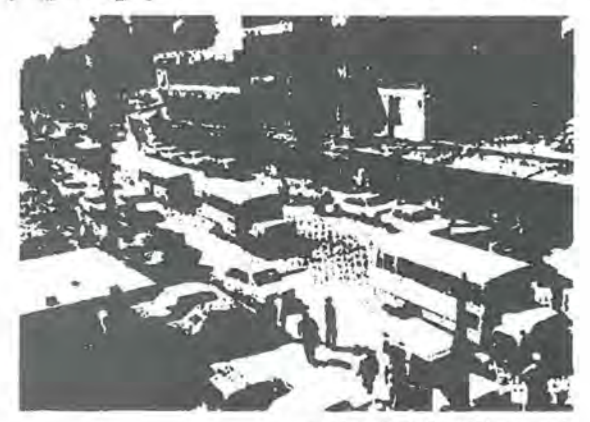
بشير الجميّل: صمودكم غيّر معادلات واسقط سياسات ومؤامرات ولولاه لما كانت الشرعية دخلت زحلة والقضية اخذت حجماً دولياً

عروس البقاع خرجت من طوق عزلة حبستها وسط الدم والدموع ٩٠ يوماً

قوى الأمن دخلت زحلة صباحاً ومسلحو "القوات اللبنانية" غادروها بمواكبة

الطريق الدولية تفتح غداً بعد استكمال التمركز ونزع الالغام وازالة "الأشكالات"

المحافظ: الاتفاق يلحظ فك الحصار فوراً وتأمين حرية التنقل أمام الجميع



قافلة مسلحي "القوات اللبنانية" تعبر شتورة.



خروج قافلة مسلحي "القوات اللبنانية" من زحلة.



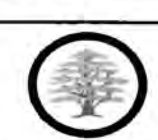
حول الدرك، وبعد هوش الاعراء.



طليعة القوة الامنية قرب حاجز "الردع" في كسارة.



المحافظ لحود وضابط الارتباط في شتورة المقدم اسعد شديد، ابراهيم الطويل، ورافع اسماعيل



القوات اللبنانية

هيئة الاركان العامة

امانة السر

بيروت في ٣٠ / ٧ / ١٩٨١

الرقم ٢٠٤ / أ.س.

لحضرة الرفيق ________ المحترم

الموضوع : تنويه وشكر .

بصمودك في معركة زحله الشهيرة ، واستبسالك القتالي لشق طريق المستقبل ببندقيتك ، ووقوفك امام الاعداء للمحافظة على ارض الوطن ، وخوضك اشرس المعارك في احلك الظروف للدفاع عن القضية اللبنانية ، برهنت عن شجاعة المقاتل المنتصر لا يأبه الشدائد مهما كبرت .

وتقديرا منا ، اوجه التنويه والشكر لرفيق بذل دمه في سبيل القضية الواحدة لتكريس خط المقاومة اللبنانية ، آملا الثابرة بهذه التضحيات والصمود في أرض المعركة لنتوصل سويا الى تحرير كافة الارض اللبنانية .

قائد القوات اللبنانية



بشير الجميل

صورة عن شهادات التقدير التي سلمها بشير الجميل للمقاتلين العائدين من زحلة

كتبت مي كحالة:

صباح الخير زحلة!

حزنك خرج الى الشمس وذاب. وفرحك انهمر دموعا روت يباس القلب بعد طول شقاء.

زحلة خرجت امس تلوح بيديها لتمحو طوق العزلة الذي حبس ٩٠ يوما من ربيعها في قمقم معتم. وحمها دهشة فرح ودمعة حسرة. ولوم، لانها العروس تأخر موكب الزفاف ليحملها الى الفرح.

صباح الخير في زحلة كان أمس قدوم قوى الامن الداخلي مثل عريس تأخر كأنه كاد ان ينسى ان الورود والعطور وماء الورد له. وصل اخيرا فماجت له الفيحاء ونثرت على طريقه املها وفرح العودة الى الهواء والنور.

اطفال زحلة كانوا الاكثر فرحا في بكائهم لان عطلتهم كانت انزواء وخوفا بدلا من ركض في الكروم وقطاف كرز احمر ذوى على امه. امس ركضوا في الشوارع يسترجعون "شيطنة" اشتاقوا طعمها كثيرا.

القوة تتحرك

منذ الثانية فجرا، تحركت قوة الامن الداخلي المرسلة الى زحلة من سرايا بعبدا بقيادة العميد سليم درويش، وقوامها ٢٥٠ عنصرا من كل المناطق بمصفحاتها وسيارات النقل والشاحنات.

وفي ساعات الصباح الاولى وصلت الى شتورة، في حين كانت سرية تنطلق من ابلح لتوافيها الى مدخل زحلة في حوش الامراء. في الوقت ذاته كان قائد سرية الدرك في زحلة المقدم رفيق الفغالي الذي حرص على العودة الى المدينة ليل الاثنين بعد اجتماع مع المسؤولين عن "الردع" في مركزهم في شتورة، يشرف على تنفيذ ما اتفق عليه من تجميع المسلحين الذين هم من خارج زحلة بحيث يتم اجلاؤهم قبل دخول الدرك المدينة.

وفي الخامسة وصل الى حوش الامراء مطارنة زحلة السادة اغناطيوس فرح وجورج اسكندر واسبيريدون خوري، ينتظرون وصول قافلة قوى الامن. وفي السادسة والدقيقة الـ٤٥ وصل الوزير الياس الهراوي الى مدخل المدينة يرافقه محافظ البقاع السيد هنري لحود وقائد القوة العميد سليم درويش. وفي السابعة تماما كانت طليعة آليات الدرك تتوقف امام حاجز "الردع" في محور كساره – تل شيحا الذي يشرف عليه تمثال العذراء. وكان النقيب احمد مروان من جهاز المخابرات السورية يجري اتصالات مع قوى الامن والوزير الهراوي حول تفاصيل تنفيذ الخطة. ولوحظ ان الهراوي قام بجولات بين حوش الامراء وكسارة، فكان مع المقدم الفغالي يشرف على جمع مسلحي "القوات اللبنانية" ثم ينقل التطورات الى قيادة "الردع" في شتوره. وفي السابعة والدقيقة الـ٣٥ خرج الهراوي الى شتورة ليعود الى زحلة تتبعه هذه المرة اوتوبيسات لقوى الامن معدة لنقل المسلحين المقرر اجلاؤهم.

عندما بدأ تحرك قافلة قوى الامن: فاجتازت الحاجز الاخير لـ"الردع" في كساره لتصل بعد اقل من ٥٠ مترا الى حاجز "القوات اللبنانية" في حوش الامراء حيث كان ٩٥ عنصرا يصعدون الى الاوتوبيسات تتقدمهم وترافقهم ثماني مصفحات لقوى الامن. وساروا في اتجاه شتورة قرابة الثامنة تتقدمهم سيارة الوزير الهراوي ومعه المطران اسكندر وقائد قوة المغاوير في "القوات اللبنانية" المحامي جو اده. وانضم اليهم في شتورة العقيد محمد غانم الذي صعد الى سيارة الهراوي. وتابع الجميع طريقهم الى الجمهور مرورا بحمدون وعاليه.

ولوحظ ان مسلحي "القوات اللبنانية" كانوا بلباسهم العسكري ويحملون اسلحتهم الفردية. وسلموا الى "الردع" اسلحة متوسطة منها مدافع وراجمة صواريخ ورشاشات ثقيلة.

في زحلة

الصحافيون والمراسلون الاجانب منعوا من دخول زحلة. وقال لهم العميد بطرس يونس قائد منطقة البقاع العسكرية: "نرجو ان تكون هذه القضية انتهت. ولا اعتقد انه ستقع اي اضطرابات اخرى في زحلة".

"النهار" تمكنت من دخول المدينة: فرافقت قافلة الدرك من حوش الامراء الى السرايا.

عند متراس "رور آر" في حوش الامراء، قال احد المسؤولين عن "القوات اللبنانية": "دخول الدرك يشعرنا بالاطمئنان وصار في امكاننا التخفيف من الاحتراز حتى تأخذ الشرعية دورها. نأمل طبعا في ان يتسلم الدرك الحواجز بحيث يكون الردع في سعدنايل وقوى الامن اللبنانية في كساره".

الملفت ان اهالي الحي الغربي قرب حوش الامراء حيث كانت تتمركز "القوات المشتركة" خرجوا يتفرجون على الدرك عند وصولهم. وبدت بيوت حوش الامراء شبه مدمرة. خصوصا لجهة السكة الحديد التي انهارت فوقها بناية العبسي على ٣٥ شخصا.

"اهلا بمالطلة"

وفي الثامنة والنصف تماما ووسط حشد من الاهالي كان ما زال يحتمي السلبات: عبرت قافلة الدرك متراس "رور آر" وتوقفت قليلا لتجمع الآليات والعناصر. وفي التاسعة الا خمس دقائق انطلقت من جديد، فاستقبلها الاهالي بالزغاريد والتصفيق ونثروا الرز والورود وماء الزهر والعطور وهتفوا لرجال الدرك "اهلا بمالطلة".

وكانت الدموع اغزر من الرز الذي رشقت به الآليات، فيما راح الصغار يوزعون الرنسق الاحمر والابيض ويبكون ايضا.

عند جسر زحلة بدت المدينة شبه خالية وآثار معركة عنيفة بارزة: اشرطة الكهرباء والاعمدة مقتلعة من اماكنها، جدران متاجر ومنازل تواها الحريق، ركام البنايات. وبعبورهم الجسر اطلق سائقو الاوتوبيسات والشاحنات زمامير سياراتهم فتراكض الناس الى الشرفات: ونزلوا الى الطريق غير مصدقين ان الفرج اتى اخيرا. وكان الترحيب انفجارا من الفرح والبكاء في آن: حتى ان بعض النسوة رقصن امام الشاحنات. وبدت البنايات على طول البولفار وقرب قصر العدل وساحة الزهر والسرايا اقل تضررا منها في حوش الامراء. امام السرايا تجمع الناس بالمئات ووقف على شرفتها المحافظ لحود والمقدم الفغالي وهما باديا الارتياح للاستقبال الذي اعده الزحليون للدرك.

تصريح المحافظ

وقال لحود لـ"النهار": "جئت الى كسارة الساعة ٥:٣٠ صباحا وانتظرت مع ضباط الارتباط وكبار ضباط الردع وصول موكب قوى الامن الداخلي. وعندما وصل الى كسارة دخلنا زحلة حيث استقبلنا الاهالي بحماسة منقطعة النظير وتحلقوا واحتشدوا في الساحات العامة والفرحة تغمر الصدور".

واضاف: "حضورنا الشوري هو لمباشرة الخدمات الضرورية وتوزيع قوى الامن وتثبيت اقدامها في المدينة لتتولى مهماتها كاملة. وعقدنا فور وصولنا اجتماعا في السرايا حضره المطارنة ودرسنا الوضع من كل جوانبه واتفقنا على عدد من القضايا وعلى التنسيق في العمل لاعادة انطلاق الشرعية لانها ملاذ جميع الزحليين والبقاعيين ولانها لهم جميعا ونابعة منهم".

وعن فتح الطريق الدولية: "اعتقد ان الطريق اصبحت مفتوحة منذ اليوم امام الجميع لدخول زحلة او الخروج منها. فقد ارتفع الطوق عن المدينة لان الاتفاق الاساسي لهذا الحل انا وضعته بخط يدي منذ شهر ونصف شهر في شتورة مع المعنيين في الردع: وهذا الاتفاق يقضي بعد دخول قوى الامن الداخلي بفك الحصار عن المدينة فورا وتأمين حرية التنقل امام المواطنين".

الطريق مقفلة

وفي حين كانت ساحة السرايا مشهد فرحة اللقاء بين الاهالي والدرك: علم ان الطريق الدولية لم تفتح امام المدنيين، وانه اتفق على البحث في هذا الامر في اليومين المقبلين وبعد تنفيذ كل بنود الاتفاق الذي تم بعد امرين: دخول الدرك زحلة وانسحاب المسلحين غير الزحليين منها.

ولذلك عقد العميد درويش والمقدم الفغالي وجميع ضباط القوة التي دخلت المدينة اجتماعا وبحثوا في خطة الانتشار على الطريق الدولية والطرق العامة والفرعية. وتقرر طلب فرقة من الجيش اللبناني لمسح اماكن تمركز قوى الامن ونزع الالغام وتعطيل القذائف التي لم تنفجر.

وفي السادسة مساء طلب من عناصر قوى الامن التوجه الى تمثال العذراء لتسلم هذا المركز بعد انسحاب "الردع" منه.

ووصلت قوة الجيش فاستقبلها الاهالي بالترحاب.

ويبدو ان خطة التمركز الاولية بالنسبة الى الطريق الدولية تقضي بتمركز قوى الامن في بناية شعبان في المعلقة وعلى مدخل زحلة وفي بناية ابو عقل في اول حوش الامراء الى جهة كسارة. وربما تم هذا التمركز في الساعات الاولى صباح اليوم فيعاد فتح الطريق غدا الخميس على الارجح.

وبدا الوضع الامني هادئا في زحلة لولا القنص على طريق قاع الريم الذي منع الاهالي من العودة الى بلدتهم. وقابل وفد منهم المقدم الفغالي طالبين تأمين طريق عودتهم.

"الحركة الوطنية"

● في شتوره ادلى مصدر مسؤول في "الحركة الوطنية" في البقاع ببيان قال فيه "ان عملية انسحاب المسلحين الغرباء من زحلة وتنفيذ التدابير الامنية في المدينة ومحيطها تمت وفق الخطة المرسومة بعد سلسلة مناورات ومماطلات من عصابات الكتائب وبعد تزايد الضغط الشعبي الزحلي ونتيجة خيبة امل الكتائب من اي مساعدة اسرائيلية وفشل رهانهم على عملية انقاذ اسرائيلية بعد الهزيمة العسكرية التي لحقت بهم والطوق العسكري والشعبي والسياسي الذي فرض عليهم".

واضاف: "ان نصمد خروج زحلة واعادة بناء ما تهدم في النفوس والمصالح واعادة العلاقات الطبيعية مع المنطقة رهن بتنفيذ هذه الاتفاقات كاملة وقطع دابر النشاط التخريبي والهدام (...)".

واعتبر البيان ان "الاسلحة التي سلمت الى الردع اقل كثيرا من الاسلحة الموجودة".

المعلومات الرسمية

● في بيروت اذيعت المعلومات الرسمية الآتية:

"باشرت قيادة قوى الامن الداخلي تنفيذ الخطة الامنية في زحلة بكل مراحلها وكانت تعطي الافادات تباعا عن سير العملية الى رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة. وقد اثنى جميع المراقبين من سياسيين وعسكريين على سرعة تنفيذ الخطة الامنية لمدينة زحلة ابتداء من تجميع القوى وانطلاقها بكامل عديدها وعتادها ووصولها بكل دقة في الوقت المحدد لها وتوزعها على المراكز المختلفة وفقا للمهمات الملحوظة في الخطة الامنية. واثنوا على الانضباط وحفظ المظهر والهندام وهذا ما يكسب الثقة بهذه القوات وبانها سوف تعمل بكل تجرد في سبيل تأمين الامن والاستقرار للمواطنين لان للمواطن حقا علينا في توفير المزيد من الطمأنينة والهدوء كي يحيا ويمارس اعماله بحرية وامان".

"سانا": "الردع" حرر زحلة واغلق المكاتب الحزبية

نقلت وكالة "رويتر" من دمشق عن الوكالة العربية السورية للانباء "سانا" قولها انه "تم اغلاق كل المكاتب الحزبية وتجميع الاسلحة التي خلفتها ميليشيات الكتائب في مدينة زحلة في لبنان". واضافت "ان قوة الردع حررت اليوم (امس) مدينة زحلة من عصابة الكتائب وارهابها المسلح ومحاولتها فرض التسلط على اهالي زحلة (...) وقد تم ذلك نتيجة الاتصالات والمشاورات التي اجريت في الايام الاخيرة بين سوريا والسلطة الشرعية اللبنانية وجهات عربية. وتم اخراج ٩٧ كتائبيا سلموا اسلحتهم الى قوات الردع العربية قبل ان يسفروا الى خارج المدينة باشراف قوى الامن الداخلي اللبناني".



بشير يقلّد بركات وسام زحلة

حبيب نمّور وريمون رزق

إده، بركات، خوند، الزايك

ابراهيم حدّاد، أوغسطين تيغو، كيروز بركات، شارل حبيقة

جوزيف الحاج، حداد، تيتو، بركات، حبيقة

زحلة بعد الرحيل

بعد جلاء المقاتلين، أوفد بشير الجميل جوزيف الياس الذي دخل مع قوّة الدرك بقيادة رفيق فغالي للعمل مع الأهالي، فيما أصبح حنا العتيق المسؤول العسكري في زحلة، وتولّى جورج سماحة الشعبة الثالثة.

قام جوزيف الياس بتشكيل لجان شعبية تهتمّ بالبنى التحتية وبتأمين ما يحتاجه السكان، وإعادة الإعمار والتنظيم، ويقول الياس: «رجعت الى المدينة مع قوى الامن الداخلي. كانت زحلة مدمرة: حوش الأمراء، المعلّقة، الحمّار، المدينة الصناعية... مهدّمة تهديماً شبه كامل.

تلقّينا أمراً بتعزيز مواقعنا، في الوقت الذي حافظ السوريون على مواقعهم حول المدينة من الجسر حتى تمثال العذراء. كان علينا أن نتفرّغ من أجل الترميم وإعادة الإعمار. كان كلّ شيء في حالة شلل تام. قدّمنا المساعدات للسكّان بالتعاون مع وزارة الإسكان، حاولنا إعادة توزيع الخدمات العامة. لم تعد التحدّيات السورية تؤثّر فينا... لأول مرّة في حقبات تاريخ المدينة، تكون زحلة عرضة لمشكلة البطالة. عدد كبير من أبنائها يفتّشون عن عمل في الخارج. أسواق بر الياس وسعدنايل تزاحم أسواق زحلة التي كانت نقطة التقاء في المنطقة. عدد زائري المدينة يتدنّى بسبب من يراقب مداخل المدينة. والأخطر من هذا كلّه، كانت الأزمة النفسية. عدد كبير من أهالي زحلة لم يغادروا المدينة منذ فترة طويلة... ويكفي الشعور أنهم مرغمون على البقاء في مكانهم، ليكون الأمر مرعباً. انهيار الأعصاب كان يفتك بالمواطنين... أجواء التوتّر كانت لا تزال مسيطرة وصوت الدولة كان يصلنا بصعوبة...»[١]



جوزيف الياس والمقدّم رفيق فغالي

كان حنا العتيق على تنسيق يومي مع جوزيف الياس من أجل المحافظة على المواقع التي تسلّمها الدرك، واستقرّت الوحدة التي بقيت معه في كازينو عرابي ، الذي كان صاحبه يؤمن للشباب كلّ ما يحتاجون.

كانت مهمة وحدة أدونيس مراقبة تنفيذ الإتفاق وضبط الحوادث في حال حصولها. ففي قاع الريم، اشتبكت قوة من الدرك بإمرة النقيب فيليب متى مع جنود سوريين حاولوا منع الاهالي من تفقّد أرزاقهم وبساتينهم في محيط البلدة بعدما استحدثوا مركزاً بين قاع الريم وحزرتا.

حاول النقيب متى التفاوض معهم طالباً منهم التراجع وعدم التعاطي مع الأهالي، فتطوّر الأمر الى اشتباك لنحو ساعة ونصف، فتحرّك شباب وحدات أدونيس بسرعة الى قاع الريم، لكنّهم لم يتدخلوا في الإشتباك الذي عاد

(١) مجلة المسيرة ١٣ نيسان ١٩٨٣.



في كازينو عرابي بعد الحرب

وادي العرايش

وعولج قبل تفاعله.

في حادث آخر، حاولت مجموعة سورية التقدّم الى تلة جحا، فأبلغ الحنون العميد سليم درويش، آمر وحدة الدرك، مهدّداً بالتدخّل لردّهم. فأجرى العميد درويش اتّصالاته وتراجع السوريون الى مواقعهم، واستلمت قوة من الدرك تلة جحا. كما حصل اشتباك بسيط لم يتطوّر في المعلّقة بين الدرك بإمرة الملازم الأول سلامة ومجموعة سورية.

استمرّ شباب زحلة لفترة طويلة في مواقعهم يحرسون المتاريس ليلاً، يُرافقون رجال الدرك حتى أحسّوا ان الأمور بدأت تستقر... وكانوا يتجمّعون ليلاً في المراكز وفي صالون كنيسة مار نقولا الذي تحوّل موقع قيادة.

التذخير والهروب

في اليوم التالي لانتهاء حرب زحلة، بدأ عناصر جهاز الامن والاستخبارات بقيادة ايلي حبيقة ينقلون السلاح يومياً بسيارات مجهّزة الى المدينة. وفي خلال أسابيع، عاد احتياط الأسلحة الى زحلة وتأمّن كلّ ما كان ينقص المدينة من ذخائر وعتاد عسكري.

بعد شهر على استقرار الأوضاع، طلبت قيادة القوات من «وحدات أدونيس» العودة الى بيروت. كان أمامهم خياران: إما العودة عبر الجرد ليلاً مع ما تحمله هذه المغامرة من مخاطر لأن السوريين ثبّتوا مواقعهم وسيطرتهم على كل التلال[1]، وأما النزول الى بيروت براً بطريقة مموّهة.

تغلّب الخيار الثاني لا سيما بعد الاتفاق مع أحد ضباط الدرك في زحلة (بيار) على خطة محكمة قضت بأن يرتدي شباب الوحدات بزّات الدرك العسكرية ويحلقون ذقونهم.

(١) كانوا استطلعوا الطريق أكثر من مرّة، وكان هناك بعض المنافذ التي بإمكانهم سلوكها، ويروي جورج سماحة: «بعد نحو أسبوعين من تنفيذ الاتفاق، وبعد استتباب الأوضاع، طلب مني الحنون مرافقته ليلاً الى وادي العرايش وهناك أخبرني ما يدور في ذهنه، وبأنه قرّر استكشاف إمكانية ترك زحلة في حال اضطررنا لذلك، أو في حال طُلب منا ذلك. تسلّلنا في الوديان بين مراكز القوات السورية وسرنا نحو ساعة ونصف، ولمّا تأكّدنا اننا اصبحنا وراء خطوط السوريين، عدنا الى زحلة بالطريقة نفسها... وهذه الطريق كنّا سنسلكها في حال قررنا الخروج من زحلة والهروب عبر الجرد...»


حنا العتيق

جهّز النقيب بيار عدداً من سيارات الدرك، وُضعت الأسلحة في صناديقها، واستقلّ هو السيارة الأولى والى جانبه حنا العتيق. وصعد الشباب في باقي السيارت وانطلقوا بموكب واحد من زحلة الى بيروت.

ويقول الحنون: «كانت العملية مُحكمة أمنياً وسرّية ومفاجئة، اذ لم يعلم أحد بتوقيتها، لا الشباب الذين نزلوا ولا القيادة في بيروت، كنّا مضطربين في البداية، وكانت السيارات تتوقّف عند الحواجز السورية فيسمح عناصرها لنا بالمرور عندما يشاهدون لباس الدرك».

وصل الشباب الى المجلس الحربي في بيروت. بدّلوا ملابسهم وأعادوا بزّات الدرك الى النقيب بيار.

كان ايلي حبيقة قد أرسل أشخاصاً من جهاز الامن الى قرية الهدّ في عكار نقلوا أهل الحنون الى منزل في الحازمية خوفاً من أن يعرفهم السوريون... وذلك بعد أن ذاع صيته في زحلة. وأثناء مغادرته المجلس، سأله ايلي حبيقة: « الى اين ستذهب»، فأجابه: «الى الثكنة في ادونيس».

فقال له: «ألا تريد ان تزور اهلك في الحازمية...»؟

تأسيس الصدم

استغلّ حنا العتيق الشهر الإضافي الذي أمضاه في زحلة، وكتب تقريراً لبشير الجميل عمّا حصل في المدينة أثناء الحرب وضمّنه «ظروف المعركة وطريقة القتال في مكان محاصر، وكيفية استثمار الخبرة العسكرية التي اكتسبوها لإجراء تغيير نوعي في آدائهم القتالي».

وأورد في تقريره الثغرات والحاجات والأخطاء لضمان عدم تكرارها، إضافة الى إدارة المعركة والتنسيق بين القطعات والتموين.. فالقتال ضد الجيش السوري مختلف تماماً عن القتال ضد ميليشيات محلية. وبنى الحنون تقريره على نظرية جديدة تلحظ القتال بمجموعات صغيرة وراء خطوط العدو، واستغلال القدرات الفردية للمقاتلين لأنه لا امكانية لمواجهة جيش نظامي يملك كلّ العديد والعتاد اللذين يؤمنان له التفوّق والحسم في أرض مفتوحة...»

في نهاية التقرير، اقترح الحنون على بشير الجميل إنشاء «وحدة الصدم»، وبعد ساعات من تسلّمه التقرير، استدعاه بشير وناقش معه مطوّلاً مضمون التقرير، ثم تتالت الاجتماعات قبل أن يطلب بشير من الحنون المباشرة بتأسيس فرقة الصدم بعد الاتفاق على هيكليتها ومهماتها وتشكيلتها التي كتبت أحرفها الاولى في كازينو عرابي في زحلة.

أوسمة أدونيس

بعد اسبوع من نزولهم الى بيروت، زار بشير الجميل ثكنة وحدات ادونيس وقلّد رجالها أوسمة زحلة لأنّهم لم يتسلموها في احتفال المجلس الحربي.



شارل حبيقة

جوزيف ناصيف (الجعفر)

متري سيمون (الحاج)

نزار نجاريان وطوني ملحمة

جان خوري (البوي)

عدنان سيف الدين (أبو مارون)

فعاليات زحلة في لقاء مع بشير بعد الحرب: ويبدو الوزيران سكاف والهراوي

ما وراء الحرب

تهريب أسلحة

– جنّد ايلي حبيقة، من خلال عمله المخابراتي، بعض المواطنين البقاعيين فأرسل بواسطتهم أسلحة مخبّأة في شاحنات صغيرة من سعدنايل الى حوش الأمراء. كانت السيارات والشاحنات الصغيرة تمرّ عبر سهل زحلة بين برّ الياس وسعدنايل وراء خطّ المدرعات السورية. ويتذكّر جورج سماحة من حوش الأمراء: «في إحدى المرّات، إتّصل بي الياس الزايك، وأبلغني أنّه يجب أن نلاقي أناساً الى منطقة السهل ليسلّمونا بضائع ضرورية... فاستقبلنا شاحنة صغيرة محمّلة ببعض الخضر للتمويه، وكان فيها نحو ثلاثة أطنان من الأسلحة والذخائر، وخصوصاً قذائف الـ«ب٧». في أحيان كثيرة، كان يتّصل بنا أشخاص لا نعرفهم وكان يُطلبُ من نقاط التفتيش والحواجز التي أقمناها إدخالهم بسيّارات صغيرة محملة بالذخائر...».

ويروي بول الحاج من المعلّقة: «بعد ستّين يوماً على المعركة، شحّت الذخائر كثيراً، وبدأ بعضها بالنفاذ، فأبلغنا القيادة بذلك. ثمّ طلب مني جو اده التحدّث مع ايلي حبيقة، الذي اتّفقت معه على تأمين معبر من جهة المعلّقة، واتّصلت بأحد مساعديه من آل نعامة، ثم وصلتنا ذخائر عبر طريق الفرزل – الكرك مع فلسطينيين، ومع أناس من بعلبك لا نعرفهم. كما كانت تصل الينا بعض السيارات محمّلة بالذخائر عبر السهل في طرقات فرعية. وعلمت في ما بعد ان ذلك كان يتمّ مقابل مبالغ كبيرة من المال يؤمّنها جهاز الامن التابع لايلي حبيقة».

– لعب المرحوم سليم عاصي دوراً كبيراً في عمليات التفخيخ، إذ كان يملك خبرة كبيرة في هذا المجال، وكان دقيقاً جداً وخلاّقاً، يقوم بعمله بجدّية وينجزه في الوقت المطلوب، وهو حوّل المصابيح اليدوية التي تعمل على البطارية الى ألغام، كما استخدم ألغام الآليات وجزّأها وحوّلها بدورها الى ألغام وعبوات للأفراد، كما أعاد تفخيخ كلّ القذائف السورية التي لم تنفجر.

– استخدم الشباب مقذافاً من إطار هواء السيارات لرمي القنابل اليدوية الى أبعد مسافة ممكنة على مواقع السوريين، وذلك بسبب شحّ القذائف أو للحفاظ عليها لإستخدامها في حال شنّ السوريون هجوماً كبيراً.

عملية انزال لم تتم

– بعد إقفال طريق الجرد، طلب الياس الزايك من الشباب تأمين ستائر حمراء كبيرة من السينما الشرقية، الى «جبل الشعرة» في الجرد، لوضعها كنقطة استعلام لطائرة هليكوبتر ستنقل مقاتلين من بيروت. وضعت حراسة مشدّدة على هذه النقطة... ولكن بعد ساعات، طلب الزايك الإنسحاب من الموقع وإلغاء المهمّة لأنّ الأحداث تسارعت، وتدخّل الطيران السوري بكثافة، ولم يعد بالإمكان تحليق طائرة هليكوبتر في الجرد.

ويروي جورج سماحة: «عندما زار وزير الكتائب سليم الصايغ زحلة قبل الانتخابات النيابية العام ٢٠٠٩، قال لي: «نحن كنّا سنصعد الى زحلة في طائرة هليكوبتر أثناء الحرب العام ١٩٨١، وتحضّرنا لذلك، لكنّ تغيّر الوضع وألغيت المهمة»». وتابع سماحة: «طائرة الهليكوبتر كانت للقوات، ولكنّها كانت بسيطة وغير مجهّزة لمهمّة من هذا النوع. فالخطة كانت تقضي بإرسال نحو ٥٠٠ مقاتل من بيروت لاعادة فتح طريق الجرد».

سيناريو إخلاء زحلة

– كان الضغط النفسي كبيراً جداً على المقاتلين وعلى مسؤولي المجموعات. فأخبار الموت كانت في كل مكان، والأفق مسدوداً والمصير مجهولاً، فكانت أفكار كثيرة تدور في الأذهان وان لم تكن ضمن المنطق والمعقول.

يروي جورج سماحة: «تدارس جو اده مع المسؤولين العسكريين خطة إجلاء المقاتلين مع أهاليهم عن زحلة. وقضت الخطة بتجميع عدد كبير من المقاتلين وتنفيذ هجوم على التلال لإعادة فتح طريق الجرد حتى صنين، تمهيداً للإنسحاب الى المنطقة الشرقية. وما افترضته الخطة يومها، هو قيام مجموعات بمهاجمة السوريين على طول طريق الجرد، فيما تقوم مجموعات أخرى بحماية الأهالي وتأمين الانسحاب بإتّجاه عيون السيمان. لكن تبين ان هذه الخطة صعبة التحقيق

ومكلفة جداً على الصعيد البشري، كما رفض مقاتلو زحلة ذلك وفضّلوا البقاء والموت في المدينة، والطريف في الأمر أنّ مسؤول حوش الامراء جورج قزي من المغاوير علّق على هذا السيناريو قائلاً للزايك بتهكّم: «يا خيي أنا ما فيي إتعب كتير، لا أريد صعود الجرد، فاتركوني هنا، أريد أن أموت وأنا نائم على فرشة مترين بمتر...».

– خطة ثانية تمّ اقتراحها في أحد الاجتماعات، وهي تمركز مجموعة كبيرة من نحو ٤٠٠ أو ٥٠٠ مقاتل في حيّ واحد من المدينة، وفتح باقي الأحياء أمام السوريين والقتال على طريقة «مسعدة»[١]...

محطات زحلية

– في حرب زحلة، كان كلّ شيء مختلفاً، فالظروف الصعبة والحصار دفعا المقاتلين الى ابتداع طرق أخرى للتحرك والمواجهة. كانت المتاريس قريبة من المنازل وذلك لتأمين أكبر قدر من مشاركة الأهالي. ولتفادي الإصابات أو التقليل منها قدر الامكان ولتسهيل دعم المقاتلين، وقد عمل كبار السنّ في حفر الخنادق وإقامة المتاريس.

– لم يخلُ بيت في زحلة من مقاتل أو أكثر شارك في المعارك، وفتح أهل المدينة بيوتهم للمقاتلين وقدّموا لهم كلّ شيء للصمود. فالمدينة ما كانت لتصمد لولا إرادة شبابها وأهلها، فالذين جاؤوا من بيروت أعطوا خبرتهم وتمرّسهم القتالي والدعم المعنوي للأهالي، ولكنّ الأساس كان إرادة وتصميم وعزم الزحليين على الصمود. فللمرّة الأولى، تلاحمت المقاومة مع الشعب، وعامل الزحليون المقاتلين وكأنهم ابناؤهم. وفي المقابل، قاتل هؤلاء وكأنّهم يدافعون عن أهلهم وعائلاتهم، لأنهم أدركوا أنّه في حال انتهت المعركة بدخول الجيش السوري الى المدينة، سيتمّ الإنتقام منهم واعتقالهم وإذلالهم.

– كانت المشاركة كاملة من كلّ أبناء المدينة وعلى مختلف المستويات. فكانت النساء تطبخن في البيوت لتأمين الطعام للمقاتلين كلّ في موقعه، وفتحت مخازن المواد الغذائية أبوابها لتأمين احتياجات السكان. وكانت كلّ زحلة متضامنة خلال المحنة، فلم تحصل أي حادثة سرقة لمحلّ تجاري أو لمنزل طيلة أيام المعارك، كما لم يحصل أي اعتداء على أحد او تحرّش بفتاة، وهذا أمر من الصعب تفاديه في أيّ حرب عادة.

– لم تلحظ الأبنية المشيّدة حديثاً في زحلة وجود أي ملاجىء، ولكنّ تحوّلت مستودعاتها وطبقاتها السفلية وطبقات المدارس السفلية وبيوت العقد القديمة كلّها إلى ملاجئ بعد تحصينها بالسواتر والدشم وأكياس الرمل.

– شارك نحو ١٥٠٠ شاب ورجل من أهالي زحلة في القتال، إضافة الى نحو ١٢٠ رجلاً من الوحدات حضروا من بيروت.

– أصيب عدد من الشباب منهم عاطف الزين الذي سقط على طريق حوش الأمراء عندما وقف بمواجهة السوريين على أساس أنّ هناك وقف إطلاق نار، فأردوه بالرصاص. إثر ذلك، تمّ وضع حاجب من الأخشاب بين تلك النقطة ومراكز السوريين لكي لا يتمكّن القنّاصون من كشف المارة.

الجيش السوري:

القوات السورية التي هاجمت زحلة أو شاركت في الحرب تألفت من:

– لوائين مدرعين يضمّان ٥٧٠٠ جندي وضابط و٩٠ دبابة.

– أربع كتائب وحدات خاصة منقولة جواً تضم ١٦٠٠ جندي وضابط.

– كتيبة مدفعية ميدان، أي ٥٠ مدفعاً من عيار ١٢٢ و١٣٠ و ١٥٢ملم.

– خمسين مدفع هاون من عيار ١٢٠ و١٦٠ملم.

– خمسة عشر راجمة من نوع م.ام ٢١

خسائر الجيش السوري في حرب زحلة قدّرتها مصادر عدّة بنحو ٣٠٠ قتيل، معظمهم من الوحدات الخاصة ونحو ٤٠٠ جريح، كما تمّ إعطاب ٣٢ دبابة وناقلة جند.

---

(١) قلعة على ضفاف البحر الميت تحصنت فيها آخر مجموعة يهودية رفضت الاستسلام للرومان في العام ٧٣ للميلاد على ايام الامبراطور تيتوس وقاتل المحاصرون لاشهر. وبعدما قطعت عنهم المياه وفقد الطعام فضلوا الانتحار الجماعي على الاستسلام ورموا بأنفسهم من على اسوار القلعة.

ثكنة طرابلسي وقصف بيروت

فجّر السوريون في ٢ نيسان أيضاً الوضع في بيروت التي شهدت قصفاً مدمّراً أعاد الى أذهان المواطنين صور حرب المئة يوم صيف ١٩٧٨ بكلّ مآسيها وبشاعتها، وأدّى قصف بيروت والمتن وكسروان وجبيل بالتزامن مع الهجمات على زحلة الى سقوط عشرات القتلى والجرحى من المدنيين (٤٢ قتيلاً و١٨٥ جريحاً إضافة الى أضرار مادية فادحة في اليوم الأول)، بحيث أن مستشفيات العاصمة لم تعد تستوعب المزيد من الضحايا، فتحوّلت ممرّاتها وطبقاتها السفلية الى غرف لإجراء العمليات ولإسعاف المصابين إتّقاء للقصف الذي تعرّضت له أيضاً.

ويتذكّر أحد الأطباء ما حصل يومها في بيروت: «في ٢ نيسان، كنت طبيباً متدرّجاً في مستشفى مار يوسف الدورة عندما انهمر القصف الهستيري على المنطقة الشرقية... ونقل الى المستشفى عدد من القتلى والجرحى المشوّهين والمحترقين بعدما أُطلقت القذائف والصواريخ الحارقة ومن مختلف الأنواع بما فيها النابالم على معظم مناطق بيروت، كما استقبلت باقي المستشفيات في المنطقة أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى. لقد كان يوماً رهيباً لأن القذائف انهمرت بشكل مفاجىء بغزارة ومن دون سابق إنذار، وكان التلاميذ في مدارسهم والناس في أعمالهم وعلى الطرقات... وبدأت المناطق الشرقية تواكب عروس البقاع بتلقّيها القصف العشوائي المدمّر طيلة أيّام محنة زحلة...».

لم تهدأ المدافع عن دكّ العاصمة وضواحيها طيلة يومي ٢ و٣ نيسان. ولكن بعد ظهر السبت ٤ نيسان ١٩٨١، حصل اتّفاق لوقف إطلاق النار لم يصمد أكثر من ساعتين وأدى انهياره الى اشتعال محاور الضاحية الجنوبية، وخصوصاً بين الحدث والطيونة والمتحف، حيث دارت اشتباكات عنيفة بين وحدات الجيش اللبناني المنتشرة على خطوط التماس، وقوات جيش التحرير الفلسطيني (ألوية نظامية في الجيش السوري) المنتشرة في مواجهتها.

ويقول اللواء سامي الخطيب في كتابه «في عين الحدث، خمسة وأربعون عاماً لأجل لبنان»: «وضعت القوات السورية جيش التحرير الفلسطيني - لواءي حطين والقادسية على خطوط التماس من الحدث الى المرفأ. وهذه البادرة تشكّل نوعاً من الضغط غير المباشر على القيادة اللبنانية للقبول بقضايا ومواقف أخرى سياسية أو عسكرية أو أمنية. وصحيح أن «جيش التحرير الفلسطيني» هو جزء من الجيش السوري بالأساسيات، ولكن يبقى له أسلوبه في الإداء اليومي، وبإمكان القيادة السورية عند الحاجة تحميله المسؤولية في بعض التجاوزات أو المخالفات».

تمركز الجيش اللبناني في ثكنة طرابلسي التي كانت ترابط فيها وحدات من قوات الردع، ثم انسحب الجيش اللبناني منها بناءً لأمر من القيادة السياسية. وما لبثت الاشتباكات ان بدأت تتوسّع وكذلك القذائف، وأدّت الى استشهاد ٤ جنود من الجيش وإصابة ٥٥ من رفاقهم بينهم ٤ ضباط كانت حال بعضهم خطرة.

بدأ خرق وقف اطلاق النار على خطوط التماس عند الثالثة فجراً، برمايات رشاشة على محاور البرجاوي طريق الشام والمتحف الطيونة والحدث، ثم انتقل التراشق الى محاور الأسواق من السوديكو حتى المرفأ. وفي الصباح، كانت شاحنة لقوات الردع السورية متوجّهة على طريق الجمهور عندما أُطلقت عليها قذيفة آر بي جي دمّرتها، فقُتل ٤ عسكريين من ركابها وجُرح تسعة. هذا الحادث ساهم في توتير خطوط التماس، فبدأت اشتباكات عنيفة على محاور غاليري سمعان - الشياح - عين الرمانة، وامتدّت الى طريق مار مخايل وبولفار كميل شمعون - الحدث، في ظلّ سقوط قذائف على مراكز الجيش اللبناني، ردّ عليها بقصف عنيف لمراكز جيش التحرير الفلسطيني.

في غضون ذلك، اشتبكت قوة من الجيش السوري متمركزة على جسر كفرشيما وقرب مفترق صنين مع وحدات الجيش اللبناني الموجودة داخل البلدة، وأصبحت طريق الحدث - كلية العلوم حذرة بسبب القنص والقصف الكثيف.

معركة الثكنة

بدأت مواقع الجيش اللبناني في بدارو والطيونة وثكنة المصالح تتعرّض طوال ليل السبت - الأحد ٤ و٥ نيسان ١٩٨١ لرمايات من الأسلحة الرشاشة والقذائف الصاروخية مصدرها أطراف ثكنة طرابلسي (جيش التحرير الفلسطيني كان متمركزاً في قسم من ثكنة طرابلسي وفي بعض البنايات المجاورة لها على خط التماس).

الساعة العاشرة قبل ظهر الأحد، قامت قوة من الجيش اللبناني بمهاجمة القسم الذي تتمركز فيه مجموعات جيش التحرير الفلسطيني لإخراجها من ثكنة طرابلسي، فدارت معركة ضارية بمختلف أنواع الأسلحة، وتمكّنت قوى الجيش اللبناني من التمركز في الثكنة وفي محيط بعض البنايات المجاورة لها، والتي أخليت من عناصر جيش التحرير. وبعد اتصالات وتدخلات سياسية وعسكرية، تلقّت وحدات الجيش اللبناني أمراً بإخلاء ثكنة طرابلسي بحجّة أن وحدة من قوات الردع السورية كانت متمركزة فيها. وفيما قوة الجيش تنفذ إنسحابها وفقاً للأمر الذي تلقّته، تعرّضت لهجوم عنيف بالأسلحة الرشّاشة والقذائف الصاروخية، ما أدّى الى وقوع عدد من القتلى والجرحى في صفوف العسكريين اللبنانيين بينهم ضبّاط ورتباء. وعلى الأثر، دارت معركة عنيفة امتدّت الى كلّ خطوط التماس، وتوسّع القصف ليصل الى سرايا بعبدا والمستشفى الحكومي وطريق القصر الجمهوري، وأصيب عدد من عسكريي الجيش بقذيفة استهدفت حاجزاً لهم على كورنيش قصر العدل.

ولعب الجندي محمد الحاج حسين دوراً بطولياً، الذي أصيب خلال المعركة مع عدد من رفاقه، لكنّه أصرّ على نقل المصابين في ملالة قادها بنفسه وهو ينزف بغزارة، وما أن وصل الى مدخل المستشفى العسكري حتى انهارت قواه وفارق الحياه، فيما سارع الجنود والمسعفين في المستشفى العسكري الى نجدة العسكريين المصابين ، فقضى محمد الحاج حسين وأنقذ رفاقه.

استمرّت الاشتباكات على مختلف المحاور، وكذلك القصف، وسقطت قذيفة في بعبدا على بناية يقطنها الوزير رينيه معوض وقائد قوات الردع العميد سامي الخطيب والمدّعي العام وجيه خاطر. وأصيب الشرطيان عبد الناصر مزرعاني ونخله خوري بعدما أصابت قذيفة مستودع النقل المشترك وفيه ثكنة لفرقة الطوارىء في شرطة بيروت. وتمكّن المعاون أول يوسف بيطار من تعطيل مفعول ثلاث قذائف لم تنفجر من عيار ٨٢ ملم سقطت في باحة مقر المديرية العامة لقوى الامن الداخلي قرب أوتيل ديو .

بيانات وزارة الدفاع

أصدرت وزارة الدفاع الوطني بيانات متلاحقة عن أحداث اليومين الدمويين:

البيان الأول:

«خلال الليل وصباح اليوم (٤ و٥ نيسان ١٩٨١)، تعرّضت مراكز الجيش على طول خطوط التماس للعاصمة وضواحيها لنيران كثيفة من مختلف أنواع الأسلحة المدفعية والصاروخية والرشّاشة مما اضطرّها للردّ بعنف على مصادر النار. ونتج من جراء الاشتباكات والقصف استشهاد الجنديين انطوان داوود وموريس فرح. وجرح كل من: الملازم الاول جان ابو شبل، الملازم الأول محمود قصار، الملازم الأول ميشال عواد، الملازم الأول يوسف عطوي، الرقيب الأول يحيى عبود، الرقيب حسين بودي، العريف هنري موسى. والجنود: ميشال موصوف، علي زعيتر، سمير الحداد، سمير شبور، عصام فرحات، طوني الياس، جوزيف عوض، علي الشاكوش، غسان سركيس، وفيليب شكرالله...

البيان الثاني:

إلحاقاً بالبلاغ السابق، صدر عن وزارة الدفاع البيان الآتي: «عاد القصف المدفعي ليشتدّ على مراكز الجيش على طول خطوط التماس ابتداءً من الساعة العاشرة والنصف قبل ظهر الأحد، ما أدّى الى استشهاد الجندي محمد الحاج أثناء قيامه بنقل بعض الجرحى الى المستشفى العسكري المركزي، وجرح في الإشتباكات الجندي مهدي شلهوب.

البيان الثالث:

جرح من جراء القصف على مراكز الجيش كلّ من: الرقيبين حسين يونس وبسام حبشي، والجنديين محمد خالد علي وشفيق الحسيني.

البيان الرابع:

أورد أسماء مجموعة أخرى من شهداء وجرحى الجيش اللبناني وجاء فيه: نتيجة للإشتباكات وللقصف المدفعي والصاروخي الذي تعرّضت له مراكز الجيش اللبناني... استشهد الجندي شوقي بدر وجرح كل من العسكريين: غسان شيخان، علي عبد المجيد، أديب منصور، رياض قطايا، وديع الياس، محمود حامد، عصام حمود، جان واكد، جرجس حفار، حكمت الحاج، رشيد زريق، دعاس عبود، الياس الحدشيتي، غسان شومان، حسن أيوب، عبد الكريم صبحة، خالد درويش، جمال ظروف، فريد مظلوم، رجا العسراوي، وليد الهاني، حنا الزيبق، علي عبد المجيد، بولس غربلجي، سعيد دندش، علي برو، مهدي أمهز، ابراهيم عياش، حسين الطقش، طوني الكفروني، عباس وهبة، نبيل شبل، ومحسن اسماعيل.

ويكون مجموع الذين استشهدوا خلال الليل وطوال يوم الاشتباكات ٤ شهداء، والذين جرحوا ٤ ضباط و٥١ رتيباً وجندياً.

من جهتها، أصدرت القوات اللبنانية بياناً بالعمليات العسكرية في بيروت والضواحي جاء فيه:

الساعة ٦.١٠ صباحاً: قصف عنيف على عين الرمانة من مراكز الجيش السوري في غاليري سمعان ومار مخايل.

الساعة ١٠.٢٥: اشتباكات بين الجيش اللبناني والجيش السوري في بولفار كميل شمعون - الحدث.

الساعة ١٠.٣٩: عملية تمشيط يقوم بها الجيش اللبناني لثكنة طرابلسي في الطيونة.

الساعة ١٠.٥٠: الجيش اللبناني يحرّر ثكنة طرابلسي من الجيش السوري الموجود فيها منذ ١٩٧٨، وإصابة ملازمين من الجيش اللبناني بجروح خطرة.

الساعة ١١.٠٠: قصف من الجيش السوري في سبنيه على الانطونية.

١١.١٥: الجيش السوري يخرق وقف النار ويقصف الحدث.

١٥.٢٠: تحرّكات عسكرية سورية وحشود في ضهور الشوير.

١٧.٣٥: الجيش السوري يقصف مراكز الجيش اللبناني بعنف.

١٩.١٥: حشود عسكرية كبيرة في راس النبع.

١٩.٥٧: قصف من مراكز الجيش السوري في الجمهور على الضاحية الجنوبية.

بدورها، نعت القيادة القطرية لمنظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في بيان مصطفى غورلي من قوات البعث -كتيبة الأسد الذي اصيب في محلة البرجاوي. وعاهدت القيادة على الاستمرار في النضال حتى يتحقق النصر على العصابات الفاشية الكتائبية.

الاثنين ٦ نيسان ١٩٨١

لم يصمد إتّفاق وقف اطلاق النار الثاني الذي تمّ التوصل اليه بعد ظهر الأحد إلاّ ساعات قليلة، ثمّ تجدّدت الاشتباكات وعنف التراشق.

تركّزت المعارك بين الجيش اللبناني وجيش التحرير الفلسطيني (ألوية نظامية في الجيش السوري) على محورين: الحدث- الليلكي، وغاليري سمعان - الشياح- مار مخايل. وسرعان ما امتدّ القتال الى خطوط التماس من الطيونة الى المتحف نزولاً حتى البرجاوي - السوديكو. وشملت القذائف أيضاً محيط القصر الجمهوري وبرج البراجنة وأشعلت حرائق.

وكانت حصيلة معارك الأحد ١٠ قتلى و٦٧ جريحاً، وارتفع عدد شهداء الجيش اللبناني الى ٨ وعدد الجرحى الى ١٠٠ بينهم ٧ ضباط. ووقع في صفوف جيش التحرير الفلسطيني ٧ قتلى و٣٥ جريحا نقلوا الى مستشفى البربير ومستشفى عكا، ولم تعرف الحصيلة في صفوف قوات الردع السورية.

محور الحدث شهد اشتباكات عنيفة منذ التاسعة صباح الأحد، ودارت مواجهات على محاور الحدث - الليلكي - كلية العلوم، استعملت فيها كلّ أنواع الاسلحة بما فيها الثقيلة.

ووقعت اشتباكات عنيفة حول بنايتي مطر والسانت تيريز في الحدث، تمكّن بعدها الجيش اللبناني من احتلالهما والتمركز فيهما، وعثر بداخلهما على كميات من الذخائر وقذائف الار بي جي وعتاد لقوات الردع السورية التي كانت تتمركز في هاتين البنايتين. ولكن بعد فترة، وكما حصل في ثكنة طرابلسي، انسحبت قوة الجيش من البنايتين بناء على أوامر القيادة السياسية. وعادت واستلمتها القوات السورية، وقيل انه تم اخلاؤها وتسليمها للسوريين تنفيذاً للأوامر القاضية بعدم استعادة الجيش مراكز تشغلها قوات ردع سورية.

الأمر نفسه حصل في بناية كالوت قرب الطيونة التي سيطرت عليها قوة من الجيش اللبناني لتعود وتنسحب منها بأوامر سياسية فتدخلها ثانية قوات الردع السورية.

بدأت حدة القصف تخفّ تدريجياً بعد الإعلان عن اتّصال أجراه الرئيس الياس سركيس بالرئيس السوري حافظ الأسد، نتج عنه تحضير لزيارة وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام الى بيروت، وأعطيت أوامر الى قيادتي الجيش اللبناني وقوات الردع بوقف الاشتباكات والتراشق المدفعي.

لكنّ الهدوء لم يصمد لاكثر من ساعتين وعادت وتيرة القصف لتتصاعد وتعنف في مختلف المناطق.

الثلاثاء ٧ نيسان ١٩٨١

في هذا اليوم، وللمرة الأولى منذ بدء الحرب العام ١٩٧٥، تعرّض مقر منطقة بيروت العسكرية والمستشفى العسكري في بدارو للقصف، اذ سقطت قذائف من عيار ١٢٠ ملم على أجنحة الجراحة والقلب وقسم الرأس وغرفة العناية الفائقة، كما احترقت سيارتا اسعاف وسيارة اطفاء.

وفي مقرّ قيادة منطقة بيروت العسكرية والمحكمة العسكرية، سقطت قذيفة على الرصيف الغربي من المحكمة فقتلت الجندي علي اسماعيل الحلو، وجرحت ٥ من رفاقه هم: الرقيبان مهدي سبليني، وعلي حسين، والجنود: حسين زعيتر، جمال الكرد وحسن الحاج علي، ونقل بعضهم الى مستشفى الجامعة الاميركية.

وأصدرت قيادة الجيش اللبناني بلاغاً جاء فيه: «على إثر تعرّض بعض مراكز الجيش لنيران مدفعية وهواوين عيار ١٢٠ ملم، استشهد الجندي علي اسماعيل الحلو من كتيبة المقرّ العام لمنطقة بيروت في ثكنة قيادة المنطقة، وهو من مواليد المنية ١٩٥٨ تطوعّ في الجيش بتاريخ ٥-٧-١٩٧٩، واستشهد أثناء قيامه بواجبه في ثكنة قيادة منطقة بيروت».

بدورها أذاعت القوات اللبنانية بياناً بالعمليات العسكرية في بيروت والضواحي التي حصلت الثلاثاء ٧ نيسان ١٩٨١وجاء فيه:

الساعة ٩.١٠: قصف السوريون مراكز الجيش اللبناني في بدارو والجيش لم يرد.

٩.٥٠: قذائف على السوديكو.

١٠.٢٥: وقعت اشتباكات بالمدفعية الثقيلة بين الجيش اللبناني والجيش السوري في منطقة الحدث.

١٣.٢٨: اشتعلت جبهة غاليري سمعان.

١٣.٣٠: قصفت المدفعية السورية بلدة الحازمية، فوقع ٦ جرحى حال ٢ منهم خطرة ودمّرت ٣٢ سيارة.

١٣.٤٠: قصف عنيف على بدارو ألحق خسائر فادحة في البنايات والمتاجر والسيارات.

١٣.٤٥: امتدّت الاشتباكات الى الطيونة.

١٣.٥٥: قصف جيش التحرير الفلسطيني مراكز الجيش اللبناني في البرجاوي.

١٤.١٥: الجيش السوري يقصف عين الرمانة بعنف.

٢٠.٤٠: اشتعال الضاحية والجيش السوري يقصف الطيونة وبدارو.

اقتحام السرايا وتقويم جبهة بيروت

شهدت الأسواق التجارية منتصف شهر أيار معارك عنيفة وقصف شمل مختلف المناطق موقعاً ٢٤ قتيلاً و١١٨ جريحاً، ودارت اشتباكات عنيفة في الصيفي وساحة البرج والأمبير من جهة، والريجنت والأوبرا واللعازارية من جهة أخرى. وحوّلت القنابل المضيئة الليل الى نهار، وتوسّع القصف ليشمل الأشرفية وكلّ أحياء المنطقة الشرقية، كما تعرّضت أحياء المنطقة الغربية لقصف عنيف أوقع عدداً من الضحايا، وعنفت الاشتباكات على محاور بناية أشمون وبشارة الخوري ..

وتحدّثت معلومات أمنية وصحافية عن عمليات اقتحام، خصوصاً في محور الصيفي ومحيط مبنى دائرة المباحث (السرايا القديمة) وكاراج سعد.

شكّلت السرايا القديمة التي كانت مركزاً لدائرة المباحث والاستقصاء... على محور الأسواق التجارية في بيروت نتوءاً امتدّ الى داخل المنطقة الشرقية ونقطة متقدّمة للجيش السوري.

ويتذكّر فؤاد أبو ناضر الذي قاد عملية السرايا: «قرّرنا الدخول لثلاثة أسباب: أولاً: كانت السرايا القديمة شمال شرقي الأشرفية متقدّمة الى منطقتنا وتؤثّر كثيراً على عملية الدفاع وتستهلك أعداداً أكبر من العناصر، وكان من شأن تحريرها تقويم الجبهة، ما يوفّر علينا عدداً من الرجال ويحدّ من الإصابات في صفوفنا.

ثانياً: هَدفنا من اقتحام السرايا كان ممارسة ضغط على السوريين، ولإفهامهم ان المبادرة بأيدينا، وأنّه بإمكاننا تهديدهم وتكبيدهم خسائر، بعدما سرت شائعات عن محاولة اجتياح سورية للمنطقة الشرقية.

ثالثاً: اعتبرنا ان هذه العملية قد تخفّف الضغط عن رفاقنا في زحلة».

ويضيف أبو ناضر: «جمعت مع مسعود الأشقر مجموعات من وحدات بيروت، ووضعنا خطة سريعة للهجوم على السرايا وإخراج السوريين وعناصر منظّمة الصاعقة منها.

استخدمنا المازوت لإحراق الطريق، ولإحراق خندق طويل أقاموه من السراي بإتّجاه الجنوب ليتنقّلوا عبره من دون التعرّض لرمايات القنص... استمرّت عملية الاقتحام نحو ساعتين واستشهد خلالها فيليب أبي نادر من وحدات بيروت... وتمكّنا في نهاية العملية من دحرهم، واحتلّينا السرايا وقوّمنا الجبهة على خطوط التماس... ثم بدأنا بتحصين المواقع».

كان ردّ السوريين على عملية السرايا قصف هستيري لساعات استهدف كلّ أحياء بيروت ومناطق المتن وكسروان، وصولاً الى جبيل.

"النهار" - "الاتحاد اللبناني"

الجمعة ١٩٨١/٤/٣

تصعيد اشعل بيروت واعاد اليها اجواء "حرب السنتين"

قذائف تساقطت في الشرقية والغربية وامتدت الى الضاحيتين

واوقعت ٤٢ قتيلاً و١٨٥ جريحاً بينهم اطفال وتلاميذ وعسكريون

القصف اشعل حرائق في منطقة المرفأ وعطل المطار واحدث اضراراً جسيمة

"النهار"

الاثنين ١٩٨١/٤/٦

اشتباك بين الجيش وجيش التحرير في ثكنة طرابلسي ومحيطها

اشعل خطوط التماس في الحدث والطيونة والمتحف والبرجاوي

مقتل ٤ عسكريين لبنانيين واصابة ٥٥ بجروح بينهم ٤ ضباط

الصفحة ٥

"النهار"

الثلثاء ١٩٨١/٤/٧

بداية اسبوع مشتعلة في بيروت والضواحي لم يصمد فيها وقف النار

اشتباكات بين الجيش وجيش التحرير في الحدث وغاليري سمعان

رافقها تساقط قذائف وحرائق في المنطقتين ومحيط قصر بعبدا

١٠ قتلى و٦٧ جريحاً والاصابات في الجيش ارتفعت الى ٨ قتلى ومئة جريح

النهار

AN-NAHAR — 2Juin 1981 — 48e. Année — No. 14620

الثلثاء ٢ حزيران ١٩٨١ — السنة ٤٨ — العدد ١٤٦٢٠

تصعيد واسع في بيروت والضواحي وزحلة حصيلته ١٥ قتيلاً و١٠٧ جرحى

"الحركة الوطنية" و"القوات اللبنانية" تلتزم عدم قصف الاحياء السكنية والمدنيين

ايتان أكد استمرار العمليات ضد الفدائيين

بيغن: لا نتائج لمهمة حبيب ونقضي على الصواريخ في ساعتين

كان معتمد

ممثل المن

اغتيل ب ٦

الصفحة ٦

"النهار"

الثلثاء ١٩٨١/٥/١٩

قتال ضار على خطوط التماس من الاسواق حتى بشارة الخوري والطيونة

وقصف مدفعي وصاروخي الهب احياء المنطقتين والمتن وكسروان والفتوح

٢٩ قتيلاً و ١٤٢ جريحاً وحرائق ... ووقف للنار خرق ليلاً على كل الجبهات

حصار زحلة دخل اسبوعه الثامن

والمساعدات لم تصل والمياه قطعت

قنص متقطع على قاع الريم

الثلثاء ١٩٨١/٦/٢

"النهار"

التراشق بدأ فجراً واشتد بعد قصف الدورة وبرج حمود واحياء سكنية في البيروتين

اشتباكات عنيفة في الحدث اشعلت محاور الطيونة والشياح وعين الرمانة

وقذائف اصابت مدخل القصر ومنزل سفير اميركا ومستشفى البربير والكحالة

١٠ قتلى و٩٦ جريحاً بينهم عسكريون وحرائق ودمار وقطع طريق غاليري سمعان

الملحق رقم - ١ -

مقابلات

بعد ثلاثة أسابيع على بدء حرب زحلة، تحدّث قائد القوات اللبنانية الشيخ بشير الجميّل عن مجريات الحرب وأبعادها السياسية ورأيه في الوجود السوري في لبنان.

بشير الجميّل - إذاعة مونتي كارلو - ٢٧ نيسان ١٩٨١



«نزعت القوات السورية في لبنان في شكل علني غطاء الشرعية عنها، وكشفت عن أطماعها الرامية الى احتلال لبنان والسيطرة عليه عن طريق عرقلة الوفاق وضرب وحدة الجيش اللبناني ومحاولة شرذمته وتقسيمه».

وأوضح أن حجج سوريا سقطت وعلى العالم أن يفهم ان الأمن الذي جاءت للحفاظ عليه بغطاء عربي تناثر تدريجاً، ففقد في كل المناطق اللبنانية، وان حماية «المقاومة الفلسطينية» والتي تنصّب سوريا عرّابة عليها، لا تتمّ بإقتحام زحلة وضرب المناطق الشرقية.

وذكّر قائد القوات اللبنانية أنّ معاناة لبنان كانت ولا تزال إخراجاً سورياً ومن صنع يديها، واذا كانت اليوم في لباس سوري فاضح، فقد كانت سابقاً متمثّلة في لباس «الصاعقة».

وقال ان التهم التي تقول اننا نمارس مع إسرائيل نوعاً من «الكماشة» ضدّ الفلسطينيين ليس إلا نوعاً من الإبتزاز الذي يروّج له الفلسطينيون الذين يضيّعون وقتهم في شارع الحمراء وزحلة.

وأعلن قائد القوات اللبنانية ان مشاريع سوريا ومخطّطاتها لن تمرّ، وأنّ اللبنانيين يعيشون حال حرب وعليهم أن يقاوموا جنباً الى جنب في وقت يغسل العالم يديه من هذا الصدّيق.

وقال: «لم نكن مغشوشين في اتفاقات وقف إطلاق النار في زحلة، لأنّ الإستعدادات التي نراها في كلّ منطقة البقاع حول المدينة تبرهن لنا الى أية درجة لا يزال السوري يتّبع النمط الذي بدأ به منذ أكثر من أربع سنوات، وهو إعلان وقف إطلاق النار استعداداً لعملية انقضاض أقوى من التي كان عليها. لن نُخدَع أبداً، فعندما طُلب إلينا من مراجع محلية ودولية عدّة التقيّد بوقف إطلاق النار، كنّا نؤكّد أننا ملتزمون بذلك، إلا أنّ السوري عندما يطلب وقف إطلاق النار أو يرضى به، يكون ذلك فقط ليستعدّ «لعمل أضخم». فاليوم بالذات، وبعد ٤٨ ساعة من الإستعدادات، بدأ السوريون معركة كبيرة في الجبل، معركة إقتحامات، وهذا ما لم يكن وارداً في كلّ إتّفاقات وقف إطلاق النار شبه الوهميّة. والمعركة لا تزال دائرة حتى الآن في الجرود الممتدة بين صنين وزحلة. هناك عمليات إنزال، إنّما

ليس في استطاعتنا إحصاء عدد القوات المشاركة بسبب صعوبة الإتّصالات مع مناطق القتال، وما تؤكّده المعلومات التي وصلت الينا أن عمليّة إنزال أخرى تمّت في جرود العاقورة، كما أنّ بيروت لا تزال حتى الساعة تتعرّض للقصف، وأصبحت شبه خالية ومناطقنا تتعرض للإحتلال، وتُوجّه الينا نصائح بالتريث وعدم الإستفزاز، ممّا جعلنا على إقتناع ان العالم بأجمعه يعمل كبيلاطس الذي «غسل يديه من دمّ هذا الصدّيق»، مسلّماً القضية «ربّانية»، ومكتفياً بإرسال برقيات التأييد وضغوط كلامية. أعتقد ان هذه الأمور لم تعد تردع السوري اليوم، فهو يستمرّ في اعتداءاته على لبنان... ولم يعد لدينا أي خيار، فنحن في حرب وعلينا أن نقاوم... ان شبح الدامور لا يزال في مخيلتنا، شبح مدينة العيشية وترشيش وعينطورة، وشبح ثلثي لبنان المحتلّ... ونسأل دمشق الى أين نتوجّه إذا رحلنا، والى أين ينصحوننا بالذهاب، وإذا أمكن ليحدّدوا لنا مكان الإقامة، فنكون لهم من الشاكرين. هناك سؤال فقط: إذا أرادوا أن نترك زحلة، فإلى أين يريدون أن نتوجه؟ فالسوريون يقولون أنهم دخلوا لبنان بقرار عربي العام ١٩٧٦، لإعادة الأمن الى لبنان وجعل الوفاق ممكناً، على أن يكون كل ذلك بأمر من رئيس الجمهورية. وبالنسبة الى هذه المواضيع نتساءل: اذا كانت حقاً هذه القوات بأمرة رئيس الجمهورية، نودّ أن نعرف هذا الشيء من السوري مباشرة لأن الرئيس سركيس في المدة الأخيرة، وفي مواقف صريحة عدّة كان يصرّح أنه لم يعد القائد الفعلي لهذه القوات، وحتى أن الأوامر الخطية التي كان يعطيها لقوات الردع لم تنفّذ. ففي ما يتعلّق بوضع قوات الردع العربية بأمرة رئيس الجمهورية، وعلى لسانه بالذات لم يعد ساري المفعول. وقيل أن قوات الردع العربية التي هي سورية اليوم، أتت لحفظ الأمن في لبنان، ونحن نتساءل بدورنا: أين هو الأمن في لبنان؟ هل هو في بعلبك أم طرابلس أم صيدا أم بيروت الغربية أم على خطوط التماس، ناهيك بزحلة والشمال وباقي المناطق؛ وبالنسبة الى هذا الأمن، نسأل العرب الذين وافقوا على مبدأ قوات الردع العربية، الذي تقرّر في الجامعة العربية، أين هو هذا الأمن الذي تحقّقه القوات السورية؟ هل هو في الراجمات أم في المدافع؟ أهكذا يفرض الأمن؟ القوات العربية عندما دخلت لبنان تألّفت من سعوديين وسودانيين ويمنيين. ونحن نسأل اليوم كلّ حكومة من هذه الحكومات المعنية، لماذا سحبت قواتها من قوات الردع العربية، ونرغب في أن تبرّر السعودية سحب قواتها وكذلك اليمن والسودان وغيرها، الجواب نعرفه، انما هم يعرفونه في شكل أوسع. وبالنسبة الى الوفاق الذي ادّعوا أنهم أتوا من أجله، الواقع أنه ليس من أحد يمنع هذا الوفاق بين اللبنانيين سوى السوريين. فقبل ستة أشهر، تألّفت حكومة وفاق برئاسة تقي الدين الصلح وكانت تجمع كل الأشخاص الذين في استطاعتهم تكوين نواة الوفاق، فنحن نتوجه هنا الى الرئيس الصلح طالبين منه الإفصاح عمّن قضى على هذه الحكومة، وبالتالي عرقل عملية الوفاق وما هي الأسباب. ونتوجّه أيضاً الى شخصيات في المنطقة الغربية نسألها من الذي يمنعها من الاتصال بالشخصيات اللبنانية الأخرى لتحقيق الوفاق الذي لا يتم إلا باتفاق اللبنانيين فيما بينهم؟ فما نطلبه اليوم من زعماء المنطقة الغربية أن يعلنوا من يمنع الوفاق. وإذا كا وجود سوريا اليوم هنا لتحقيق الوفاق، فلتسمح لنا بالقول انها هي التي تعرقل تحقيقه. ومن ناحية أخرى، يقول السوريون انهم جاءوا للدفاع عن «المقاومة الفلسطينية»، فهل يتمّ ذلك بتدمير زحلة، أو كما سبق وقال الفلسطينيون «ان طريق فلسطين تمرّ في جونيه» وكأن سوريا تقول اليوم ان طريق الجولان تمر في زحلة...».

وأضاف الجميل: «السوري يتهجّم على الجيش اللبناني ويدسّ عملاءه الذين يخضعون لإرهابه ليشرذموا هذه المؤسسة في محاولة لإعادة الوضع الى ما كان عليه في العام ١٩٧٦، حتى يستمر الاحتلال السوري. وإذا كان السوريون يضربون الجيش، فلسبب واحد هو القضاء على وحدته؛ وعلى العرب أن يفهموا هذا الأمر. فالقضية ليست عمالة لإسرائيل، «ولا كماشة ولا شاكوش»، القضية أن السوري يحاول القضاء على لبنان والسيطرة عليه. السوريون افتعلوا الأحداث وكانوا في لباس «الصاعقة» آنذاك، والجيش السوري هو الذي احتلّ الدامور متستّراً بلباس الصاعقة...».

بعد فترة على إنتهاء حرب زحلة، أُجريت مقابلات مع مسؤولين وقياديين قوّموا مسار الحرب وتجربتهم خلالها.

فؤاد أبو ناضر

فؤاد أبو ناضر - المسيرة - ١٣ نيسان ١٩٨٤

«لقد علّمتنا هذه المواجهة دروساً عسكرية في استراتيجية الصراع وإدارته وفي فنون التحام المقاومة بالجيش النظامي، وفي إمكان النفاذ من أمر الواقع العسكري الذي لا جدال فيه وسط اختلال ميزان القوى لمصلحة العدو. كما علّمتنا أن المناورة التحضيرية هي المرحلة الأهمّ، فمعها ترسم خطوط النصر أو الفشل المحتّم.

والعبرة ليست فقط في الجوانب العسكرية، بل في مجمل إدارة النزاع، خصوصاً في إرادة الشعب الزحلي الصلبة التي تبقى الأساس في قلب المعادلة العسكرية، والتي من دونها يصبح العمل السياسي والعسكري ضرباً من ضروب أحلام اليقظة في خطب وتصاريح أو على أوراق وخرائط ملوّنة...

العبرة أيضاً في أهمية توحيد الرأي والكلمة والموقف هذا هو خطّ الأمان للمسيحيين قبل خطوط الدفاع العسكرية.

هذا أبرز ما نستوحيه من مغاز في إحياء ذكرى حرب زحلة ١٩٨١.

بالنسبة الى تشخيص المواجهة بيننا وبين العدو السوري في زحلة، فإنه قبل الدخول في الفكرة المباشرة، وإنصافاً للحقيقة ولدور زحلة، فإن حقبة حرب الـ٣ أشهر العام ١٩٨١ لم تكن البداية في الصراع ولم تكن النهاية أيضاً.

فنحن نعلم أن الدخول السوري الى لبنان تمّ مطلع العام ١٩٧٦، وتوّجت أولى خطواته بدخوله منطقة زحلة، حين كاد البعض أن يزوّر تاريخ المدينة بالإيحاء بأن الدخول تمّ بناء على طلب الأهالي!

والحقيقة كما يعلمها الملمّون بخفايا الأمور، أنّ الدخول السوري تمّ لإيقاف الهجوم الزحلي الذي أسقط مراكز الأعداء في المعلّقة الشمالية والكرك. وكان يمكن أن يسقط هذا الإندفاع مفاصل سهل البقاع بأكملها تحت قبضته، إذ أن ميزان القوى يومها كان لمصلحة الزحليين الذين نجحت قيادتهم الموحّدة في تعبئة أكثر من خمسة آلاف مقاتل وتأمين نحو ٢٠ دبابة وملالة، بالإضافة الى كتيبة مدفعية هاون.

كما يمكن أن نكشف للمرة الأولى أنّ الرفض الزحلي يومها كاد أن يتعاظم الى حدّ المقاومة الشعبية، وقد حدث تبادل للقصف بين الأهالي والسوريين على جبهة المعلّقة الحمّار، ولم يُقبَل بالدخول السوري إلا بالشروط المرفوعة الرأس كفصل بين القوات. والجميع يذكر حادثة تمثال العذراء الشهيرة حيث قرعت الأجراس وتجمّع الأهالي وافترشوا الأرض أمام الآليات والدبابات السورية لمنعهم من أخذ قاعدة التمثال كونها تمثّل رمزاً دينياً لم يشأ السوريون الا التطاول عليه.

حرب زحلة أطلقت بشير. ففي نيسان ١٩٨١، كان ينظر الى بشير من اسرائيل ومن كل الدول الغربية والعربية على انه رئيس عصابة، ولكنّه خرج من معركة زحلة رجل دولة ومرشح لرئاسة الجمهورية.

كان تقدير الموقف لدينا بأن السوري مقبل على «معركة حسم» لا محالة، لذلك أعددنا العدّة للمواجهة وأرسلنا

كادرات عسكرية عالية ومجموعات قتالية من النخبة.

أضطر الجيش السوري ولأول مرّة للدخول بكلّ ثقله وبغطاء سياسي من دمشق، وبإعلان واضح في بيان شهير بأنه سيحسم الأمر عسكرياً ضدّ الميليشيات الكتائبية (كما يسميها).

السوري كان يحاول السيطرة على مرتفعات السلسلة الغربية بكاملها، والتي تؤمّن له ميزة عسكرية فريدة تمكّنه من إحكام الرقابة والسيطرة المباشرة وغير المباشرة على شطري السلسلة، ولا سيّما على المنطقة المسيحية الآمنة.

لكنّ الحزام السوري كانت تعتريه ثغرتان: الأولى عسكرية في صنين (من الغرفة الفرنسية حتى مرتفعات زحلة لجهة قاع الريم)، والتي كانت تحت إشراف القوات اللبنانية. والثانية سياسية (تحوّلت مع حرب ١٩٨١ ثغرة سياسية وعسكرية)، تمثّلت في مدينة زحلة حيث جغرافيّة مرتفعاتها تتحكّم بخطّ الامدادات الرئيسي للجيش السوري المنتشر في منطقة ضهور الشوير والمتن الأعلى). كما أن الثقل الديموغرافي (١٢٠ ألف نسمة في ٤ كلم٢) ومصالحه في السهل تسبّب عبئاً للسوري كي يتمكّن من السيطرة على البقاع.

وكانت هناك أيضاً ثغرة أساسية هي زحلة وصنين، هذه الثغرة كانت جواز العبور للمقاومة وتواصل الوجود المسيحي الى أبعد من المناطق المحرّرة. لقد كان هدف السوري ردم الثغرة بالسيطرة عسكرياً على صنين، وسياسياً وعسكرياً على زحلة. لذلك أطلقنا على هذه الحرب اسم «حرب الثغرة». وتميّزت هذه الحرب بحسب مسرح العمليات على الثغرة ككلّ بتمايز نوع العمليات العسكرية التي شنّها السوري. ففي «ثغرة زحلة»، قام بالعمليات التي تُطلق ضد الغرية (Contre - Guerrilla)، بينما في ثغرة صنين - الجرد قام بالعمليات العسكرية المجوقلة.

وإذا كان السوري قد استطاع ردم ثغرة صنين - الجرد، فإن زحلة بقيت «الثغرة السياسية» وتحوّلت مع الحرب ثغرة عسكرية...

في حرب زحلة ١٩٨١، لعبت المناورة الخارجية (الاعلام الخارجي والعمل السياسي)، والمناورة الداخلية (العمليات والاعلام الداخلي والعمل السياسي) بشكل منسّق ومثير أحياناً، أمّنت لنا النفاذ من «الأمر الواقع العسكري» الذي حاول السوري فرضه في أيام الحرب الأولى... وخصوصاً بإرادة الزحليين بالصمود، وبقيادة الشيخ بشير الذي لم يوفّر شيئاً إلا ووظّفه لمصلحة زحلة.

وبالعودة الى مسرح العمليات، نجد بأن جغرافية زحلة تأخذ وضع «الفجوة» (Cuvette)، فالتلال الجنوبية التي تمرّ بالتلّة حيث تمثال العذراء، فتلة حميمص وعلى طول الطريق الذي يصل زحلة بحزرتا فضهور الشوير، كانت تلال محتلة منذ الدخول السوري ومحصّنة بشكل فعّال لأنّها تشكّل خطّاً دفاعياً حيوياً له ولطرق إمداد قواته في المتن، وترابطها مع عمقها في البقاع فالمصنع فسوريا. (وعلى سبيل المثال وضعوا في تلة حميمص قساطل من الباطون طول القسطل الواحد ١٢ متراً ودائرته ٤ أمتار وسماكة الباطون نصف متر، ثم طمروها تحت التراب لاستعمالها كغرف عمليات طارئة ضد الطيران، وكذلك كقواعد لصواريخ سام ٦ ولمخازن الذخيرة. وإبّان الحرب نصبوا راداراً ضخماً من نوع «بارلوك» رصدته أجهزتنا وراقبت تنفيذه مع خبراء سوفيات أشرفوا على التركيب قبل أن يصاب ويحترق...

كنّا متيقنين في البدء بأن هذا الخطّ، لم ينشأ لأغراض عسكرية محلية ضدنا، بل لأسباب دفاعية تتضمّنها السياسة السورية لجبه أي عمل عسكري اسرائيلي محتمل.

هذا هو الخط الأول إذاً.

الخطّ الثاني يشمل التلال الشمالية التي تمرّ بالحمّار، فمرتفعات الطرقات، وصولاً الى باحينا، وامتداداً الى الجبال التي تصل بمطيوحان فالشير الأحمر... «فالغرفة الفرنسية».

كان السوري يتمركز قبل المعارك على تلال الحمّار فقط، وقد حاول في القتال المحدود في كانون ١٩٨٠ التقدّم

على منطقة باحينا لكن المحاولة أبطلت. في هذا الوضع كنا نحن ننتشر بمحاذاة الخط الأول وفي مواقع محكومة مباشرة بنيران السوري حتى تخوم حزرتا لجهة بلدة قاع الريم. أما بالنسبة للخط الثاني، فكنّا قيد التحضير له، ومتوغّلين ما يزيد على ٨ كيلومتر بعيداً عن زحلة لجهة الفرزل ونيحا. وقبل المعارك أي في أواخر آذار، كانت الجرافات تعمل من جهة باحينا بإتّجاه مطيوحان للإلتقاء بالجرافات التي أرسلناها من «الغرفة الفرنسية» وذلك بهدف ربط الطريق العسكرية بزحلة، والذي كنّا قد أنجزنا قسماً رئيساً منه بعد حرب ١٩٧٨.

شقّت الجرّافات التي عملت من جهة زحلة طريقها، وبقي لها حوالي كيلومتراً ونصف للإلتقاء بالطريق العسكري عندما وقعت المعركة وتوقّف العمل. ونشير هنا الى أن القذائف السورية الأولى تساقطت على الجرافات التي كانت تعمل من جهة زحلة قبل بدء المعركة بيوم، وتعلمون بأن قضية الطريق هذه ضخّمها السوريون إعلامياً وقالوا بأن «إيتان» رئيس أركان الجيش الإسرائيلي السابق جاء ليتفقّدها. كلّ ذلك من أجل تبرير قصفها لعزل زحلة عن عمقها الاستراتيجي.

أما من جهة السهل، فكان السوريون يحتلّون مركزاً على مدخل زحلة فيه نحو ٦٠ عنصراً من «الوحدات الخاصة»، كما يزنّرون عسكرياً منطقة «صحن زحلة» من المعلّقة مروراً بالمدينة وحتى حوش الأمراء بشكل نصف دائري.

أما مخطط العمليات للعدو، فكان يقضي في حزام زحلة المباشر والقيام بحرب أقرب الى ما نسميه عسكرياً الـContre-Guerrilla (أو ضد ميليشيات المقاومة المسلحة)، وتقضي الفكرة، بحسب الوضع الجغرافي بتقسيم المنطقة الى خط دفاع هو الخط الأول الذي أشرنا اليه، والى خطّ هجوم هو الخط الثاني لإكمال حلقة الحصار في المرحلة الأولى، ثمّ تقسيم المنطقة (كما يتمّ تقسيم قالب الحلوى) الى قطاعات يتمّ سحقها أو تدميرها أو احتلالها لفرض أمر واقع سريع يشلّ القدرة والمعنويات والإرادة فيتمّ الاستسلام. القطاع الرئيسي كان بالنسبة للسوريين هو «صحن زحلة» الذي أشرنا اليه، وقد حشد السوريون ثلاثة ألوية نظامية وفوج من «الوحدات الخاصة». وقدّر مراسل «الفيغارو» في مقال رئيسي، عندما رسم الصورة القاتمة للوضع، عدد القوات السورية المشتركة في العمليات بما يزيد على ٦٠٠٠ جندي مدعومين بالدبابات الحديثة ت٥٥ وت٦٢، والتي كانت تشكّل العصب الرئيسي للعمليات، وكذلك بمدفعية الميدان من عيار ١٥٢ و١٨٥ ملم.

قبل بدء الهجوم بيوم واحد وبالتحديد نهار الأحد، أطلق السوريون قذيفة للمناورة بإتجاه المدينة الصناعية، وقاموا بمناورة استنفار تدليلية في المراكز العسكرية القريبة من المنطقة وخصوصاً على مدخل زحلة.

نحن كنّا بحاجة الى ١٥ يوماً لاستكمال التحصينات الدفاعية، وكانت تتمّ بشكل طبيعي كوننا لم نكن ننوي فتح الحرب، لأنه كما سبق وذكرنا، كانت استراتيجيتنا تقضي عسكرياً بالمحافظة على هامش حرية العمل المتاح لنا من صنين حتى زحلة. أما قواتنا فكانت بحدود الكتيبتين من أهالي زحلة مدعومين بسرية مقاتلين من النخبة بينهم كادرات عسكرية لإدارة العمليات أرسلوا من القيادة في بيروت.

يوم الإثنين في أول نيسان، وصلتنا معلومات تفيد بأنه تمّ الإيعاز لأشخاص بأن يغادروا زحلة قبل يوم الثلاثاء لأن شيئاً ما سيحدث...! وكان قد حصل يومها خطف لزحليين على طريق شتورة بينهم مسؤول حزبي. وجدير بالذكر بأن السوريين كانوا قد وتّروا الوضع قبل شهر من خلال وضع سيارة مفخّخة وسط المدينة حصدت حوالى ١٨ قتيلاً وعدداً كبيراً من الجرحى.

في هذا الجو بدأت المعركة في ٢ نيسان... وأهمّ ما يشار اليه في العمليات العسكرية هو أن مخطّطات العمليات السورية التي شرحنا مباداءها بدأ بتنفيذها. فكان الخطّ الأول هو خطّ دفاع واسناد بالنيران المباشرة من الدبابات. (عادة في حروب من هذا النوع يكون خط الدفاع هو فخّ للمقاومين، بحيث يستدرجون الى الهجوم عليه كونه سلبياً فتتبعثر قواهم وتضرب، في وقت يتمّ التقدّم على خط الهجوم الثاني، ويبدو أن القيادة في زحلة تنبّهت الى هذا الأمر منذ البداية ولم تهاجم هذا الخطّ واكتفت بالردّ على مصادر النيران).

في الأيام الخمسة الأولى، حاول السوريون جاهدين التقدّم على الطريق الرئيسة لوصل قواتهم المدرّعة بالقوات المعزولة على مدخل زحلة لإحكام السيطرة على «صحن زحلة» وتسجيل أمر واقع يؤدّي الى التسليم، كون سقوط هذه المنطقة الحيوية كان كافياً بنظرهم لتعميم الرعب على كافة القطاعات السكانية وإسقاطها. وفي وقت أحرز السوريون بعض التقدّم على الخط الثاني من «الحمّار» باتجاه «تلال حرقات» التي استعادتها مجموعاتنا الخاصة مرات عدّة، ولكن سوء الأحوال الجوية وتفوّق السوري اللوجستي الذي وفّره الطيران المروحي بإنزال عناصر بديلة، كان يؤدّي دوماً إلى إعادة الكرّة واحتلال التلال بينما قواتنا بقيت في تلك الأيام بدون تبديل أو نوم وحتى أكل وتحت المطر والعواصف...

أما المفاجأة التي صدمت القيادة السورية وجنودها على السواء، كانت سرعة المبادرة والهجوم على مراكزها في مدخل زحلة وتدمير جميع الآليات والدبابات والتي قاربت الـ١٥، ومحاصرة القوات الخاصة في ٣ أبنية وإبقائها كرهينة بانتظار تطورّات المعركة. وبعد ضرب الدبابات، بدا واضحاً أن السوريين أصيبوا بصدمة، وحاولوا جاهدين، في الأيام الأولى للحرب، الضغط بهجوم مدرع تحت غطاء مدفعي كثيف، والتقدّم من «الكرك» لاختراق مدخل زحلة لتحرير مجموعاتهم المعزولة، وهذا أتى عبئاً على مخطّط عملياتهم وتحويراً ملحوظاً لها، لأنه على عاتق هذه القوات القيام بالحركة العسكرية السريعة لقطع طرق المواصلات بين زحلة و«صحنها».

في اليوم السادس للمعركة، حصل حدث أدى في ما بعد الى انعكاسات ايجابية على المعركة. يومها طلب السوريون، وبمبادرة منهم، وقف إطلاق النار فجأة، كنا نحن بأمس الحاجة إليه. كان السوريون يريدون من وراء ذلك، إعطاءنا وقتاً قصيراً يؤدي في مثل هذه الحالة الى ميوعة في القاعدة السكانية التي ستخرج لمعرفة ما جرى ويجري، وتتفقّد بعضها، وكذلك ستحدث عملية تبديل لقواتنا، كون المقاتل سوف يعود كيفما كان من الجبهة ليتفقّد ذويه وبيته. في هذا الجو، تكون المبادرة العسكرية للسوريين في أحسن ظروفها، وقد أكّدت ذلك التحليل يومها، برقيات التنصّت في غرفة العمليات التي التقطت رسالة تأمر قائد المدفعية علي حيدر «بتدمير المدينة بمهلة ٦ ساعات»، كما ورد حرفياً في أجهزة التنصّت. إزاء هذا الوضع، لجأت القيادة في زحلة الى المناورة موافقة على وقف إطلاق النار، وجهّزت مدفعية الميدان في المناطق المحرّرة، والمدفعية المحلية، وبادرت بضرب مواقع السوريين وغرف العمليات في شتورة ورياق، وكذلك ضرب مركز الاتصالات الرئيسي الذي يربطهم بدمشق ومركز تلّ سرحون، بالإضافة الى ضرب أهمّ قواعد مرابض المدفعية والدبابات. وأدت المبادرة بالنيران الى شلّ حركة العمليات السورية لفترة لا تقلّ عن الـ٦ ساعات وعندما بدأ السوريون بتنفيذ مخطط التدمير، كانت قوتهم قد فقدت الزخم اللازم والمفاجأة، وهكذا استطاعت القوات احتواء الهجوم تباعاً.

أما لماذا قصفنا قيادتي شتورة ورياق؟

كانت إمرة القوات السورية المنتشرة في الخطّ الأول من غرفة عمليات شتورة في مقر قيادة الاستخبارات. أما القوات المهاجمة على الخط الثاني وبأمرة عبده كاترينا (مسيحي) فكانت قيادتها في غرفة عمليات أنشئت خصيصاً في قاعدة رياق حيث يتمركز السوريون. وشكّل وجود قيادتين خللاً كبيراً عندهم في تنسيق النيران وخصوصاً نيران مدفعية الميدان (بالرغم من إحكامهم بشكل قاطع على أبراج لمراقبة زحلة)، ولذلك اعتمدوا على نيران الدبابات المباشرة، وعندما تمّ اصطياد بعضها بواسطة صواريخنا من نوع «ميلان»، شلّت حركتها جزئياً تمهيداً لإعداد تحصينات كافية لها.

على هذا الأساس، يمكن القول بأن مخطط عمليات الـ(guerilla-Counter) فشلت جزئياً ولم يفرض الأمر الواقع، وكان الضغط العالمي قد بدأ، فجهد السوريون عندها لإسقاط مرتفعات صنين، والإكتفاء بحرب الحصار بانتظار التطورات واقتناص الفرص، فقاموا بعملية إنزال بالطائرات المروحية لأفواج «الوحدات الخاصة»، ودعموها بغطاء مدفعي كثيف في يوم ممطر يكتنفه الضباب الشديد، فآثرت قواتنا الانكفاء الى حدود الأطراف السكنية وإنشاء حزام دفاعي في محيط المدينة.

يوم احتل السوريون الجرد، أعلنوا في بيان من دمشق بأنهم احتلوا زحلة أو حسموا الأمر مع الميليشيات. كانت رسالة مفهومة جيداً لدينا. فبالرغم من الشعور بالإنعزال والتطويق المطلق وعدم وجود منفذ وعمق للمدينة يومها، كان قرار الزحليين والقيادة عملاقاً عزّزه موقف الشيخ بشير. كان قد مضى ١٥ يوماً على القتال المتواصل والدبابات السورية المضروبة في أرض المعركة، وكان الجيش النظامي يحاول المستحيل لسحب آلياته. طلبوا وقف اطلاق النار فوافقنا. وحصل وقف النار لبضعة أيام ثمّ التفاوض لسحب الآليات. لكن المعركة لم تنته مرة أخرى، وكثّفوا تدخّل الدبابات بشكل جنوني، وبقوا في أحد الأيام مدة ١٨ ساعة متواصلة يشبكون نيران الدبابات على أحياء المدينة، فشبّت حرائق هائلة تعذّر اطفاؤها. بدأوا بالقصف من الساعة الثانية عشرة ظهراً وحتى العاشرة من اليوم التالي. يومها بالذات تدخّل الطيران الإسرائيلي وأسقط طائرتين سوريتين، وقصف بعض المرتفعات فسكتت الجبهة وحتى من دون طلقة قنص واحدة. علماً أن محاولات التقدّم على الطريق الرئيسية كانت شبه يومية.

اليوم الأخير للقتال كان ٢٥ حزيران، إذ قصفت مدفعيتنا لمدة ١٥ ساعة متواصلة ودمّرت جميع دشم الخدّ الثاني (خط الهجوم)، ومنعت تقدّماً حساساً على تلّة مشرفة جداً على وسط زحلة تدعى «تلّة جحا» وقد هجر يومها السوريون مراكزهم في الحمار وحرقات لساعات طويلة قبل أن يتمّ الاتفاق على وقف النار.

كيروز بركات - مجلة المسيرة - ١٣ نيسان ١٩٨٣


كيروز بركات

«انطلقت الى زحلة على رأس مجموعة من ٢٨ مقاتلاً عن طريق الجرد، رافقنا على الطريق ٣ «دواليل». سرنا في الليل لان معلومات وردت الينا مفادها ان السوريين يحاولون التقدم من جهة نيحا - بسكنتا لقطع الطريق. بعدما اجتزنا المرحلة الاولى، انقطع اتصالنا مع مراكز رفاقنا، لذلك تجنّبنا المرور على هذه المراكز كي لا يقع اي التباس، واضطررنا لسلوك طريق صعبة يعرفها «الدواليل» جيداً... كانت الفرق التي سبقتنا قد وجدت صعوبات كبيرة في الوصول الى زحلة . كنا نجتاز ٣ كيلومترات في الساعة لصعوبة السير في المرتفعات والمنحدرات وبسبب حمولتنا الثقيلة، وكانت التعليمات المعطاة لنا تقول انه من المحتمل نشوب معركة قبل الدخول الى زحلة. استطعنا الوصول الى مشارف المدينة الساعة الخامسة صباحاً، واتجهنا الى أول مركز للقوات اللبنانية في وادي العرايش. كان الاستقبال حاراً وفرح المقاتلون بوصولنا، ثم انتقلنا الى مركز القيادة القديم، فكان يتعرض لقصف سوري مركّز. فمنعتنا كثافة القصف من أخذ قسط من الراحة. بعد ذلك، استلمنا قطاع المدينة الصناعية.

لم يكن هناك توازن بيننا وبين السوريين وكانت الحرب في قسم منها حرباً معنوية.

كانت غرفة العمليات تبلغ عن كل رصاصة أطلقت. المراقبة على الجبهات كانت مؤمنة ٢٤ على ٢٤ ساعة وبشكل دقيق، حتى أن أي تحرّك للسوريين، ولو كان انتقال عنصر من مكان الى آخر، كنّا نبلغ عنه من أكثر من مصدر وبسرعة قصوى . المراقبة كانت دقيقة وحربنا كانت حرب مواقع.

في المقابل، كان السوريون يكشفون أي تحرك في المدينة لأن كل التلال المحيطة تحت سيطرتهم. ولهذا السبب، حفرنا الخنادق وربطنا بواسطتها جميع المواقع حول المدينة، الأمر الذي حدّ من الخسائر في الأرواح في صفوف مقاتلينا...»

كانت معركة زحلة تحتاج لصبر وإرادة قوية. عشنا كل يوم بيومه، وساعدنا تجاوب الأهالي بشكل كلّي خلال المعركة...

الأسلحة المستعملة من قبلنا كانت السلاح الخفيف والمتوسط، ولم نستطع استعمال السلاح الثقيل في زحلة لأن طرقاتنا مقطوعة وتحركاتنا مكشوفة من قبل السوريين وشبه معدومة في النهار. كان التبديل والتموين والدعم والغذاء يحصل ليلاً... وكان المقاتل في زحلة يسهر كلّ الليل لاصلاح بندقيته اذا تعطّلت، لان لا بديل لها.

الدرس الذي تعلمته من زحلة كان «أهم شيء هو ألا يفقد المقاتل إيمانه... وان يتكّل على نفسه بشكل جدي لانه اذا فقد السيطرة على أعصابه في معارك كهذه يخسر كل شيء».

الياس الزايك - مجلة المسيرة - ١٣ نيسان ١٩٨٣

«من الممكن تقسيم الحرب الى ٣ مراحل:

١ - من بدء الحرب حتى سقوط الغرفة الفرنسية.

٢- من سقوط الغرفة الفرنسية حتى دخول أول فريق من الصليب الاحمر الى المدينة.

٣- من دخول اول فريق للصليب الاحمر حتى توقيع الاتفاق.

في المرحلة الاولى ارتكب السوريون خطأين، اذ اعتقدوا أولاً انه باستطاعتهم ضربنا بمعركة شوارع لقسم زحلة الى قسمين، وبعد ذلك استعملوا المصفّحات.

حاول السوريون عشرات المرات الدخول الى المدينة بواسطة المشاة وبواسطة ناقلات الجند والمصفحات، وكلّ محاولة كان يسبقها قصف مدفعي وصاروخي عشوائي لشلّ الحركة في المدينة.

في هذه المرحلة، خسر السوريون ١٤ آلية (دبابات وناقلات جند)، وكانت هي الأصعب بالنسبة للمقاتلين ولكن



الياس الزايك مع بشير وفادي فرام

ليس بالنسبة للاهالي.

المرحلة الثانية تميزت بتغيير التكتيك لدى السوريين، فهم أرادوا قطع الطريق الى بيروت واستعملوا من اجل ذلك كل الوسائل الموجودة لديهم. وكانت المرة الاولى التي يستعملون فيها طائرات الهليكوبتر للإنزالات ولم نستدرك هذا الامر. وهكذا بدأت معركة التلال (السوريون قاموا بأول محاولة في هذا المجال في كانون الاول ١٩٨٠ وانتهت بالفشل)، تبع ذلك سقوط «الغرفة الفرنسية» واستعانوا من أجل ذلك بالدبابات مع فرقة كاملة من القوات الخاصة (٣٠٠٠ جندي)، وفي غضون يومين استولوا على الغرفة الفرنسية.

والوسائل التي استعملها السوريون فرضت سقوط الغرفة الفرنسية. لم نجرؤ في البدء على اعلان هذا الخبر للسكان في زحلة لأن هذه النقطة كانت بالنسبة اليهم الأمل. ولكن كان لا بد من اعلانه. وفي الحال، سيطر الذعر الحقيقي، لأن الحصار أصبح كاملاً وشاملاً. وكلّما خفّت حدة المعارك كانت تسود حالة من التوتر الشديد والقلق.

اعتقد السوريون في البداية اننا سنقوم بردة فعل فبوشرت المفاوضات: أراد السوريون استرداد الدبابات المعطوبة على جسر زحلة . هذا هو الشرط الذي فرضوه علينا للسماح لأول قافلة أدوية بالدخول الى زحلة. وكنا على هذا الصعيد متضايقين جداً بسبب نفاذ بعض الأدوية الأساسية. وأخيراً توصّلنا الى عقد اتفاق، لكن السوريين سحبوا آلياتهم، ولم يسمحوا في المقابل بدخول شاحنة الصليب الأحمر الى زحلة الا بعد عشرة ايام . وصلت الادوية الى زحلة بكميات ضئيلة. وفي نفس الوقت، حاول السوريون احتلال قاع الريم، تمكّنوا من اقتحام جزء منها لكن تمّ التصدي لهم واجبروا على التراجع.

اما المرحلة الثالثة وهي الأصعب، فكانت حرب أعصاب وصبر، اذ كان السوريون يخرقون أوقات الهدنة بقصف عشوائي مفاجىء تبعاً لحسابات معروفة منهم وحدهم. وفي نفس الوقت، كانوا يحاولون التقدم خطوة خطوة من جهة التلال.

هنا بدأت فعلياً حرب الخنادق، وبما ان زحلة تقع في وادٍ، وجب علينا حفر الخنادق على أطراف المدينة وعلى المنحدرات لحماية الخلفية عند التوجه نحو الخنادق المحيطة بالمدينة، فكانت مدافع الدبابات عندها تستخدم للقنص.

كانت تحركاتنا مقتصرة على عمليات محدودة خارج الخنادق ضد المواقع المواجهة، لأننا اصبحنا في المرحلة الأخيرة نشكو من نقص في الذخائر بسبب إحكام الطوق على المدينة وانقطاع الطريق، إضافة الى نقص حاد في المؤن والأدوية التي كانت تدخل بالتقطير وبكميات ضئيلة.

جو إده - مجلة «المسيرة» - ١٣ نيسان ١٩٨٣

- ماذا كان الهدف من وجودك في زحلة قبل معركة ٢ نيسان وهل كانت هناك ثمة توقعات لحصول معركة ما؟

- أرسلتني قيادة القوات اللبنانية لضبط التنظيم العسكري في المدينة، وكان الهدف عدم إعطاء السوريين أية ذريعة للقيام بعمل ما يضر بزحلة... ولكن ضبط الأمور اتّخذه العدو السوري كذريعة لفتح المعركة. ونتيجة ذلك، حاولوا احتلال مراكز جديدة ... فكلّما كنّا نتجنب الأمور، تكون الإساءة أشد لأمن المدينة من قبل السوريين، الأمر الذي اضطرّنا في نهاية المطاف لأخذ احتياطات دفاعية.

- كيف تجاوب الاهالي مع الأهداف التي سعيتم لتحقيقها؟

- كان هناك انسجام تام بين العناصر والقيادات وسائر الفعاليات السياسية والدينية. نحن من جهتنا لم نقدم على أمر، ولم ننفّذ شيئاً إلا بقرار يجمع عليه كل الزحليين.

لقد عشنا المعركة بحماس منقطع النظير، وكان كل إنسان يضع كامل إمكانياته في سبيل الخدمة. وأشهد بأن كل زحلي ضحّى ولم يتهرب أحد من أية مسؤولية. لقد شارك الكل في القرار الواحد... وكانت عند الزحليين قناعة راسخة بوجوب الصمود والدفاع.

- ما هي القضايا التي واجهتموها على الصعيد الداخلي في المدينة؟

- قضايا عديدة واجهتنا، وأستطيع التأكيد أن ما من أمر أعطي إلا وكان منفذاً بصورة دقيقة وفاعلة. لقد شارك الجميع في تحمل المسؤولية ...

لقد احترمنا وجود الدولة فسلاح الدرك ومسؤولياتهم بقيت على قدسيتها ولم تمس بسوء. أما رجال الدين، فقد سهروا على القضية سهر الأب العطوف الغيور. لقد كانت الجبهة الزحلية مؤلفة من جميع الفعاليات. وكان الإتصال مباشراً مع قائد القوات اللبنانية وكانت الأوامر فاعلة الى آخر الحدود.

إن صلة الوصل بين الشيخ بشير الجميّل وأهالي زحلة كانت متلاحمة ومتواصلة، لقد كان في أجوائنا بصورة مستمرة وكانت أجواء زحلة وكل ظروف حربها أمام عينيه. ...

جو إده

- ما هو تقويمك لصمود زحلة؟

- كانت حرب زحلة تاريخية ولم يكن لها مثيل. لقد كان سلاح العدو متطوراً ومع ذلك... صمود الناس كان صمود رائعاً. نحن اليوم نقول يا ليت كلّ مدينة تصمد صمود الزحليين، إلا أنه في علم الحروب ما من مدينة في هذا المجال تشابه الأخرى. لقد كانت حرب زحلة في حجم الزحليين وفريدة كل الفرادة في هذا المجال.

- كيف تم إختيارك لتكون على رأس المقاومة في زحلة؟

- كان هناك أمر من القيادة وكان لي الفخر بذلك، خصوصاً عندما عرفت زحلة على حقيقتها، ولقد أعجبت بروحية شبابها. لقد أدوا واجباتهم ببطولات عجيبة غريبة... التنظيم الإداري كان موجوداً، وكانت معنويات القيادة تأتي أولاً من بطولات الشباب على الأرض، ثم من الإنضباط والدقة في تنفيذ التعليمات ...

لقد مشت زحلة على خط المقاومة اللبنانية، وصارت مثلاً للمقاتلين في كل مكان وزمان... ولم يكن الجيش السوري في حربه علينا مسلّحاً بقضية... ولم نشعر في أي وقت مهما كان حرجاً بأن الجندي السوري كان في قتاله بمستوى مقاتلينا الأبطال...

وفي حديث لمجلة الماغازين في الذكرى الثانية لحرب زحلة يقول اده: «وصلت الى زحلة في نهاية شهر شباط بهدف تثبيت ودعم المقاومة في المدينة. وكنا ستة أشخاص مع أسلحتنا الفردية. سلكنا طريق الجرد. وفي اول نيسان بدأت المعركة.

- **هناك من يتهمونكم باشعال المعركة ؟**

نحن دافعنا عن أنفسنا فقط لنتجنب دامور ثانية. انما في كلّ الاحوال، كانت المعركة محتّمة. لقد خشي السوريون هجوماً اسرائيلياً عن طريق جرد عيون السيمان، ولهذا أرادوا مواقع لهم بين الكرك والجسر من جهة، وجسر كسارة من جهة أخرى حتى يتمكنوا من مراقبة الطريق الدولية، وإحكام الحصار حول زحلة، وتأمين الاتصال الكامل بين مختلف مواقعهم. في الأيام الاولى للمعركة، حصل التحام وحتى مواجهات بالسلاح الابيض في المعلقة وعلى الجسر، بعدها تحولت المعركة الى حرب مواقع، وحرب جبال في الجرد والتلال المحيطة بزحلة.

كنا نتصل بالقيادة في بيروت بواسطة اجهزة لاسلكية وبواسطة الهاتف».

أطباء زحلة

كان الجرح كبيراً، ولكن اليد التي تداوي كانت أكبر من الآلام.

أكبر من الجرح، أقوى من شلاله النازف وأعظم من الأنين ...

لقد شاهدوا وسمعوا كيف تنفطر القلوب بدوي الآلام وحصلت معهم عجائب كانت يد الربّ فيها...

وهذا أبرز ما رووه من مشاهداتهم خلال الحرب :

الدكتور أنطوان أبو سليمان: «فوجئنا بمعركة زحلة إذ أننا لم نكن مهيأين على الصعيد الطبي، فلا مستشفى ميداني ولا آلات جراحة ولا أدوية ولا تجهيزات، فأجبرنا بين ليلة وضحاها على إنشاء مستشفى من لا شيء. ولإنعدام وجود غرفة عمليات، إقتصر عملنا على الإسعافات الاولية في بادئ الأمر. وفي الخامس من نيسان، جهزنا غرفة عمليات، إفتتحتُها بحادثة فريدة من نوعها، إذ جيء إلي بامرأة أصيبت في رئتها وكبدها والكلية والإمعاء، وأثناء إجراء العملية الجراحية لها الحادية عشر ليلاً، إنهمر القصف بغزارة على مركز الصليب الأحمر... فاضطررت لترك الجريحة عند الإنتهاء من تقطيبها مباشرة، وانتقلت الى غرفة أخرى، وكان تفكيري يدور حول نجاة المصابة،


الدكتور ديزيريه الشامي


الدكتور أنطوان أبو سليمان


الدكتور أسعد لطيف


الدكتور جوزيف خوري

فقلت للدكتور الحاج شاهين الذي كان يعاونني: «أتعتقد أن هذه المرأة ستنجو أم ستموت؟»

بعد فترة وجيزة، فوجئنا بالمريضة تزحف إلينا بعد أن أفاقت من البنج ونزعت المصل وماسورة الدم. كانت هذه العملية الأولى التي أجريتها في ذلك المستشفى واستعملت فيها البنج العام، وكنت ألبس الكفوف فقط لتعذّر وجود الألبسة المعقّمة. ومن بعدها، وبمساعدة كل الأطباء والجراحين، إنتقلنا الى مكان آخر وبقينا نعمل فيه حتى إنتهاء المعركة...

أما الدكتور ديزيريه شامي، المختصّ بالتوليد فقال إن معركة زحلة أجبرته والكثير من الأطباء على العمل في غير إختصاصهم، فكان يجري عمليات جراحية وعمليات في العروق، «وذلك بسبب وجود عدد كبير من الجرحى والمصابين، وكان عدد الأطباء الجرّاحين محدوداً. وزاد في الطين بلّة، أن السوريين قصفوا مستشفى تل شيحا الذي لم يكن محصّناً ويطلّ على زحلة ويجاور تمثال السيدة العذراء، حيث كان يرابط السوريون، ويقصفون المدينة، كما أن قلّة الطعام والدواء وانقطاع التيار الكهربائي والماء جعلت الوضع من سيء الى اسوأ، فانتقلت من مستشفى تل شيحا الى حوش الأمراء، ثم الى مستشفى البربارة. كانت المستشفيات تتعرّض للقصف كما باقي المنازل والأبنية في زحلة. وعلى الرغم من النقص الملحوظ في التجهيزات والمعدات، فقد تمكّن أطباء زحلة من معالجة الكثير من الجرحى والمرضى الذين كانوا يأتون بمعنويات عالية وثقة بكفاءة الأطباء وتعاونهم. وعلى الرغم من الصعاب كنت أشعر بفرح عندما أسعف مريضاً أو أنقذ جريحاً...».

أما الدكتور أسعد لطيف الجراح في طب الأسنان، فقال: «كنت أعاين المرضى في عيادتي ساعة بدء المعركة. ومع بدء الهجوم السوري، هجم المرضى في غرفة الإنتظار الى غرفة المعاينة، بالرغم من أنها أكثر خطراً لأنها مواجهة للمراكز السورية. وبعد قليل، إنتقلت الى منزلي هرباً من الرصاص وإتقاء للقذائف التي كانت تنهمر بشكل عشوائي... ومن تاريخ بدء المعركة حتى يومها الأخير، شاركت في معالجة الجرحى رغم أنني طبيب أسنان، وأنشأت بالتعاون مع أخي، الذي هو طبيب أيضاً، مستوصفاً ميدانياً في اليوم الثاني، وحصلنا على بعض المعدّات والأدوية والمطهّرات من مستشفى تل شيحا. ومع ازدياد عدد الجرحى ونفاذ الأدوية والإبر، اضطررنا لاستعمال خيطان وإبر الخياطة بعد تطهيرها.

وفي إحدى المرات، جيء الينا بفتاة أصيبت بالشظايا من رأسها حتى أخمص قدميها... عاينتها وكانت كل الدلائل تشير الى أنها فارقت الحياة، فتركتها جانباً وغطّيتها بشرشف أبيض على أساس أنها ميتة، ودخلت الحجرة الأخرى لمعالجة جريح آخر. وكان أحد الجرحى ينتظر خارجاً، فأزاح الغطاء عن وجه الفتاة، ولاحظ أنها تتحرك فصرخ وناداني... عدت اليها حالاً وبدأت معالجتها.. فاستفاقت وعادت الى الحياة، وكانت هذه أعجوبة إلهية، فالله كان معنا...».

ومن بين الاطباء: أنطوان معلوف وجوزف جبور والزيناتي وشاهو وهرموش وزعتر والدكتور جوزيف خوري الذي قوّم الوضع الطبي في المدينة كالتالي:

- «القضاء كلياً على المستوصفات والمستشفيات التي أنشئت لمعالجة الجرحى.

- عدم وجود الملاجئ أدى الى إنتقال الناس الى الطبقات السفلية والمماشي والأقبية المليئة بالرطوبة والروائح الكريهة، والتي تسرح فيها الجرذان، ما ساهم في انتشار الامراض والأوبئة.

- بعد أن دمّر القصف خزان المياه والقساطل، قطعت الماء عن زحلة ثم عادت لتصل مقننة. وأجرينا اختباراً على المياه، فتبيّن انها ملوثة وفيها جراثيم بنسبة عالية جداً، وهذا أدى الى ظهور أمراض في الجهاز الهضمي والمعدة أثناء الحرب وبدأت نتائجها تظهر بعد المعركة.

- أدى انقطاع التيار الكهربائي الى فساد اللحوم، ونظراً لعدم وجود كميات كافية من الطعام، أضطر كثيرون لتناول قسم من هذه اللحوم الفاسدة ما تسبب ببعض الأمراض.

- تسبّبت النفايات في تفشّي الحشرات والروائح الكريهة والأمراض، وهنا لا بدّ من التنويه بما قامت به الهيئات الشعبية على هذا الصعيد.

- كانت الأدوية قليلة ومنها ما كان مفقوداً، كذلك تعذّر نقل بعض الجرحى والمرضى الى المستوصفات بسبب الرصاص والقذائف، فكان الأهلون يلجأون الى معالجة المصاب، وفي كثير من الأحيان كانوا يفشلون فيعودون الى الينا والجريح أو المصاب في حالة يرثى لها .

- أثّرت الحرب كثيراً على الأطفال نفسياً، فالخوف والرعب سيطرا عليهم، كما كانوا يتأثرون بتوتر أعصاب أهلهم وتصرفاتهم. وكانوا محرومين من كل شيء حتى من الحركة. وهذه الاجواء تركت آثارها على الكثير منهم».

- أُجريت عمليات جراحية لبعض المصابين من دون بنج، وكان يطلب من رفاقهم تكبيلهم وربطهم في الأسرة كي لا يتحركوا عند الإحساس بالوجع أثناء اجراء العمليات.

- تطوّعت الكثيرات من الفتيات وعملن كممرضات في المستشفى وفي مراكز العلاج المستحدثة، ولعبت الراهبات دوراً مميزاً في المجالين الطبي والانساني[1]...

(١) مجلة وطني العدد ٤٢

الملحق رقم - ٢ -
بيانات واعتصامات

أنشأت القوات اللبنانية مكاتب إعلامية ومراكز إتصالات في معظم العواصم الغربية لتعبئة الرأي العالم العالمي، وهذه الحركة جسّدت حضورها بقوة في حرب زحلة ونجحت في نقل وقائع ما يجري في المدينة وحولها الى الصحافة العالمية.

دفع ضغط الراي العام اللبناني والعربي والدولي مواقع قرار عديدة ومؤسسات دولية الى التحرّك والتنديد بما يحصل، وأبرزها:

- الخارجية الأميركية أصدرت بياناً قالت فيه «ان القصف السوري لمدينة زحلة لا يمكن الدفاع عنه أياً تكن الاستفزازات التي أدّت الى تبادل القصف».

- الأمانة العامة للأمم المتحدة والحكومة الفرنسية والفاتيكان قاموا بتوجيه نداءات الى «الأطراف المعنيين» في لبنان «لوضع حدّ سريع لعمليات القصف فوراً».

- الخارجية المصرية أكدت «استنكار مصر لأعمال العنف والقهر في لبنان» وأهابت بالجميع «ضبط النفس».

- الحكومة الكويتية ندّدت بـ«الأحداث الدامية في لبنان» وناشدت «جميع الأطراف المعنيين العودة فوراً الى حوار العقل».

- الديوان الملكي السعودي أصدر بياناً أعرب فيه عن «قلق السعودية حيال الصدامات التي تجري في لبنان»، وناشد «قادة لبنان وزعماءه تحمّل مسؤولياتهم وحسم المحنة بحلّ سريع».

- مدينة باريس شهدت مسيرة لبنانية - فرنسية «استنكاراً لعمليات القصف السوري للسكان المدنيين في زحلة وبيروت»، ورفض السفير السوري استقبال وفد من النواب الفرنسيين انتُدب لتسليمه مذكرة باسم المشاركين في المسيرة. أما رئيس الوفد فريديريك دوبون، فتلا نص المذكرة



إعتصام في ساحة الإنفاليد في باريس





إعتصام في نيويورك ودعوة لخروج السوريون من لبنان

التي أعربت «عن استنكار المشاركين في المسيرة لعمليات القصف السوري وتضامنهم مع مقاومة الشعب اللبناني بقيادة المقاومة اللبنانية».

- اللبنانيون في أوتاوا توجهوا بتظاهرة الى مبنى البرلمان الكندي وطالبوا بوقف النار.

- البرلمان الأوروبي دعا «الى وقف النار فوراً ووقف القصف السوري» والى انسحاب «جميع القوات الأجنبية باستثناء القوة الدولية» من لبنان.

- بعد القصف العنيف الذي تعرّضت له زحلة، عُقد في ٣٠ نيسان ١٩٨١ في المطرانية الكاثوليكية في سيدة النجاة ما يشبه العامية، وحضرها المطارنة اغسطينوس فرح واسبيريدون خوري وجورج اسكندر والنائب البطريركي الارثوذكسي كيريلس ضومط وممثلون عن وزراء المدينة ونوابها واحزابها وكل الفعاليات الدينية والاقتصادية والمدنية والمجلس البلدي والهيئات الاختيارية وصدر ما يلي: «في غمرة هذه الأحداث الدامية.. تنتصب زحلة من تحت أنقاضها لتوضح انها تتعرض لمؤامرة بشعة هزت العالم ولعدوان قامت به قوات الردع العربية السورية بكل انواع الأسلحة الفتاكة، وتعلن الآتي:

مطارنة زحلة لعبوا دوراً مهماً خلال الآزمة

أولاً: ان زحلة للبقاع والبقاع لزحلة وكلاهما جزء لا يتجزأ من لبنان.

ثانياً: زحلة دار السلام، لكنها مربى الأسود لا تتهاون ساعة الضيم.

ثالثاً: زحلة ترفض ان تصبغ بأي صبغة غير لبنانية.

رابعاً: تتمسّك زحلة بإصرار على حرية وسيادة واستقلال لبنان.

هذه هي عامية زحلة بهويتها اللبنانية، هذه هي زحلة وحقيقة ما تريده في لحظة الحقيقة التاريخية.

- في مناسبة مرور شهرين على الحرب التي تعيشها المدينة، ومن عمق المأساة، وجّه أهالي زحلة نحو عشرين نداء الى قياديي العالم والى الشعوب كافة، مستصرخين الضمائر للعمل على وقف الحصار والموت. وجّهت النداءات الى البابا يوحنا بولس الثاني، الرئيس الأميركي رونالد ريغان، الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، الكاردينال كوك، العاهل السعودي خالد بن عبد العزيز، الرئيس المصري أنور السادات، الرئيس اللبناني الياس سركيس، أمين عام الأمم المتحدة كورت فادهايم، مجلس البطاركة الكاثوليك، مجلس الكنائس العالمي، البطريرك هزيم، البرلمان الأوروبي، البرلمان الدولي، الرأي العام العالمي، جامعة الدول العربية، أوليفيه دورميسون، لجنة المتابعة العربية، السفير السعودي علي الشاعر، عموم اللبنانيين، أبناء البقاع، الكشاف الجراح المسلم...

- في ١٢ حزيران ١٩٨١، أي بعد مرور ٧٠ يوماً على بدء حرب زحلة، اعتصم الرهبان والراهبات على طريق قصر بعبدا احتجاجاً على استمرار تدمير زحلة، واستمر الإعتصام حتى انتهاء الحرب.

يقول احد الرهبان الذين كانوا في عداد المعتصمين: «أردنا أن نرسل رسالة وصوتاً ليس كباقي الأصوات، صوت قلّ مثيله يهمس في خضم المعركة ووابل القذائف وحمم اللهيب والنار، صوت يكاد لا يُسمَع، يهمس في أذن من عوّدته الحرب أن يركن فقط، ولسوء الحظ، الى الضجيج وصخب المعارك... أردنا أن نصلّي وما أجملها صلاة حوّلت العدو

الى صديق. «أحبّوا أعداءكم»... صلاتنا الى المسيح أصبحت آنذاك من أجل الانسان أياً كان هذا الانسان.

اعتصامنا صلاة علانية من أجل انتهاء الحرب ورفع الحصار المضروب حول مدينة زحلة.. صلاتنا، بالرغم ممن أرادوها في الخفية، اتت علانية فهكذا أرادتها العناية لتقول لا للعنف.

ويتابع: «عندما انطلقنا في ١٢ حزيران


بطاركة ومطارنة زاروا الرهبان المعتصمين

في مسيرتنا نحو الاعتصام الذي كنا نريده في القصر الجمهوري علمنا بواسطة بعض المخبرين ان الدولة، بعد ان علمت بطرقها الخاصة بمسيرتنا، بدأت تعمل جاهدة لتحبط تحرّكنا قبل أن يرى النور. بداية حاولت بالطرق الدبلوماسية الاتصال بنا بواسطة بعض المقرّبين الينا لنعدل عن تصميمنا، وبعد أن باءت محاولاتها بالفشل، لجأت الى الصدّ العسكري.

كنا نودّ الانطلاق من مستشفى سان شارل لكن علمنا ان فرقة المكافحة في الجيش اللبناني تقف لنا هناك بالمرصاد، فبدّلنا مكان الانطلاق وأصبح مستشفى الحازمية. وما أن وصلنا اليه، حتى وصل الدرك اللبناني وتبعته فرقة المكافحة وأوقفت آلياتها العسكرية مقابل الحافلة والسيارات التي كانت تقلّنا، فلم يعد بإمكاننا التقدّم».

إضافة الى التضامن مع الإعتصام الرهباني في لبنان، وقيام عدد كبير من السياسيين بزيارة المعتصمين، كان لتحرّك الرهبان والراهبات صدىً في المحافل الدولية.

فبين ١٨ و٢١ حزيران، عقدت الرابطة الأميركية - اللبنانية مؤتمرها السادس في واشنطن تحت شعار: «لبنان للبنانيين»، وأيّدت اعتصام الرهبان والراهبات لفكّ الحصار عن مدينة زحلة، وطلبت من الأمم المتّحدة والصليب الأحمر الدولي الإهتمام بوضع المصابين في زحلة وإخراجهم ليؤمّن لهم العلاج التامّ، وإرسال المؤن والأدوية الى الأهالي. كما طلبت اللجنة من الإدارة الأميركية وضع حدّ للمجزرة التي يتعرّض لها السكان المدنيون في لبنان.

وتزامناً مع اتّخاذ القرار بدخول القوى الأمنية الى زحلة، خصّص الرهبان والراهبات الزحليون المعتصمون على طريق القصر الجمهوري يوم الثلاثاء ٣٠ حزيران للصلاة من أجل نجاح تنفيذ التدابير الأمنية في زحلة، وتتبعوا

تـقـدم قـوى الأمـن الداخلي الى المدينة وهـم يصلّـون لـئـلا يواجه هذا التحرّك أي إنتكاسة.

ورأس الأب بـطـرس الـمـعـلـم الـرئـيـس الـعـام لجمعية المرسلين البـولسيـين قداساً لهذه الغاية حضره النائب الشيخ أمين الجميّل والأم ماري



صلوات المعتصمين من أجل السلام في زحلة



لـويـز شـديـاق الـرئيـسـة العامة لراهبات القلبين الأقـدسـيـن والأم تـريـز صليبا الرئيسة العامة لـلـراهـبـات الشـويـريات والأم مـــاري زغـــيـب الـرئـيـسـة الـسـابـقـة لـراهـبـات الصـلـيب والأخت ماري كليمانس خـوري المديرة العامة لراهبات الصليب.

وبـعـد الإنـجـيـل ألـقـى الأب المعلم كلمة قال فيها: «ان الثمرة الأولى التي أعطتها صلاة المعتصمين كانت فكّ الحصار عن مدينة زحلة».

الملحق رقم - ٣ -
الإعلام المحلي والدولي

أيام الحرب في الصحف اللبنانية

- **في ١٩٨١/٣/٣٠**، احتجزت عناصر مجهولة مواطنين من زحلة هما ديب نجيم ومارون الفحل وطالب الخاطفون باطلاق عناصر محتجزين منهم لدى حزب الكتائب في زحلة في مقابل اطلاق نجيم والفحل.
- **الخميس ١٩٨١/٤/٢ :** الاشتباكات التي شهدتها زحلة يومي الثلاثاء والاربعاء عنفت يوم الخميس بشكل كبير وتحوّلت حرباً حقيقية. قصف عنيف على أحياء المدينة واشتباكات ضارية في تلال زحلة الغربية بين مركز أبو نعوم وخزّان المياه. وفي الجرد في مواقع باحينا وبير هاشم وبسوجا وضهر المغر وكتورة. تدمير واحتراق منازل كثيرة وإصابة مطرانية الروم الكاثوليك بقذائف عدة، ومقتل حنا الترك والد السفير فؤاد الترك بقذيفة.
- تحليق ٤ طائرات ميغ ٢١ سورية فوق زحلة لمدة ربع ساعة.
- في حوش الأمراء، أصيبت بناية «العبسي» بقذائف عدّة ما أدى الى تهدمها بالكامل وحوصر في طبقتها الأرضية ٣٠ شخصاً، منهم ايلي زغبي وعائلته وميشال صبوحة وعائلته وابراهيم شلغانيان وعائلته وجورج شهدان مقصود وعائلته. ولم تستطع فرق الإنقاذ تخليص أحد بسبب غزارة القصف. وفي حوش الأمراء أيضاً، قتل ثلاثة مواطنين منهم طوني جوزيف صهيوني وطوني أبو منصور، وجرح ١٨ شخصاً حال بعضهم خطرة منهم جميل وجورج عيسى وجوزفين شعشع وطوني شمعون وميشال ماررديني وجورجيت أبو ديوان وايلي مصروعة وفوزي خليل.

ونزف أربعة جرحى حتى الموت بعدما منع القصف السيارات التي تقلّهم من الوصول الى المستشفى وهم جوزف ريا وبولس كرم وطوني حاكم وايلي ابو سالم. كما أدى القصف الى جرح ٨ في وادي العرايش منهم نجيب ابو شعيا وجميل غنطوس.

وقوع اشتباكات عنيفة ليلاً على محاور المدينة الصناعية.

أساقفة زحلة أصدروا بياناً ناشدوا فيه المسؤولين اللبنانيين وقف الحرب.

- **الجمعة ١٩٨١/٤/٣ :** الأحياء الداخلية في الأشرفية أفاقت صباحاً على مظاهر من الخراب أعادت الى الذاكرة حرب السنتين وأحداث ١٩٧٨.
- **يوم حداد:** دعت نساء المتن الشمالي نساء لبنان الى جعل يوم السبت ٨١/٤/٤ «يوم حداد وطني» في كلّ المناطق «إستنكاراً للمجازر التي تعرّضت لها بعض المناطق اللبنانية، خصوصاً زحلة البطلة»... وأعلنت الفعاليات الإقتصادية والتجارية والطالبية في المتن وكسروان وجبيل الإضراب مشاركة في يوم الحداد، كما أعلن المونسنيور اغناطيوس مارون أن المدارس الكاثوليكية قررت الإضراب العام يومي السبت والإثنين ٤ و ٦ نيسان.

مراسل جريدة «النهار» في زحلة كتب: بعد الهدوء النسبي الذي تلا إعلان اللواء علي أصلان، نائب رئيس الأركان السوري، أنه أصدر أوامره بوقف النار في الخامسة من مساء الخميس الماضي، تجدّد القصف في ساعات الصباح وشمل كل أحياء المدينة، ولا سيما منها حوش الأمراء والمدينة الصناعية والحمّار والمعلقة وحوش الزراعنة والميدان. واستمرّ القناصون المتمركزون في تمثال السيدة في إطلاق النار من «الدوشكا» و«الغرونوف» في كل الإتجاهات وعلى كل شيء يتحرك. فيما كانت المدافع المضادة من عيار ٤٧ و ٥٢ و ٥٧ ملم تضيء بقذائفها ليل زحلة وتحوّله نهاراً. ومع انبلاج الفجر قصفت الدبابات السورية بعنف حوش الأمراء والمدينة الصناعية. وذكر أن محاولات إقتحام حصلت على محاور عدة لكنها لم تنجح.

- **تعزيزات وقصف:** وصلت صباحاً ٨ دبابات سورية الى ساحة المعركة وتمركز أربع منها قرب «الميدواي» في محلة كسارة، والأربع الأخرى قرب الليسيه وقصفت حوش الأمراء مباشرة. وتركّز القصف حول مستشفى تل شيحا. وذكر أن قذائف عدة أصابت مبنى المستشفى إصابات مباشرة كذلك مبنى دار العجزة حيث قتل اثنان من نزلائه.

- قصف عنيف على مبنى الجامعة اليسوعية الذي يُشاد حديثاً في تلال زحلة الغربية، تلته معركة بين المبنى ومركز أبو نعوم حيث تتمركز القوات السورية.

- **طيران:** الطيران الإسرائيلي حلّق فوق زحلة وخرق جدار الصوت. ثم حلّق طيران سوري.

- استعملت مصفحة لقوى الأمن الداخلي لنقل بعض الجرحى الى مستشفى تل شيحا، ورفع على المصفحة علم أبيض وقد أطلقت عليها النار أيضاً لكنها استطاعت الوصول الى المستشفى.

- انقطاع التيار الكهربائي عن المدينة التي بدأت تعاني من أزمة فقدان الخبز والمواد الغذائية والدم والمواد الطبية والمحروقات.

- دفن الزحليون جثث ضحاياهم في حدائق المنازل لتعذر الوصول الى المدافن.

- تعرّضت سيارة إسعاف للصليب الأحمر اللبناني بين الكرك وحوش الأمراء للرصاص، فقتل ثلاثة من ركابها هم الأخت ماري صوفي الزغبي من راهبات القلبين الأقدسين وخليل صيدح وسليم حمود. وكان الثلاثة ينقلون أمصالاً ودماً وكمية من المواد الغذائية من منطقة بعلبك الى زحلة.

- أنقذ رجال الإسعاف الفتى روجيه معلوف (٨ أعوام) من تحت أنقاض بناية «العبسي» التي انهارت قبل يومين على ٣٠ شخصاً. وكان الفتى جائعاً ويبكي شقيقته وأمه اللتين قتلتا تحت الأنقاض. وتبيّن أيضاً أن هناك ٤ أحياء تحت الأنقاض، ولكن تعذّر على فرق الإسعاف إنقاذهم لأنهم في حاجة الى رافعات غير متوافرة حالياً، فضلاً عن خطر الإنهيارات.

- وضعت إمرأتان طفلين في الملجأ سمي أحدهما نصر الياس نصر.

- **إصابة مستشفى تل شيحا:** أصابت راجمات الصواريخ ومدافع الميدان مبنى «ميتم مار يوسف» و«مستشفى تل شيحا» حيث سقطت قذيفة في وسطه، فحطمت الزجاج وأصابت العدد الأكبر من الغرف من بينها غرفة الجراحة التي تعطلت عن العمل وكما أصيب الطبيب المبنّج بجروح. وقال أحد العاملين في المستشفى: «أصبحنا نجد صعوبة في معالجة ١٥٠ شخصاً في ظل هذه الظروف القاسية». وبصفته رئيساً للجنة مستشفى تل شيحا، وجّه المطران أغسطينوس فرح راعي أبرشية الروم الكاثوليك النداء الآتي: «إن أعمال القصف الوحشي على مدينة زحلة أصابت مستشفى تل شيحا إصابات مباشرة في غرفة الجراحة وأدّت الى جرح عدد من العاملين فيه ما شلّ أعمال الإسعاف الأولية للمرضى والجرحى الموجودين فيه وهم في حال من الذعر وعرضة للموت المحتم. فبإسم الإنسانية وباسم القيم وباسم العدالة وشرعة حقوق الإنسان، على الضمير العالمي أن يقف على هذه الحقيقة الظالمة التي قلما عرف مثلها البشر...».

- أشارت الإحصاءات الى وقوع أكثر من ٥٠ قتيلاً بمن فيهم ضحايا بناية العبسي، ونحو ١٠٠ جريح.

- **هجوم على «الردع»:** أفاد تقرير أمني أن عناصر مسلحة هاجمت بعد الظهر مركز «الردع» على مدخل زحلة، وقصفت الآليات والمتاريس بقذائف «آر بي جي» ومدافع ١٠٦، وشنّت على الأثر معركة عنيفة سقط نتيجتها المركز بعدما أحرقت ٣ دبابات وبعض الآليات.. وأصابت القذائف منزل وزير الدفاع جوزف سكاف في حي الميدان ومنزل وزير الأشغال العامة الياس الهراوي في حوش الأمراء واشتعلت فيه النار. كذلك أصيبت كنيسة مار أنطونيوس وكنيسة مار تقلا ودير الأباء الكبوشيين في الراسيه ودير راهبات العائلة المقدسة

- اصدرت «القوات اللبنانية» البيان الآتي: «الخامسة والدقيقة العاشرة صباحاً، حصل هجوم واسع على كل المحاور. وفشلت محاولة إختراق سورية على جسر الفيضا».

- انتقلت ٣ دبابات من قب الياس في اتجاه زحلة وحصلت عملية إقتحام صدّت ببسالة.

- تحرّكت ٣ ناقلات جند على طريق المعلقة، فنسفت اثنتان وتعطّلتا وهرب السوريون من الثالثة.
- حصلت محاولة سورية لفك الطوق عن فرقة مطوقة على الجسر ومنيت بالفشل.
- معركة طاحنة في حوش الأمراء وهجوم على المعلقة وحوش الأمراء والمدينة الصناعية...
- إحتجاجاً على قصف زحلة، إعتصام في كنائس كاثوليكية في سن الفيل وانطلياس والأشرفية وضبيه وعين الرمانة وفرن الشباك، تجاوباً مع الدعوة التي وجهتها رابطة الروم الكاثوليك.

- السبت ٤ / ٤ / ١٩٨١ : اشتعلت خطوط التماس من الأسواق حتى الحدث وألهب التراشق المدفعي والصاروخي بيروت والضواحي. والحصيلة ٦ قتلى و ٦٢ جريحاً في المنطقتين والقذائف شملت محيط القصر الجمهوري.

- أصدرت وزارة الدفاع الوطني البلاغ الآتي: «لليوم الرابع على التوالي، لا تزال مراكز الجيش اللبناني تتعرّض لرمايات مركزة على عناصرها من الجهة المقابلة على خطوط التماس، وذلك من دون أي سبب. وأصيب نتيجة الرمايات خمسة عسكريين هم الملازم فهمي عويدات، العريف جوزف نعمة، الجندي سعود عباس، الجندي برهان حسن، الجندي إيلي راشد».
- ردّت قوة الردع العربية بالبيان الآتي :«أذاعت اليوم بعض مصادر الأنباء المحلية أن إشتباكات وقعت على خطوط التماس بين قوات الردع العربية والجيش اللبناني، خصوصاً بين غاليري سمعان والريجي. إن هذه الأخبار لا أساس لها من الصحة وقوات الردع العربية لم تشتبك إطلاقاً مع الجيش اللبناني إنما وجهت نيرانها الى مصادر النيران التي أطلقت عليها والتي كان معروفاً لديها أنها لا تضم عناصر من الجيش اللبناني.»
- صحيفة «النهار» أوردت ان زحلة شهدت أصعب يوم في تاريخها وعاشت أحرج اللحظات وأقساها...
- قصف عنيف على تلال زحلة الشمالية، ولا سيما ضهر المغر وتلة حرقات التي هاجمتها القوات السورية من جهات عدّة بمساندة المدفعية وأصبحت مشرفة على زحلة من الناحية الشمالية. كما تقدّمت القوات السورية على محور عين الفلفلي.
- محاولات إقتحام لمحور حوش الأمراء من ناحية كسارة والفيضا.
- معركة مع الدبابات السورية على محور الكرك- الفرزل تجاه ضهر المغر.
- اشتباك مع آليات سورية حاولت التقدم من الكرك باتجاه تلة الحمار، واستعمل الطرفان القذائف الصاروخية والمدفعية.
- وحدات من «الردع» دخلت حيّ السريان في محلة كسارة واتخذت مواقع جديدة في الكرك.
- وقوع ٢٠ قتيلاً و١٠٠ جريح تعذّر نقلهم الى المستشفيات بسبب القصف والقنص.
- تهدّمت عشرات البيوت كلياً، وأصيبت واحترقت مئات المنازل خصوصاً في حي البربارة.
- تحليق طائرات «ميغ ٢١» سورية فوق تلال زحلة.

- وقف النار: أجرى محافظ البقاع هنري لحود مساء إتصالاً براعي أبرشية الروم الكاثوليك في زحلة المطران اغسطينوس فرح وأبلغه أن العقيد محمد غانم رئيس جهاز المخابرات في القوات السورية العاملة في «الردع»، اتفق مع وزير الأشغال الياس الهراوي وقائد «الردع» العميد سامي الخطيب في الاجتماع الثلاثي الذي عقدوه في شتورة على وقف النار وحلول وحدات من الجيش اللبناني في زحلة.

- أذاعت قيادة «القوات اللبنانية» بياناً عن العمليات العسكرية في زحلة مما جاء فيه: «سَجّلت محاولة إنزال سورية في ضهر المغر وضهر حرقات من الجبهة الشمالية واشتركت ٥٠ دبابة سورية في القصف وشاركت طائرات مروحية في الهجمات. الجيش السوري دخل حي السريان في كساره، ووحدات من القوات الخاصة أخذت مراكز جديدة في الكرك وحوش الأمراء، وسجّلت حشود سورية ودبابات في تعلبايا، فضلاً عن حشود سورية كبيرة في جهة كساره وراجمات صواريخ في منطقة الليسيه».
- محاولة هجوم عام على كل المراكز بدأت بتقدّم المشاة تحت ستار قصف شديد.

– قصف شديد على قاع الريم ومحاولة هجوم. وسُجل تدمير ٣٠ منزلاً في قاع الريم وحاولت ٢٠ دبابة الهجوم على حوش الأمراء والمدينة الصناعية وأصيب بعض آليات المهاجمين.
– هجمات قوية على كل المحاور. القصف بكل أنواع الأسلحة الثقيلة بمعدل ٣٠ قذيفة في الدقيقة.
- الاحد٥ /٤ /١٩٨١: كشف البابا يوحنا بولس الثاني أمام مئة ألف شخص في ساحة القديس بطرس «أن الفاتيكان تدّخل في محاولة لإنهاء النزاع في لبنان»، وقال: «إن النزاع أدى الى تهديم مدارس وكنائس عدة في المناطق المسيحية(...) وان لبنان، حيث تعيش مجموعات مسيحية، يعاني منذ ٦ سنوات شعوراً مؤلماً تميز بالصراعات في منطقة غير مستقرة. وهذا يؤثر على مشكلة الشرق الأوسط». وأضاف: «إنّ الفاتيكان تدّخل بحسب إمكاناته جاهداً لوقف النزاع. وقد طلب المطارنة اللبنانيون من إخوانهم في العالم التضامن معهم (...) إنه وضع مؤلم ومقلق».
– أعلنت الوكالة العربية السورية للأنباء «سانا» أن العقيد معمر القذافي أجرى مكالمة هاتفية مع الرئيس حافظ الأسد حول الوضع في لبنان وانه «يدعم الجهود السورية...». وقالت الوكالة إن الرئيس السوري أبلغ الزعيم الليبي أن سوريا ستستمر في التحرّك في الخط الذي رسمته للدفاع عن حقوق الأمة...
– بحث مجلس الوزراء الإسرائيلي في جلسته الاسبوعية في تطورات الوضع في لبنان وقال اسحق شامير وزير الخارجية الإسرائيلية إن الدولة العبرية لا يمكنها أن تبقى لا مبالية ومكتوفة حيال ما سمّاه «المجزرة التي يتعرّض لها السكان المدنيون الأبرياء في الجانب الآخر من الحدود بعمل مشترك يقوم به السوريون والفدائيون»، وتحدث شامير في مقابلة إذاعية عن «القلق العميق لإسرائيل من إخلال التوازن الهش في لبنان»، مشيراً الى أن ثمة ضرورة بالنسبة الى إسرائيل «لاتخاذ قرارات جديدة (...) حيال الوضع الناشئ». فيما اعتبر نائب وزير الدفاع موردخاي تسيبوري أن إلتزام إسرائيل الدفاع عن المسيحيين في لبنان عسكرياً لا يطول إلا سكان «الجيب» في الجنوب. وصرح موشي أرينز رئيس لجنة الشؤون الخارجية والأمن في الكنيست ان «على إسرائيل واجباً هو حماية كل المسيحيين في لبنان، وليس فقط الموجودين في جنوب البلاد فحسب». وقال للإذاعة الإسرائيلية ان «الذي يجري هو ان السوريين (...) يحاولون تدمير ذلك العامل الذي يقاوم السيطرة السورية على لبنان (...)».
- الاثنين ٦ /٤ /١٩٨١: اشتباكات عنيفة في الحدث وغاليري سمعان والقصف يصيب المستشفى العسكري وقيادة منطقة بيروت في الجيش اللبناني.
– تظاهرة من ألف لبناني اعتصموا أمام مبنى الامم المتحدة في نيويورك ودعوا مجلس الامن الى التدخل وإبدال قوات الردع العربية بقوات طوارىء دولية.
– وصلت الى بيروت طائرة مستوصف فرنسية تضم فريقاً طبّياً من ٢١ طبيباً فرنسياً لنقل جرحى الحرب في زحلة وبيروت الى فرنسا، وذلك بعدما اتخذ الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان قراراً بإرسال طائرتين من هذا النوع.
– حدّد عبد الحليم خدام ١٦ شرطاً لحل قضية زحلة ووقف النار، وأكّد أنّ الردع قوة شرعية تضرب من يقاتلها، وذلك بعدما أجرى محادثات مع رئيس الجمهورية الياس سركيس ورئيس الحكومة شفيق الوزان ووزير الخارجية فؤاد بطرس، وحضر جانباً من المحادثات وزراء زحلة جوزيف سكاف والياس الهراوي وجوزيف ابو خاطر وقائد قوات الردع العميد سامي الخطيب ... حمّل خدام المسؤولية للفئات التي ارتضت التعامل مع العدو الاسرائيلي والتي نقلت المشكلة الى البقاع ....
- الخميس ٩ /٤ /١٩٨١:
–اشتباكات عنيفة في قاع الريم.
–الصليب الأحمر يدخل زحلة (سبع سيارات) مع بعثة أطباء فرنسيين أحصوا ١٨ إصابة خطيرة يجب نقلها الى فرنسا، وأبلغوا الأسماء لقيادة الردع للموافقة على نقلهم. تأخّر خروج البعثة من المدينة أكثر من ساعتين بسبب

تسجيل أسماء الجرحى وعددهم ١٨، وبسبب التأخير في تضميد جروح المصابين. وهم انطوان كرم (من وحدات المغاوير، أصيب في المعلقة وبترت ساقاه وتوفي في العام ٢٠٠٩)، سامي مللو، سعد كفوري، يعقوب عبدايم، ميشال الوف، ايلي الحويط، يعقوب التنوري، سميرة مللو، سهام مللو ووالديها وشقيقتها، الطفل روجيه المعلوف، جوزيف جرجس ساسين، طوني عماد، ظريفة الصلماني، سمر تركمان، ندى مللو، طوني عبد المسيح... وجميعهم في حال خطرة.

- **الجمعة ١٠/٤/١٩٨١:** اشتباكات ومواجهات في تلال زحلة، وفيما اعتبرت الجبهة اللبنانية ذلك خرقاً لوقف اطلاق النار المتّفق عليه، اعتبر الجانب السوري غير ذلك وخصوصاً ان دمشق أبلغت السلطة والمتعاطين بالوضع ان وقف النار يتناول مدينة زحلة فقط ولا يشمل تلالها ومرتفعاتها.

- **السبت ١١/٤/١٩٨١:** الساعة الثالثة فجراً، حطّت في مطار فيلاكوبلاي العسكري في ضواحي باريس طائرة ترنسال العسكرية ناقلة ٢٢ جريحاً من لبنان أصيبوا في زحلة وبيروت بينهم الطفل روجيه المعلوف (٨ سنوات) الذي بترت ساقاه، والذي سمح لعمته بمرافقته لصغر سنه و٧ جرحى من الجيش اللبناني أصيبوا في بيروت ونقلتهم سيارات اسعاف الى أربع مستشفيات فرنسية...

- سيطرة سورية على تلال زحلة بعد معارك ضارية وإقفال الطريق الذي يربط زحلة بصنين.

- هجوم على قرية قاع الريم التي شهدت إنزالاً مجوقلاً تمّ صده.. وذكرت صحيفة النهار ان بلدة قاع الريم تلقّت إنذاراً بالاستسلام، واجتمع بعض وجهائها بمحافظ البقاع هنري لحود، وجرت اتصالات برئيس جهاز الاستخبارات السورية العقيد محمد غانم...

- انزال سوري في جبل دير شرفة المطل على قاع الريم ووادي العرايش.
- اشتباكات في تلال حرقات وعين الدوق.
- الجيش السوري يسيطر على تلال باجينا والكسارات وقلعتي عرمتا وعروس وضهر السما ودير الشرفة.
- في بيروت اشتباكات على محاور الطيونة والمصالح والبرجاوي وقصف أوقع ٥ قتلى و١٢ جريحاً.

- **الاحد ١٢/٤/١٩٨١:**

- كان أحد الشعانين، لكن شموع الاطفال لم تضأ في زحلة كعادتها وتليت الصلوات في الملاجيء من دون كهرباء..

- قصف عنيف على بلدة قاع الريم وذكرت صحيفة النهار ان أهالي قاع الريم عادوا الى متاريسهم حول البلدة التي تعرّضت لهجوم عنيف استطاعوا صدّه...

- اتفاق من ٣ نقاط عَملَ عليه المحافظ والمطارنة وقائد الدرك مع القوات السورية ويقضي بنقل الآليات المعطلة على جسر زحلة بإشراف السوريين، وتولّي الدرك الامن في زحلة حتى كسارة عبر جسر زحلة، ويتولى الردع الطريق من مدخل زحلة شمالاً حتى أبلح، وتدخل وحدات جديدة الى التلال حول زحلة من الجيش السوري العامل في لبنان غير القوات الخاصة.

- دخول قافلة للصليب الأحمر اللبناني والدولي الى زحلة مؤلّفة من ١٠ سيارات فيها ٣٠ عنصراً وتنقل مواد طبية وأدوية... ونقل الفريق الى بيروت ١٥ جريحاً في حال خطرة من مركز الصليب الأحمر ومن مستشفى تل شيحا.. و٤ جثث هي للأخت ماري صوفي الزغبي والمسعفين خليل صدح وسليم حمود والجثة الرابعة لم يتم التعرف عليها. أجلى الصليب الاحمر أيضاً ٦ عمال ايطاليين كانوا محتجزين في زحلة، وتسلّمهم مندوب السفارة الايطالية في شتورا، وكذلك خرجت امرأة سويسرية تسلمتها سفارة بلادها .

أحد الذين أجلاهم الصليب الاحمر طفل مضى على ولادته ٢٠ يوماً بعدما أنجبته والدته في مستشفى تل شيحا، ولكنه وضع في حاضنة، ونتيجة القصف تمّ إخلاء المستشفى، لكن الطفل بقي وتسلّمه أحد أفراد عائلته في شتورا.

- وصل الى مستشفى بعبدا الجرحى شفيق عنطوري - قزحيا سعادة - جو المر - ايلي كفوري - فرنسيس صافي

- سليمان حلو - روجيه عويس - جوزفين شعشع - ميلاد سرو - ملك ريبو - طوني شمعون - ميشال مارديني - ايلي مصروعة - عبدو العتل ..

- حصل إشكال في شتورا أخّر خروج القافلة ساعة ونصف بسب التدقيق في هويات الخارجين من زحلة، وطلب رئيس جهاز المخابرات السورية العقيد محمد غانم إبلاغ الصليب الاحمر وجوب عدم خروج الكتائبيين بواسطة الصليب الاحمر.

- قصف واشتباكات عنيفة في قاع الريم رغم وقف اطلاق النار في زحلة، وحريق هائل أتى على معمل ميموزا للورق وغطى دخانه المنطقة حتى سهل البقاع.

الاثنين ١٣ / ٤ / ١٩٨١:

- قصف متقطع وقنص في زحلة وسقوط قتيلين هما أنطوان ملو وشفيقة القاصوف، و١٠ جرحى أحدهم رئيس البلدية عزيز العبدة الذي أصيب برصاصة قنص في يده.

- تحليق طيران حربي سوري يخرق جدار الصوت فوق المدينة.
- اكتمال حصار زحلة وقاع الريم والجيش السوري يشكّل دائرة قطرها ٣٦٠ درجة .
- اشتباك في جرود وادي العرايش لمدة نصف ساعة.
- سحب ٥ جثث من تحت بناية العبسي ليصبح عدد القتلى فيها ١٧.

- الثلاثاء ١٤ / ٤ / ١٩٨١:

- الجيش السوري يسحب آليات قُصفت على الجسر وفي المعلقة .

- اوردت الصحف أن مصدراً مسؤولاً في القوات اللبنانية «نفى نبأ أوردته وكالة الصحافة الفرنسية عن مقتل المسؤول عن القوات اللبنانية في الشمال الدكتور سمير جعجع مع ٤ من رفاقه السبت الماضي على طريق فاريا في كسروان. وقال المصدر ان هذا الخبر عار من الصحة والدكتور جعجع لم يتعرض لأي اعتداء». وكانت الوكالة نقلت عن مراسلين في الشمال أن جعجع و٩ من رفاقه كانوا في ثلاث سيارات جيب عندما سقطوا في مكمن فقتل ٥ وجرح ٥ آخرون ...

- الأربعاء والخميس ١٥ - ١٦ / ٤ / ١٩٨١:

- هدوء حذر في زحلة ولكنه لم يشمل بلدة قاع الريم التي شهدت قصفاً وقنصاً على كل منازلها ...
- الوزير الياس الهراوي يسعى مع السوريين لإيصال الطحين والمواد التموينية الأخرى الى زحلة ..

- الأحد ١٩ / ٤ / ١٩٨١:

- كان يوم عيد الفصح: دفن ٥٢ قتيلاً في جوار كنيسة مار الياس و١٧ في مدافن حوش الأمراء و٤ في حديقة مستشفى تلّ شيحا. عدد الجرحى نحو ٤٠٠.

- الاربعاء ٢٢ / ٤ / ١٩٨١:

- قصف مدفعي وصاروخي عنيف فاجأ زحلة فأوقع ٨ قتلى و٢٣ جريحاً.

- في بيروت، اشتعلت كل الجبهات وحرائق من بعبدا حتى بيت مري وقذائف أقفلت مطار بيروت وسقوط ٨ قتلى و٤٨ جريحاً بينهم جنود من الجيش اللبناني .

- رئيس الرهبانية المارونية الآباتي بولس نعمان يزور دمشق ويلتقي وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام على مدى ست ساعات لبحث الوضع في زحلة .

- شهد الاسبوع توجيه نداءات من أهالي زحلة الى رؤساء العالم والقادة لإنقاذ المدينة...

الخميس و الجمعة ٢٣- ٢٤ / ٤ / ١٩٨١:

- وقف اطلاق النار يصمد، والقذائف تهدأ، لكن القنص والقصف استمرّا على قاع الريم، ما دفع بأساقفة زحلة الى الاتصال برئيس الجمهورية الياس سركيس وبمحافظ البقاع وإبلاغهما عن خرق وقف اطلاق النار، مؤكّدين أنّ

أمن قاع الريم هو من أمن زحلة وان اتفاق وقف اطلاق النار يجب ان يشملها ..
- دخول ثلاث شاحنات محملة بالطحين ومواد غذائية الى مدينة زحلة بعدما تمّ تفتيشها من قبل عناصر من الجيش السوري بقيادة المساعد خليل عباس. وهذه العملية التموينية كانت الثانية منذ بدء الحرب ...
- بعثة الصليب الاحمر تدخل زحلة ومعها أدوية وأمصالاً ومواد طبية، وتنقل منها ١٣ طفلاً و١٨ عجوزاً و٣ اجانب.

السبت ٢٥ / ٤ / ١٩٨١ : سقوط الغرفة الفرنسية

- اشتعال جبهة تلال صنين، واشتباكات عنيفة بالمدفعية والصواريخ والأسلحة الرشاشة وخصوصاً في محيط الغرفة الفرنسية التي تشرف على سهل البقاع شرقاً، وبسكنتا وساحل المتن غرباً، وكسروان شمالاً... والقصف شمل تلال الزعرور والمصاطب وتلال عيون السيمان وفاريا وقناة باكيش ...
- القوات السورية نفّذت إنزالات مجوقلة على بعض تلال صنين.
- معارك عنيفة حول الغرفة الفرنسية استعملت فيها كافة أنواع الاسلحة ورافقها عمليات تقدم سورية بإتّجاه مواقع القوات اللبنانية استمرّت حتى الليل.
- دخول أربع سيارات للصليب الاحمر الى زحلة تحمل أمصالاً وأدوية ...
- دخول شاحنة طحين الى المدينة ...
- قصف وقنص غزير على قاع الريم، ووقوع اشتباك على مدخل البلدة الشمالي في محلة الساقية وسقوط ١٠ جرحى إصاباتهم طفيفة ..
- انهيار وقف اطلاق النار في بيروت وقصف عنيف على الحدث ومحيطها ..

الاثنين ٢٧ / ٤ / ١٩٨١ :

- مشاورات يجريها وزير خارجية سوريا عبد الحليم خدام مع الرئيس الياس سركيس ورئيس الحكومة شفيق الوزان ورئيس مجلس النواب كامل الاسعد، وشملت الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل والأباتي بولس نعمان وأركان التجمّع الاسلامي ووفد الحركة الوطنية المؤلف من وليد جنبلاط وعاصم قانصوه ومحسن ابراهيم والبير منصور ورئيس مجلس قيادة حركة أمل نبيه بري.

الثلاثاء ٢٨ / ٤ / ١٩٨١ :

- قصف عنيف على حوش الأمراء وقاع الريم والمدينة الصناعية والبربارة ومار الياس والراسية... لم يتوقّف الا بعد طلب عبد الحليم خدام الذي كان في قصر بعبدا من القوات السورية وقف اطلاق النار.
- المطران أغسطينوس فرح اتّصل بالرئيس سركيس وقال :«ان زحلة تعيش في جحيم ناري، ونقول بإسم أهالي زحلة وقاع الريم ... أننا لن نرضى باستباحة ارضنا ونحن صامدون ومستعدون للموت من اجلها».
- وقوع ١٢ قتيلاً و٤٦ جريحاً يومي الاثنين والثلاثاء.

الأربعاء ٢٩ / ٤ / ١٩٨١ :

- الوزيران سكاف والهراوي يعلنان تقديم استقالتهما الى رئيس الحكومة استنكارا لما تتعرض له زحلة.
- قصف عنيف على الأحياء وخصوصاً حوش الامراء وعشرات القتلى والجرحى.

الخميس ٣٠ نيسان ١٩٨١ :

في نبأ لوكالة رويترز من جنيف، أذاعت اللجنة الدولية للصليب الاحمر بياناً أعلنت فيه أن فرقها أجلت ما يزيد عن ٢٠٠ شخص من زحلة في الشهر الأول لاندلاع القتال، وأرسلت ١٣ قافلة مع نصف طن من المواد الطبية، وأخرجت ٧١ جريحاً و٧٢ ولداً انفصل عن أهله و٦٠ شخصاً بينهم نساء حوامل ... وفي بيروت، تقدّم اللجنة لنحو ٦٠٠٠ شخص هربوا من بيروت الشرقية الى المنطقة المحيطة بجونيه إمدادات وأطعمة للأطفال وبطانيات ...

الاثنين ٥ -ايار- ١٩٨١ :

- عاد وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام الى بعبدا والتقى الرئيس الياس سركيس ورئيس الحكومة شفيق

الوزّان، ووزير الخارجية فؤاد بطرس. وأبدى خدّام استعداد سوريا لبتّ وضع زحلة شرط أن يصدر بيان من الجبهة اللبنانية عن العلاقة مع اسرائيل.

-العميد محمد الخولي مستشار الرئيس السوري لشؤون الأمن القومي يزور بيروت.

- اسرائيل تؤكد ان الرئيس الاميركي رونالد ريغان طلب إعطاء الدبلوماسية الاميركية المزيد من الوقت لتتمكن من تسوية الأزمة مع سوريا .

- رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن يقول ان سوريا أدخلت صواريخ جديدة الى لبنان من نوع سام ٦ وسام ٢، معتبراً ذلك تهديداً لإسرائيل وللمسيحيين في لبنان وللحرية.

- في جديتا، مرّت سيارة مجهولة الرقم والسائق وأطلق من فيها النار على بيار عبدالله خزّاقة وروبير نجيب حنوش وميشال جوزيف سعادة خزاقة وكانوا أمام متجر فقتلوا جميعاً.

في تعلبايا اقتحم مسلحون منزل يوسف سلامة وقتلوه مع زوجته وديعة التن.

في تعنايل هاجم مسلحون محل عزيز التنوري وقتلوه بالرصاص .

الاثنين ١١ / ٥ / ١٩٨١ :

- سقوط قذائف على جرود العاقورة وعلى مناطق المتن وكسروان.

الاربعاء ١٣ / ٥ / ١٩٨١ :

- قصف عنيف بالمدفعية والصواريخ على تلال صنين والزعرور ومناطق شير الوردة وأبو طراف وتلة المزار وتلال عين الورق، وسقطت قذائف على بسكنتا وتلالها.

الخميس ١٤ / ٥ / ١٩٨١ :

- الرئيس المصري أنور السادات : أقول لسوريا واسرائيل ارفعوا أيديكم عن لبنان.

- اسقاط طائرة استطلاع اسرائيلية من دون طيار فوق البقاع.

- الرئيس حافظ الاسد يرفض البحث في سحب الصواريخ أثناء استقباله المبعوث الاميركي فيليب حبيب.

- خدام : أدخلنا الى لبنان سلاحاً دفاعياً ليمنع الطيران الاسرائيلي من متابعة الاعتداء على قوات الردع.

- مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل :« إسقاط طائرة الاستطلاع بصاروخ سام ٦ يؤكد الخطرعلى أمننا الوطني».

- قصف على زحلة وقاع الريم ورمايات قنص على الاحياء وسقوط ٤ قتلى و٢١ جريحاً.

- مقتل جوزيف توفيق نخلة (٢٣ عاماً) وجان نصري الحاكم (١٥ عاماً) وجرح إثنان آخران في سيارة فولسفاكن تعرضت لرصاص القنص الغزير لدى مخاطرتها بالمرور بعد الظهر على الجسر بين المدينة الصناعية وحوش الأمراء ...

الاثنين ١٨ / ٥ / ١٩٨١ :

- تراشق مدفعي عنيف في تلال الزعرور وصنين وعيون السيمان بين القوات السورية والقوات اللبنانية ..

الثلاثاء ١٩ / ٥ / ١٩٨١ :

- فيليب حبيب في اليوم الثالث عشر لمهمته يزور سوريا بعد الرياض للقاء الاسد.

- قتال ضار على خطوط التماس وقصف مدفعي عنيف ألهب أحياء المنطقتين الشرقية والغربية من بيروت والمتن وكسروان، وسقوط ٢٩ قتيلا و١٤٢ جريحاً.

- قنص متقطع على قاع الريم وتراشق مدفعي بين تلال صنين وعيون السيمان.

الاثنين ٢٥ ايار ١٩٨١ :

- مقتل المفوض في الأمن العام وجدي ديب وجوزيف جورج الحداد، وطوني البش ، وجرح جان سلامة (رينغو).

- قتال ضار على خطوط التماس واقتحامات من الأسواق حتى الطيونة.

- قصف مدفعي ألهب كلّ أحياء بيروت والمتن وكسروان والفتوح.

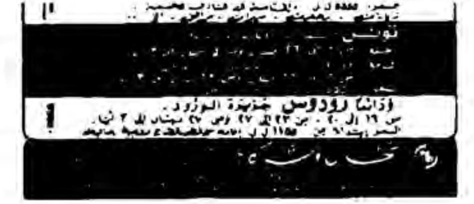
- سقوط ٢٩ قتيلا و ١٤٢ جريحاً وحرائق ودمار ...

الثلاثاء ١٩٨١/٥/٢٦ :

- ثلاث شاحنات تموين كانت تدخل الى زحلة عبر طريق حوش الامراء مروراً بحي مار الياس، واحدة منها تحمل قوارير غاز، وثانية تحمل طحيناً، والثالثة محمّلة بفرشات الاسفنج والبطانيات... لدى وصول الشاحنات الى مفرق سيدة النجاة، تعرّضت لرصاص قنص غزير من رشاشات الدوشكا في تلال حرقات، فأصيبت شاحنة الاسفنج برصاص متفجر وشبت فيها النار، فأتت عليها بالكامل، وأصيب سائق احدى الشاحنات وراهبة مرافقة بجروح.

الخميس - الجمعة والسبت ٢٨ -٢٩ - ١٩٨١/٥/٣٠ :

قصف عنيف على المعلقة وحوش الأمراء وقاع الريم .





خدام حدد ١٦ شرطاً لحل قضية زحلة ووقف النار
وأكد أن "الردع" "قوة شرعية" تضرب من يقاتلها

تحرّك قريب يمهّد لتحقيق وفاق وطني شامل ترافقه اتصالات عربيّة ودوليّة لتفادي الانفجار

واشنطن تؤكد
هيغ بعث بر...
على الجميع

الصفحة ٦ — "النهار" - "الاتحاد اللبناني" — الجمعة ١٩٨١/٤/١٠

خرق محدود لوقف النار في بيروت لم يؤدِ الى انهياره

هدأت الضاحية الجنوبية فسلكت غاليري سمعان ومناوشات أبقت طريق الشام و"بوابة المتحف" مقطوعتين

الرمايات على الجرد والتلال لم تنتقل الى المدينة فسادها الهدوء

الصليب الاحمر دخل زحلة واحصى المصابين وقدم مساعدات وخرج مع ١٨ جريحاً وطلاب احتجزوا في مدارسهم

الخميس ١٩٨١/٤/١٦ — "النهار"

محاور بيروت هدأت صباحاً وتراشق في البرجاوي والطيونة ألهبها ليلاً
العبور على غاليري سمعان نشط

صحافيون ومراسلون زاروا المرتفعات وشاهدوا التحصينات:

"الردع" مشط تلال زحلة واشرف على المدينة والخط الجبلي قطع ولا منفذ إلا الطريق الرئيسية

صفحة — قرش

AN-NAHAR

تدهور مفاجئ في الاسواق وزحلة

مهمة حبيب تقارب نهايتها وملامح الانفراج تبدو بعيدة
مقترحات الحل تصطدم بتصلب



سوريا أسقطت طائرة اسرائيلية أخرى

الأسد رفض البحث في سحب الصواريخ وخدام أكد أنها لن تخرج تحت أي ضغط
وقف تمويل "الردع" ساهم في زيادة التوتر

محللون اميركيون: تحذيرات بيغن جدية والنزاع السوري - الاسرائيلي محتمل
استبعاد عملية اسرائيلية أثناء وجود حبيب

طائرات اسرائيلية قصفت تلال زحلة وصنين واسقطت طائرتي هليكوبتر سوريتين فوق البقاع

قصف قاع الريم والمدينة الصناعية يشعل حرائق وقذائف على حوش الامراء توقع ١٢ قتيلاً و ٤٦ جريحاً



جولة أولى من المشاورات في حضور خدام مع شمعون والجميل ونعمان و"التجمع الاسلامي" واليوم مع ممثلي "الحركة الوطنية" و"جبهة الجنوب" و"حركة أمل"

خدام يذهب لابلاغ الاسد النتائج ويعود الاثنين

أجواء تفاؤل وتشديد على وقف النار وبحث في صيغة جديدة أو حكومة اتحاد






اتصالات اميركية - سوفياتية رافقت التصعيد

بيغن يعلن اتخاذ "قرارات مهمة" ومباشرة تنفيذها: اسقاط طائرتي هليكوبتر سوريتين في البقاع

دمشق تربط التحرك الاسرائيلي بكلام الاسد وزيارة خدام

صفحة قرش

AN-NAHAR — 2 Juin 1981 — 48e. Année — No. 14620

تصعيد واسع في بيروت والضواحي وزحلة حصيلته ١٥ قتيلاً و ١٠٧ جرحى

"الحركة الوطنية" و"القوات اللبنانية" تلتزم عدم قصف الاحياء السكنية والمدنيين

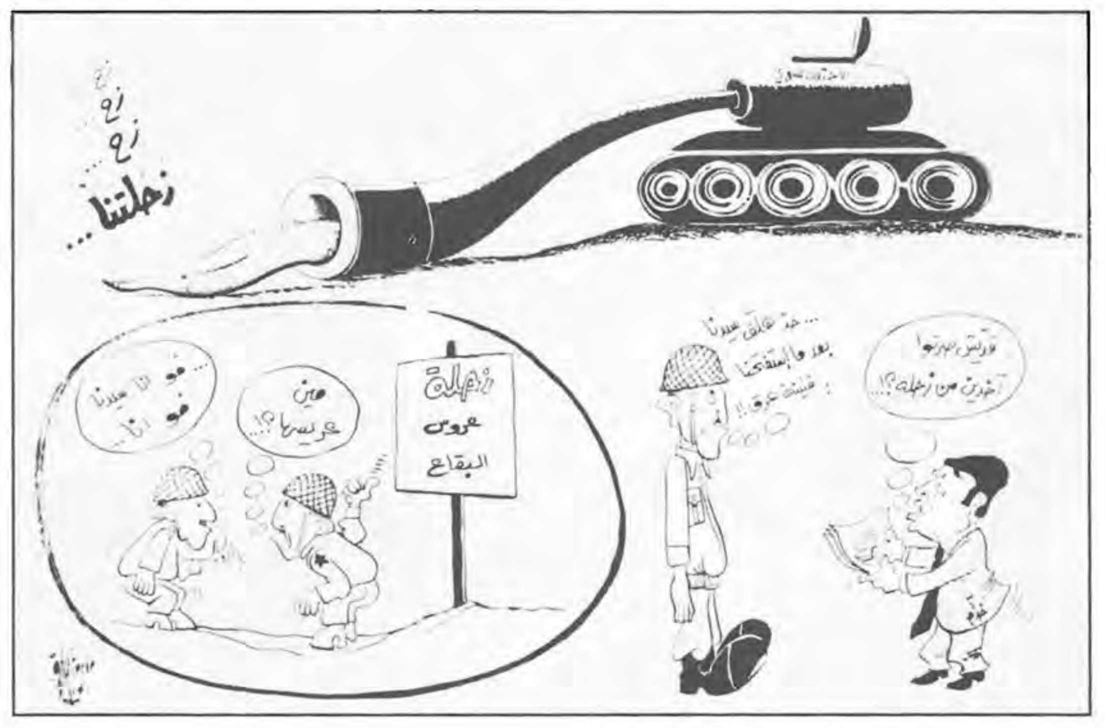
ايتان أكد استمرار العمليات ضد الفدائيين

بيغن: لا نتائج لمهمة حبيب ونقضي على الصواريخ في ساعتين

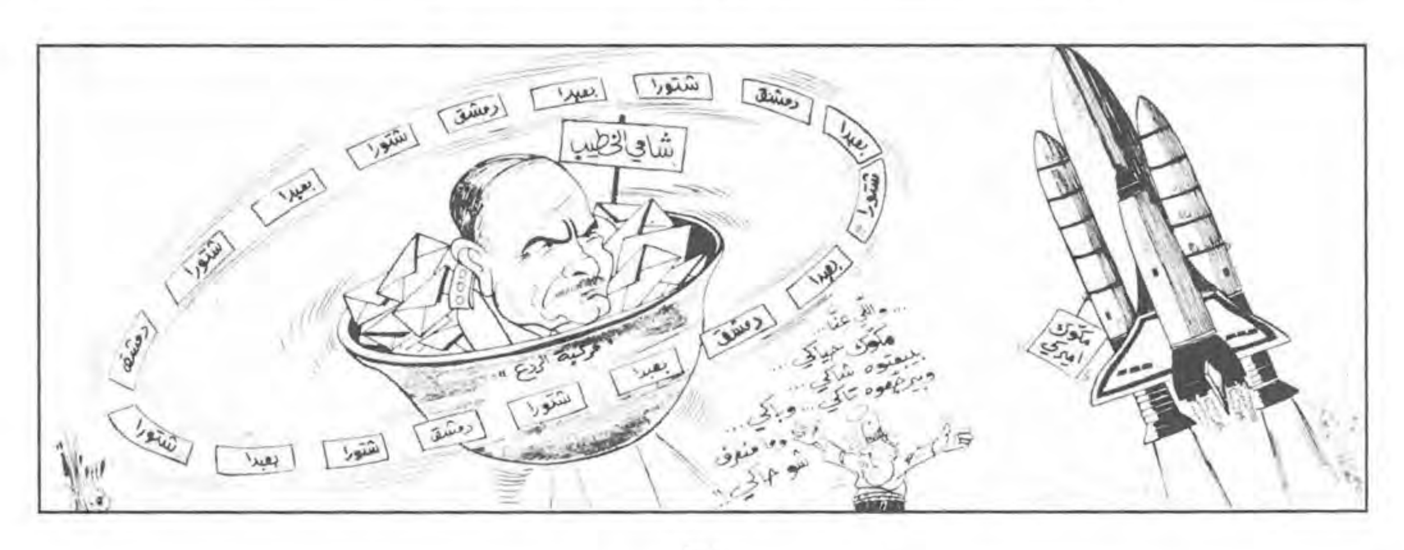
كان معتمداً لا زحة

ممثل المنظمة اغتيل بـ ٦ رصاصات





حرب زحلة بريشة الفنان بيار صادق (كاريكاتور جريدة النهار)



- الإعلام الدولي

صدرت الصحف والمجلات الفرنسية والإنكليزية بصور وعناوين ضخمة تنقل ما يحدث في زحلة وعلى النحو الذي يدين سوريا وأعمالها في لبنان. فحرب زحلة أحرجت سوريا كثيراً وأساءت الى سمعتها ومكانتها الدولية. لكن دمشق تجاهلت كل الضجة العالمية واعتبرت أن إسرائيل هي وراء دخول مقاتلي القوات اللبنانية الى زحلة، وأن ذلك يشكل اختراقاً لخط دفاعها أو بداية اختراق، وبالتالي، بداية توغل إسرائيلي يصل الى حدودها بالذات؟!

١٩٨١/٤/٩:

- مراسل **LE MATIN** نقل عن أحد أعضاء الحكومة الإسرائيلية: «إذا لم تهدأ الحال في زحلة وبيروت خلال ٢٤ ساعة فإن إحتمالات التدخل تصبح أقوى».

١٩٨١/٤/١١:

لوموند: أهالي زحلة شوكة في الحلق السوري.

لا كروا: جان بيانكي كتبت: «لماذا زحلة؟» لأن زحلة مسيحية جداً وسكانها ١٤٠ ألفاً (كاثوليك وموارنة وأرثوذكس) وهي عاصمة منطقة معظمها إسلامية، وهي المدينة المتعمشقة بحفتي وادٍ يُطلّ على سهل البقاع الخصب والتي كانت ولا تزال المنطقة الزراعية وكذلك خزنتها الحديدية.

- سباق بين الحل الفرنسي والتصعيد العسكري السوري.
- باريس تتمسك بوقف النار عبر الأمم المتحدة.

١٩٨١/٤/١٤:

الاكسبرس الفرنسية:

- سوريا لا تريد وجوداً مسيحياً في البقاع هدفها تحقيق الحلم وإخضاع لبنان لسيطرتها.

١٩٨١/٤/١٨:

PARIS - MATCH :

- الحرب في لبنان مستمرة طالما أن هناك غرباء.
- حوادث زحلة هي الدليل الفاضح على مطامع السوريين في لبنان.

١٩٨١/٤/٢٣:

PARIS - MATCH:

- كرّر الديغوليون إدانة المجزرة السورية في زحلة.

اللجنة الفرنسية لمساندة المقاومة اللبنانية تفتح باب التطوع للقتال مع المسيحيين.

١٩٨١/٤/٢٣:

التلفزيون الفرنسي:

- السوريون جيش احتلال فعلي وليس من مصلحتهم توقف الحرب.

في ٢٨ / ٤ / ١٩٨١:

مجلة LE NOUVEL OBSERVATEUR :

- حافظ الأسد: «إنه مجرد عقاب نلقّنه للمسيحيين».

- لن يعود السوريون الى الشام إلا بأعجوبة إلهية.

الصحافي Guy Setbau : «حرب زحلة لم تنته والمقاومة المسيحية لم تكفّ عن تحويل المدينة الى حصن متقدم فيما يعتزم السوريون ضمها إليهم مع المئتي ألف مسيحي فيها:

الصحافية جوزيت آليا: دبلوماسية الإنقاذ أجهضت قبل أن ترى النور.

- لماذا خاطرت فرنسا بمبادرتها الإستعراضية؟

- الشرعية رفضت مساعدة زحلة خوفاً من الأسد.

١٠ / ٥ / ١٩٨١:

نيويورك تايمز تحت عنوان «حتى آخر لبناني»:

- إذا كان مجلس الأمن ندد أخيراً بأعمال الرائد سعد حداد في الجنوب فإن موقفه من القصف السوري لمدينة زحلة سيكون إمتحاناً لمدى حياده.

٣٠ / ٥ / ١٩٨١:

نيويورك تايمز:

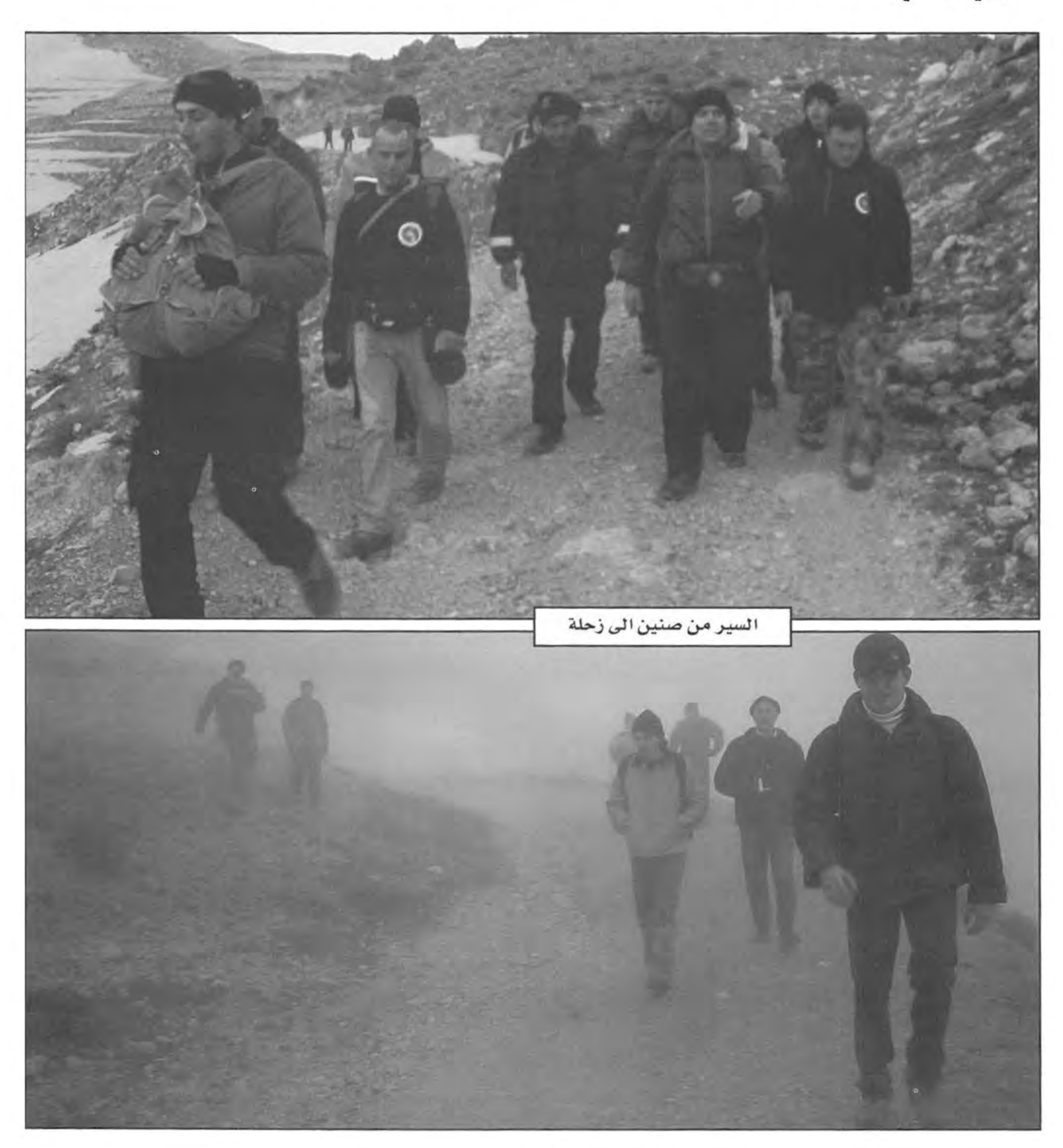
- واشنطن قلقة وفرنسا تطلب موقفاً من مجلس الأمن.

- الكسندر هيغ: «إن الهجوم السوري الأخير على زحلة والمرتفعات حظيا بموافقة موسكو».

إستعادة الذكرى بعد ٢٥ عاماً

حرب زحلة التي حفرت في وجدان وعقول من عاشها، استُعيدت أبرز محطّاتها بعد ربع قرن.

ففي ٢ نيسان ٢٠٠٦، توجّه عشرات الرجال من بسكنتا إلى زحلة سالكين الطريق نفسه الذي ساروه ورفاقهم في العام ١٩٨١ للمشاركة في الدّفاع عنها، كتكريم رمزي لشهداء زحلة التي استعادت حريتها مع لبنان بخروج الجيش السوري منه في ٢٦ نيسان ٢٠٠٥.



السير من صنين الى زحلة



الوصول الى قاع الريم ووادي العرايش



قداس في زحلة العام ٢٠٠٥

شهداء حرب زحلة

دفعت مدينة زحلة في خلال الحرب والحصار ٦٠٠ قتيل وجريح من شبابها واهلها ومن رفاقهم الذين كانوا يقاتلون معهم.

أسماء الشهداء

فوزي خزاقة
جورج سعادة
جوزيف يوسف ريا
طوني جوزيف صهيون
جوزيف حنا رياشي
سمير يوسف شديد
اندريه نقولا بعيني
جورج يوسف الحاج
ميشال ابراهيم ابو غانم
جوزف مطر
انطوان ميخو ملو
ماري الياس الخوري
الياس النعنوع
دكران غبريال
عاطف عزات الزين
انطوان اسعد جبرايل
ماري طانوس حريقة
الياس ميشال بصيبص
كارلوس فريد شبيب
سليم سعيد جرجس
بيار عبود
مارون حنا قبجي
سمعان ادمون الكفوري
فادي خوري
عاصم جورج كرم
طوني توفيق الفلفي
الياس منير فزاع
روني طانيوس سعادة
جورج خليل عيسى
ابراهيم هلون
نعيم حنا ملو
ايلي وديع شمعون
جورج يوسف شديد
طوني الياس حاكم
جوزف جورج بحنيني
ميشال خليل البراك
منير جورج الابري
طوني الياس بو منصور
جميل عندس عندس
يوسف مراد مراد
جورج ايشا سركيس
سمير مارون زخيا
عادل سليم غريب
نعيم جميل كفوري
مروان فرج فرجو
يعقوب سليمان بطرس
جوزيف الياس حريقة
ميشال الياس ابو بشارة
عادل جميل ريا
جورج حنا ابو رجيلي
جورج عبدالله شمعون
ناجي جورج زرعاني
جوزيف توفيق نخلة
جان نصري حاكم
طوني جميل البش
وجدي جميل ديب
جوزيف جورج حداد
جان عبدالله سروجي
عيد القاصوف
بيار منير فزاع
جوزيف بريدي
نقولا نعيم حداد
ناصيف نخلة
ميشال جرجس فريديسي
سمير ابراهيم الغندور
جورج فؤاد ابو خاطر
آمال ريشا زوجة جورج معلوف
عزيز سليمان عبدايم
سليمان فيكاني
ميلاد يوسف سفر
بولس كرم
غانم ابو حنا
جوزيف شفيق شمعون
هيكل طانيوس شعيا
ميشال ضومط
جوزف عفيش
سليمان صوايا
عيسى الياس
كريم فارس خلف
جورجيت قبلان واولادها تقلا قبلان
غيتا قبلان
زينا قبلان
ايلي قبلان
لميا جرجس وهبه
وارغون ديزيره برزكيان
ابراهيم شلغنيان

مروان جوزف شمعون
حنا سليمان الترك
شفيق الغصين
رولا جورج معلوف
ايلي الزغبي وزوجته
مفيد حنا يشوع
اديب ملو واولاده
شمعون ملو وولديه
زياد ملو
عماد ملو
منى جورج شمو
جورجيت يعقوب يوسف
فايز جورج باروكي
توفيق ملكو دنيا
طوني الياس دويليبي
مهى عبد المسيح عزو
جميل مراد معلوف
ساميا حداد سابا
نصره الياس عبد الحي
ميرنا سليمان المر

ماري فارس ايوب
جان الياس قاصوف
شفيقة قاصوف
اسحاق حداد
رانيا سكاف
وديع ابو عزيز
جوزف جرجس يارد
جان بشير الصقر
ماري الحلو
ماري لطيف
نجوى سليم العلم
عبدو نبيل العلم
عزيز خطار التنوري
جورج شهدان مقصود
سلمى مقصود
ايلين مقصود
ايلي مقصود
جوزف مقصود
بيار حمدان
خليل صيدح

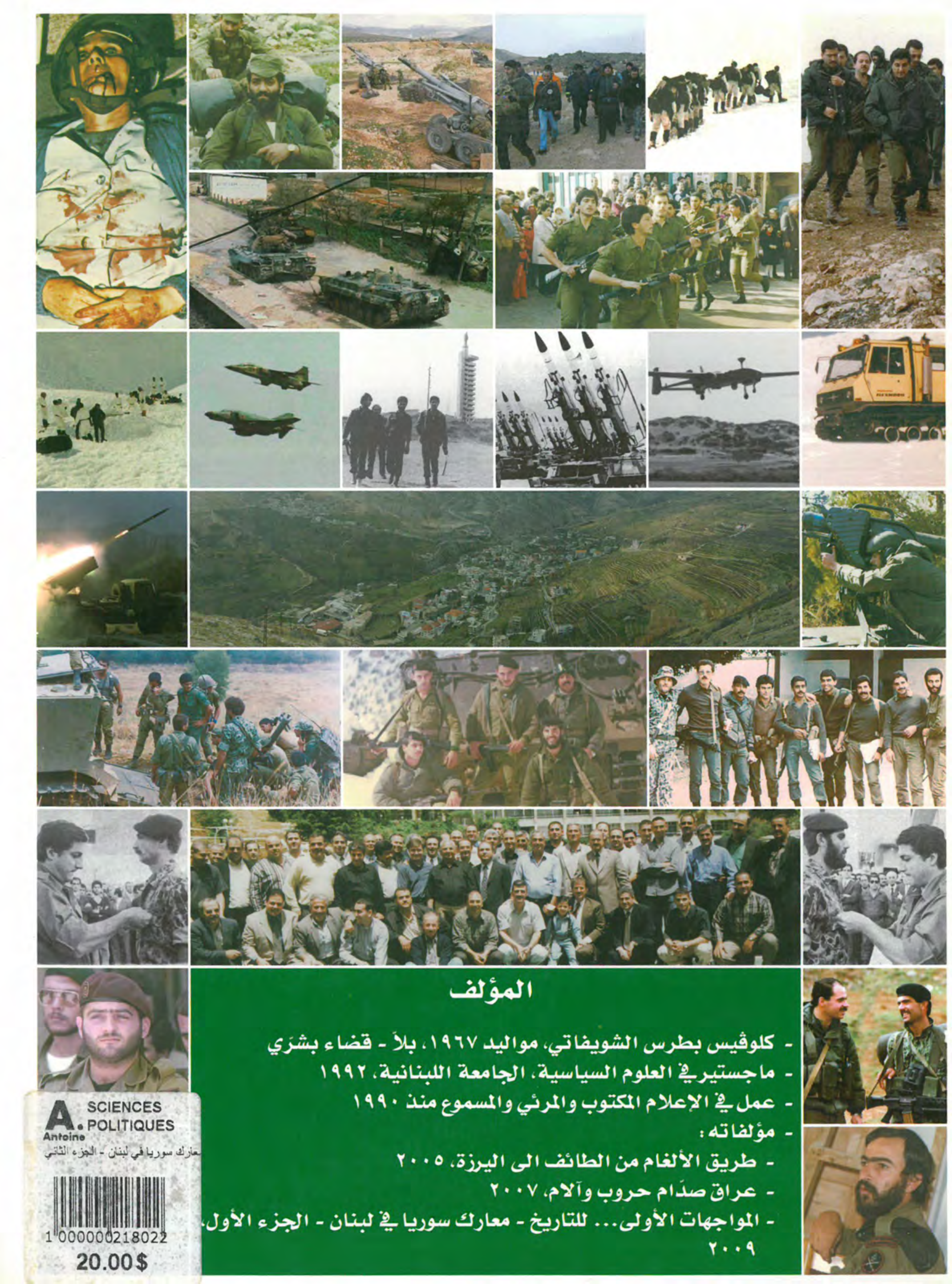
جميلة نعمة
يوسف الحسن
جورجيت الزغريني
قيصر الشويري
رندلى نواف الطباع
ادال عواد
لبيبة اليان
البير سعدالله النجار
أميّا وهبة
تقلا يمين
ايلي قدموس
مريم طراد
سليم حمود
رشيد رشيد
جورج يوسف
رامز يشوع
جوزف كايد
جرجس المعلوف
الاخت ماري صوفي الزغبي.

المراجع

LE MEMORIAL DE LA GUERRE-JOSEPH G. CHAMY-

- وثائق الحرب اللبنانية -المركز العربي للابحاث والتوثيق
- الحرب في لبنان ١٩٧٥ - ١٩٧٦- ....
- موسوعة الحرب اللبنانية - مسعود الخوند.
- في عين الحدث. سامي الخطيب خمسة وأربعون عاماً لأجل لبنان.
- مذكرات فؤاد بطرس - اعداد انطوان سعد
- بلاد البترون من الشرارة الى الانتفاضة ١٩٧٥- ٢٠٠٥- نبيل يوسف
- بشري ولبنان ١٩٧٥- ١٩٨٢ في وجهيها السياسي والعسكري - انطوان الخوري طوق
- هذه شهادتي- بول عنداري - لبنان ١٩٧٥- ١٩٩٢
- شهداء منطقة بشري ودير الاحمر ١٩٧٥- ١٩٨٥ - غازي جعجع
- سلسلة الوثائق الاساسية للأزمة اللبنانية - الجزء الثاني - الادوار الاقليمية في لبنان
- قصّة الموارنة في لبنان - جوزيف أبو خليل
- لبنان وسوريا - جوزيف أبو خليل
- أسرار حرب لبنان - آلان مينارغ
- إذاعة مونتي كارلو
- جريدة النهار
- جريدة العمل
- جريدة النداء الصادرة عن الحزب السوري القومي الإجتماعي
- جريدة Express
- جريدة Le Matin
- جريدة Le Monde
- جريدة New York Times
- مجلة المسيرة
- مجلة وطني (أصدرتها القوات اللبنانية أعوام ١٩٧٩ حتى ١٩٨١)
- مجلة Paris Match
- مجلة Le Nouvel Observateur
- مجلة La Revue du Liban
- مقابلات وشهادات أخذت من عشرات المقاتلين والأشخاص الذين كانوا في صلب هذه الأحداث...

الفهرس



المؤلف

- كلوفيس بطرس الشويفاتي، مواليد ١٩٦٧، بلاّ - قضاء بشرّي
- ماجستير في العلوم السياسية، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٢
- عمل في الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع منذ ١٩٩٠
- مؤلفاته:
  - طريق الألغام من الطائف الى اليرزة، ٢٠٠٥
  - عراق صدّام حروب وآلام، ٢٠٠٧
- المواجهات الأولى... للتاريخ - معارك سوريا في لبنان - الجزء الأول، ٢٠٠٩